وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الجزائر 2
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

السـيد القمبيطور وعلاقاته بالمسلمين في الأنـدلس
(خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط
تخصص : تاريخ أوربا في العصور الوسطى

إعداد الطالب :
وجدي خلف الله

إشراف الأستاذة :
الدكتورة بشاري لطيفة بن عميرة

الموسم الجامعي:
1432 /1433هـ الموافق لـ 2011 / 2012 م

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الجزائر 2
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

السـيد القمبيطور و علاقاته بالمسلمين في الأنـدلس
(خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط
تخصص : تاريخ أوربا في العصور الوسطى

أعضاء لجنة المناقشة :

الدكتور تومي رشيد رئيساً
الدكتورة بشاري لطيفة بن عميرة مقررة
الدكتور بوكنة عبد العزيز عضواً
الدكتور خالدي عبد الحميد عضواً

إعداد الطالب :
وجدي خلف الله

إشراف الأستاذة :
الدكتورة بشاري لطيفة بن عميرة

الموسم الجامعي:
1432/ 1433هـ الموافق لـ 2011 / 2012 م

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

" وأَطِيعُواْ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُوا وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَ اللَّهَ مَعَ الصَابِرِيْن وَ لاَ تَكُونُواْ كَالذِينَ خَرَجُواْ مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَراً وَ رِئَاءَ النَاسِ وَ يَصُدُونَ عَنْ سَبِيْلِ اللَّهِ وَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيْطٌ " .

الآية **46 – 47** من سورة الأنفال .

إهـــــــداء

إلى من أمدتني بفيض من حنانها و عطائها و دعائها أثناء مسيرة حياتي " الوالدة الغالية ".

أهدي هذا العمل وفاءا لها و اعترافا بما قدمته ولا تزال .

إلى " الأب الغالي " اعترافا بدوره وتقديرا لفضـــــله .

إلى " إخواني و أخواتـــي " . و إلى كل عائلة " وجـــــدي " صغيرهم و كبيرهم .

إلى الذين جمعتني بهم الدراسة خلال مرحلة الماجستير، وعشت معهم أروع اللحظات

" بن مسعود مبروك ، بن نيلي لخظر ، برق الأغويني " .

إلى أرواح شهداء الجزائر. و إلى كل من يقدس العلم و يجعله سلاحا يقهر به الأعداء.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة عملي .

شكر و عرفان

في البداية أحمد اللّه سبحانه وتعالى الذّي أعانني على إنجاز هذا البحث .
كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة على هذا العمل الدكتورة " بشاري لطيفة بن عميرة "، والتي تابعت هذا العمل خطوة خطوة حتى أصبح على ما عليه اليوم . كما أقدم شكري و امتناني لأستاذي الدكتور " تومي رشيد " ، وذلك لما أسداه لي من نصائح خلال إنجاز هذا العمل .

و الشكر موصول كذلك إلى الأخ و الصديق " برق الأغويني " ، و ذلك لما قدمه لي من مساعدة .

كما لا يفوتني أن أقدم شكري و امتناني إلى أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذا العمل، و إثرائه، و إمداده بالتصحيحات والتوجيهات الضرورية.

و أقدم شكري كذلك لعمال مكتبة جامعة الجزائر 2 " بوزريعة سابقا "، لتزويدهم لي ببعض المصادر والمراجع الهامة التّي ساهمت في إعداد هذا البحث . وإلى كل من قدم لي يد المساعدة من قريب أو من بعيد .

واللّه لا يضيع أجر المحسنين.

عرف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، انقلابا في ميزان القوى السياسية و العسكرية لصالح الممالك المسيحية في الشمال الأندلسي . فقد شهد هذا الأخير مجموعة من الأحداث السياسية أدت إلى سقوط نظام الخلافة الأموية بقرطبة سنة 422هـ / 1031 م .

ودخلت البلاد بذلك عصرا جديدا هو عصر دويلات الطوائف ، و قد حكم هذه الدويلات ثلاث طوائف مختلفة هي (العرب و البربر و الصقالبة) ، وسرعان ما أعلن أصحاب هذه الدويلات عن حقهم في الحكم و انتحلوا الألقاب السلطانية ، واتخذوا لأنفسهم الحجاب والوزراء ، فصاروا ملوكا .

يعتبر عصر ملوك الطوائف ، أسوء العصور التي عاشها المسلمون بالأندلس منذ أن وطئتها أقدامهم ، فقد عمت الفوضى وانعدم الأمن وتدهورت الأوضاع السياسية . و في المقابل ساعدت هذه الأوضاع المتردية ، الممالك النصرانية الناشئة على لمّ شملها و النهوض من سباتها لمواصلة كفاحها ضد المسلمين، وذلك في إطار جهودها المعروفة بحركة الاسترداد La Reconquista ، و أخذت هذه الحركة تتسع ويعظم شأنها ، بعد أن تمكن النصارى من الاستيلاء على طليطلة ، عاصمتهم القديمة في صفر 478هـ / ماي 1085م . ولم يقفوا عند هذا الإنتصار بل أصبحوا يتدخلون في شؤون المسلمين، حتى أرغموهم على دفع الجزية لهم صاغرين مقابل الحفاظ على دولهم .

و في تلك الفترة المليئة بالفوضى و عدم الإستقرار ، أخذت بعض الشخصيات تظهر بوضوح على الساحة السياسية من الجانبين ، الإسلامي و المسيحي . أما من الجانب الإسلامي فنذكر المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية ، الذي اشتهر بين ملوك الطوائف ، و ذاع صيت أمير المرابطين يوسف بن تاشفين ، هذا الذي أحرز نصرا كبيرا على المسيحين في معركة الزلاقة في رجب 479 هـ / أكتوبر 1086م . أما من الجانب المسيحي ، فقد برز الفونسو السادس ملك قشتالة وليون الذي استطاع أن يسترد طليطلة ، والذي هزم بعد ذلك في معركة الزلاقة . ثم ظهرت بعد ذلك شخصية أخرى تركت أثرها في تاريخ العلاقات بين المسلمين و المسيحيين في الأندلس خلال هذه الفترة ، هو الفارس القشتالي رودريغو دياث دو بيفار . والملقب بالسيد القّمبيطور ، ونظرا لأهمية هذه الشخصية تم اختياره ليكون موضوعا لهذا البحث .

و ترجع أهمية الموضوع، لكونه يكشف عن أسباب ضعف المسلمين في هذه الفترة ، وتراجع حدودهم بالمقارنة عما كانت عليه من قبل.و يبين أيضا عوامل ظهور الممالك المسيحية في شمال اسبانيا بقوة بعد فترة قصيرة ، ومواصلة حركة الاسترداد ، وما نتج عنها من استيلاء الفونسو السادس على طليطلة ، و السيد القمبيطور على بلنسية ، من أجل أخذ العبرة من ذلك .

أما عن دوافع اختياري لهذا الموضوع ، فهي تتجسد أولا في : ميولي للبحث في العلاقات بين المسلمين و المسيحين لما لها من تأثير مميز على تاريخ العصور الوسطى شرقا وغربا .

ثانيا : الأهمية التي تحظى بها شخصية هذا الفارس القشتالي (السيد القّمبيطور) ، و التي بلغت شهرة كبيرة في أوساط العالم المسيحي ، وخاصة بني جلدته الإسبان . حيث نسجت حوله العديد من الأساطير . ونظمت عنه الملاحم بعد موته . وأصبح لدى الإسبان مظرب المثل في الشجاعة والقوة ، و رمزا للفارس المغامر الطموح ، فأردت أن أتناول شخصيته بالدراسة ، مع إبراز علاقاته بالمسلمين وفق ما ورد عنه في المصادر العربية و المسيحية ، ومما حفزني أكثر للخوض في هذا الموضوع هو قلة الدراسات العربية بهذه الشخصية المتميزة على الرغم من الدور الكبير الذي لعبته في العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية و شمال اسبانيا النصرانية .

و لإنجاز موضوع هذه المذكرة الذي يحمل عنوان " السيد القّمبيطور وعلاقاته بالمسلمين في الأندلس (خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي)" .كان لابد لي من طرح مجموعة من التساؤلات أهمها . كيف كانت الأوضاع السياسية لشبه الجزيرة الأيبيرية خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ؟ ثم ما هي البيئة التي نشأ فيها هذا الفارس ، وما هو سبب دخوله في خدمة المسلمين (بني هود) ؟ وأخيرا كيف كان استيلاؤه على مدينة بلنسية وصراعاته مع المرابطين ؟ .

وللإجابة عن هذه التساؤلات ، اتبعت خطة تكونت من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة . أما الفصل الأول فهو يحمل عنوان " الأوضاع السياسية لشبه الجزيرة الآيبيرية خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي " .

تطرقت فيه أولا، إلى الأوضاع السياسية للأندلس الإسلامية ، وتناولت فيه الفتنة البربرية التي كانت سببا في زوال وحدة الأندلس وانقسامه إلى دويلات ، ثم أشرت بايجاز إلى أهم دويلات الطوائف ،

وبينت أيضا أهم ما تميز به هذا العصر من ضعف سياسي و اقتصادي ، و تناحر عسكري ، و فساد اجتماعي ، وما انجر عنه من أثر على علاقات المسلمين بالممالك النصرانية في الشمال .
و في الشق الثاني منه، فقد تطرقت إلى الأوضاع السياسية لإسبانيا النصرانية ، وبينت خلاله ما ساد هذه الممالك من وحدة داخلية خلال حكم سانشو الكبير ملك نفار (نبرة) ، وما نتج عن ذلك من ازدياد قوتهم وتفوقهم .

أما الفصل الثاني و عنوانه " شخصية السيد القّمبيطور و دوره في الصراع الإسلامي المسيحي في الأندلس " ، تناولت فيه أصل السيد القمبيطور و البيئة التي نشأ فيها ، ثم دخوله في خدمة سانشو الثاني و أخيه الفونسو السادس من بعده ، و وقفت عند الألقاب التي لقب بها هذا الفارس ، كما درست سبب تعرضه للنفي من طرف الفونسو السادس ، وما نتج عن ذلك من انضمامه تحت لواء بني هود أصحاب سرقسطة ، والذين كانوا سببا في ازدياد نفوذه ، ثم التغيرات السياسية التي عرفتها بلنسية ، والتي كانت سببا في لفت انتباه السيد القمبيطور للاستيلاء عليها ، وأخيرا عمل هذا الأخير لحسابه الخاص ، وذلك من خلال انفصاله عن بني هود .

أما الفصل الثالث فجاء تحت عنوان " الصراع بين السيد القّمبيطور والمرابطين حول مدينة بلنسية " . فقد تطرقت فيه إلى أهم الأحداث التي شهدتها مدينة بلنسية ، وذلك بعد مقتل القادر بن ذي النون ، ثم استبداد القاضي ابن الجحاف بحكمها . كما تطرقت إلى الحصار الذي فرضه السيد القمبيطور على بلنسية ، وفشل المرابطين في استنقاذها ، ثم استيلاءه عليها ، واستبداده بأهلها. كما عرجت في هذا الفصل على أهم المعارك التي دارت بين المرابطين ، و السيد القمبيطور ، و التي انتهت باسترجاع القائد المرابطي المزدلي لبلنسية .

و ذيلت البحث بخاتمة ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال تلك الدراسة، كما أثريتها بملاحق و بعض الخرائط، و قائمة للمصادر و المراجع.

عرض لأهم المصادر والمراجع :

اعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر و المراجع، باللغة العربية و أخرى بلغات أجنبية و أخرى معربة ، و ذلك من أجل لم شتات هذا الموضوع الذي يتميز بالتشعب. أما المصادر العربية فقد شملت كتب التاريخ و الجغرافيا و الأدب و التراجم . و من أهم مؤلفي كتب **التاريخ** :

ابن عذاري المراكشي (أبو العباس أحمد) ، عاش في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي . بالرغم من أنه من المؤرخين المتأخرين إلا أن كتابه " البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب " ، يعتبر من المصادر الأساسية في دراسة تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس الهجري . وكان اعتمادي عليه في الجزء الثالث و الرابع منه، حيث تحدث فيهما بشكل مستفيض عن ملوك الطوائف ، و الأحداث التي سادت ذلك العصر . أما الجزء الرابع فقد تحدث فيه مطولا عن حصار السيد القّمبيطور لبلنسية ، وما عاناه أهلها جراء ذلك الحصار ، واستبداده بحكمها ، وقد نقل ابن عذاري هذه الأحداث على المؤرخ ابن علقمة ، الذي كان معاصرا لتلك الأحداث باعتباره من أبناء المدينة .

ثم يأتي بعده ابن الكردبوس (الشيخ أبو مروان عبد الملك ابن الكردبوس التوزري) ، عاش في نهاية القرن الخامس الهجري و بداية القرن السادس الهجري ، الموافق للقرن الثاني عشر الميلادي . له كتاب اسمه " الاكتفاء بأخبار الخلفاء " ،نشر منه الدكتور أحمد مختار العبادي في مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد قطعة تحمل عنوان " تاريخ الأندلس " . فهو من المصادر التي لا غنى عنها في دراسة أحداث عصر ملوك الطوائف ، وقد أمدني ابن الكردبوس بمعلومات جديدة لم ترد في المصادر العربية الأخرى ، كأخبار معركة كونسجرا ، التي انتصر فيها جيش المرابطين ، بالإضافة إلى ذكره للمعارك التي جرت بين المرابطين و النصارى من أجل استرداد بلنسية من السيد . وما زاد هذا الكتاب قيمة هي الشروح التي وضعها الدكتور أحمد مختار العبادي في الهامش . فهو من المصادر التي أفادتني كثيرا في هذا البحث .

ثم يليه لسان الدين ابن الخطيب (أبو عبد الله محمد) ت 776هـ / 1374م. له مجموعة من الكتب ، لكني في هذه الدراسة اعتمدت على كتابه " أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام " ، فهو يتضمن معلومات وفيرة عن زوال الخلافة الأموية ، وقيام عصر ملوك الطوائف وعلاقتهم بنصارى الشمال الإسباني ، و يعد ناقلا عن ابن عذاري . كما ضمن هذا الكتاب أيضا مختصرا لتاريخ الممالك المسيحية الإسبانية مثل مملكة قشتالة وليون ، ومملكة أراغون و البرتغال . ولذا فهو أول مؤرخ عربي كتب عن الممالك الإسبانية ، وقد نقل ابن الخطيب هذه المعلومات عن سفير ملك قشتالة اليهودي إلى السلطان المريني أبي فارس بن عبد العزيز .

ثم يليه المقري (أبو العباس أحمد) ت 1041هـ / 1631م . بالرغم من أنه من المؤرخين المتأخرين عن فترة البحث بحوالي ستة قرون ، إلا أن مؤلفه " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب " ، الذي يتألف من مجموعة أجزاء يعتبر مصدرا أساسيا لجميع الباحثين في تاريخ المغرب و الأندلس ، فهو موسوعة شاملة لحضارة الأندلس ، إذ يتضمن معلومات لا توجد في مصادر أخرى . فهو ينقل عن ابن حيان ، وقد اعتمدت على الجزء الرابع منه ، وذلك لما فيه من ذكر لملوك الطوائف ، واستيلاء السيد القّمبيطور على بلنسية ، ومأساة القاضي ابن الجحاف على يده .

أما بالنسبة لكتب **التراجم والطبقات** ، فأهميتها تكمن في الحديث عن الحياة الاقتصادية ، والاجتماعية ، و الثقافية ، فهي تزودنا بمعلومات لا نجدها في المصادر التاريخية . ومن أهم هؤلاء المؤلفين الذين اعتمدت عليهم :

ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن موسى) ت 578هـ / 1182م ، وكتابه هو " الصلة في تاريخ أئمة الأندلس و علمائهم و محدثيهم و فقهائهم و أدبائهم " . يقع هذا الكتاب على جزأين ، وقد استقى صاحبه مادته من المصادر الأساسية ، منها الرواية المتواترة ، و السماع عن شيوخه . فهو يحتوي على طائفة كبيرة من تراجع الأئمة و المحدثين و الفقهاء ، وأهل الأدب الأندلسي ، كما ترجم للقضاة وأهل العلم الذين حكموا دويلات الطوائف مثل ابن عباد صاحب اشبيلية ، وابن الجحاف قاضي مدينة بلنسية ، والذي تولى حكمها بعد مقتل القادر بن ذي النون .

ثم يأتي ابن الآبار البلنسي (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي) ت 658هـ / 1260م ، وكتابه " الحلة السيراء " . من الكتب الهامة في تاريخ الأندلس ، لما فيه من تراجم لعدد من ملوك الطوائف ، وخاصة أولئك الذين حكموا بلنسية باعتباره ابن المدينة ، كما أن المادة التي يوردها تتسم بالغزارة و الوفرة . أما عن المنهج الذي اتبعه في هذا الكتاب يختلف عن باقي المؤرخين ، إذ أنه لم يذكر التراجم حسب الحروف الأبجدية ، ولكنه جعلها حسب القرون مبتدئا بالقرن الأول الهجري ، ومنتهيا عند القرن السابع الهجري ، وهو ما يسهل عمل الباحث .

ولابن الآبار مصنف آخر لا يقل أهمية عن كتاب الحلة السيراء ، وهو كتاب " التكملة لكتاب الصلة " ، ويتضمن تراجم لعلماء الأندلس مع ذكر كل ما يتعلق بحياتهم وسيرهم ، فهو تكملة لكتاب " الصلة " لابن بشكوال .

أما بالنسبة لكتب **الأدب** فأهمها مؤلَف ابن بسام الشنتريني (أبو الحسن علي) ت 542هـ / 1147م ، " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة " . يعتبر هذا الكتاب موسوعة تاريخية وأدبية ، فقد جمع بين عصري الخلافة و ملوك الطوائف ، وتعود أهميته في كون صاحبه معاصر لفترة ملوك الطوائف ، وقد استفدت من هذا الكتاب في القسم الثالث ، الذي يتحدث عن شرق الأندلس ، وبلنسية ، وقد تعرض ابن بسام بالتفصيل لثورة القاضي ابن الجحاف ووقوع بلنسية تحت سيطرة السيد القّمبيطور . كما تحدث عن شجاعة السيد القّمبيطور وقوته العسكرية .

و بالإضافة إلى كتب التاريخ ، والتراجم ، والأدب تأتي كتب **الجغرافيا** ، فهي ذات أهمية كبيرة في الدراسة التاريخية ، حيث اعتمدت عليها في تعريف وتحديد المدن الأندلسية ، ومن أشهر مؤلفي هذه الكتب الجغرافية حسب ترتيبهم الزمني :

الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن إدريس) ت 548 هـ / 1154 م . وكتابه هو " نزهة المشتاق في اختراق الأفاق " ، وقد اعتمدت على جزء منه هو " صفة المغرب وأرض السودان ومصر و الأندلس " . لا يختلف اثنان في أن الإدريسي يعد أعظم جغرافي أنجبته الأندلس ، وكتابه يشكل أهم دراسة قدمها جغرافي جوال في جغرافية الأندلس الوصفية و الطبيعية و الاقتصادية و السياسية في آن واحد ، ولهذا فلا غنى عنه لدراسة تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس .

ثم يليه ياقوت الحموي (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله) ت 626هـ / 1229م . كتابه هو " معجم البلدان " ، يتألف هذا الكتاب من خمسة أجزاء . اتبع صاحبه في تعريفه بالمدن نظام الحروف الهجائية ، فقد استطاع بفضل رحلاته الكثيرة تأليف هذا الكتاب ، الذي يعد معجما جغرافيا وتاريخيا و أدبيا ، إذ لا يمكن لدارس الأندلس الاستغناء عنه .

ثم يأتي الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم) ت 866هـ / 1461م . وكتابه يحمل عنوان " الروض المعطار في خبر الأقطار " . الذي يعد من أهم المعاجم الجغرافية التي تناولت مدن الأندلس ، مرتبة ترتيبا هجائيا ، وقد انتهج الحميري في تعريفه للمدن منهجا يجمع بين الدراستين الجغرافية والتاريخية ، بحيث يقوم بوصف المدينة ، ويذكر موقعها ، وأهم ما تتميز به من معالم ، والوقائع التي حدثت فيها ، فقد اعتمدت عليه كثيرا في هذا البحث .

المصادر الأجنبية

ومن المصادر الأجنبية التي اعتمدت عليها أذكر :

-Primera Cronica Gènèral Estoria De Esbana

" المدونة العامة الأولى لتاريخ اسبانيا " .

وضع هذه المدونة الفونسو العاشر ، ملك قشتالة وليون ، الملقب بالعالم ، خلال القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي . تعتبر هذه المدونة من المصادر القشتالية المهمة ، فقد اعتمدت عليها في دراستي لبعض الأحداث السياسية و الحربية . و خاصة ما يتعلق باستيلاء السيد القمبيطور على بلنسية ومعاركه مع المرابطين . وقد أقر المستشرق الهولندي دوزي ، أن هذه الفصول التي تتحدث عن بلنسية والسيد القمبيطور أصلها عربي ، وهي ترجمة للكتاب الذي ألفه المؤرخ البلنسي ابن علقمة ، بعنوان " البيان الواضح عن الملم الفادح " ، و الذي ضاع ، ونقل عنه بعض المؤرخين كابن عذارى ، وابن الآبار . وهكذا يرجع الفضل إلى المدونة في ما حفظته لنا من كتاب ابن علقمة ، ولا سيما و أن هذا الأخير كان معاصرا لوقائع بلنسية وشاهدا لحوادثها ، و لهذا لا يمكن الاستغناء عن هذه المدونة في الدراسات الأندلسية .

و من المصادر القشتالية كذلك

- Cronica Particulare DEL Cid

" المدونة الخاصة بالسيد " .

إعتمدت على هذه المدونة من خلال ترجمتها باللغة الإنجليزية بعنوان: Cronicle of the cid ويلاحظ أنها نقلت جزءا كبيراً من المدونة العامة . وضعها أحد رهبان القديس سان بدرو دو كاردينا (Saint pedro de cardena) ، في برغش ، وأدخلها ضمن مدونته ، التي نشرها خوان قيلورادو ، وجعلها ضمن كتابه المسمى Cronical del cid ، أو ما يسمى الآن بالمدونة الخاصة بالسيد .

تعتبر هذه المدونة من المصادر القشتالية الأساسية لأي باحث يتناول بالدراسة عصر السيد القمبيطور و وقائعه ببلنسية . فقد اعتمدت عليها في استقاء المعلومات حول حياة السيد القمبيطور وبداية نبوغه الحربي ، والتحاقه بخدمة بني هود أصحاب سرقسطة ، وأعماله في شرق الأندلس إلى غاية وفاته 492هـ / 1099م . وما يؤخذ عن هذه المدونة هو الخلط الذي أحاط مختلف الأسماء ، و الأخطاء التي طالت تواريخ المعارك بين المرابطين والسيد.

هذا و أضيف أيضا كتاب

-El Poèma De Mio Cid

" ملحمة السيــد " .

إعتمدت على ترجمتها باللغة العربية عن النص القشتالي ، وقد قام بتلك الترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي في كتابه " ملحمة السيد " .

تعتبر تلك الملحمة أول نص أدبي قشتالي يصلنا ، كما أنها تعتبر من روائع التراث الأدبي الإسباني كتبها أحد المستعربين من مدينة سالم خلال سنة 1140م، أي بعد أربعين سنة من وفاة السيد القّمبيطور . تتكون هذه الملحمة من 3753 بيتا من الشعر، جاءت في ثلاثة أناشيد. أما النشيد الأول فيتناول الأحداث التي أدت إلى نفي السيد القّمبيطور من طرف الفونسو السادس ، والنشيد الثاني يتحدث عن زواج بنتي السيد القّمبيطور من أميري مدينة كاريون القشتالية ، أما النشيد الثالث فقد اهتم بوقائع السيد القّمبيطور مع صهريه أمري كاريون . وقد اعتمدت على نص الملحمة في الأحداث التي وقعت للسيد مع الفونسو السادس مقارنا ذلك بالمصادر التاريخية . وما يؤخذ على

هذه الملحمة أنها تصور لنا الأحداث بشكل قصصي أقرب إلى الأسطورة منه إلى الحقيقة التاريخية، كما أن ما ورد في هذه الملحمة عن شخصية السيد جاء مخالفا لما تضمنته المصادر التاريخية في هذا الموضـــوع .

المراجع العربية و المعربة

و من أهم المراجع العربية و المعربة التي اعتمدت عليها :

كتاب المؤرخ عبد الله عنان ، وعنوانه " دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي " . يكاد يكون المرجع الوحيد الذي تناول أوضاع الأندلس في عصر ملوك الطوائف ، حيث تناول المؤلف كل دولة على حدة منذ قيامها حتى سقوطها في أيدي المرابطين . ومما يزيد هذا الكتاب أهمياً هو أن صاحبه زار مواقع مختلف دويلات الطوائف ومدنها ، ورجع إلى المصادر العربية و الأجنبية المختلفة .

ثم يأتي بعده كتاب المؤرخ الشهير ليفي بروفنسال و عنوانه " الإسلام في المغرب و الأندلس " . يتضمن هذا الكتاب عدة بحوث هامة و قيمة في تاريخ المغرب و الأندلس ، منها بحث حول السيد القمبيطور في التاريخ ، أعطى فيه صاحبه صورة واضحة عن السيد القمبيطور دون مبالغة ، كما زود الكاتب هذا البحث بمجموعة من الملاحق المأخوذة من المصادر العربية عن السيد القمبيطور ، والتي كانت مجهولة من قبل .

بالإضافة إلى مؤلفات حسين مؤنس ، التي اعتمدت عليها ، وخاصة البحث الذي أورده في المجلة التاريخية المصرية بعنوانه " السيد القمبيطور وعلاقاته بالمسلمين " . اعتمدت عليه كثيرا في الفصلين الثاني والثالث ، وذلك لما يحتويه من معلومات كافية خدمت موضوع بحثي ، خاصة وأن صاحبه اعتمد على عدد كبير من المصادر والمراجع الأجنبية المختلفة .

وثمة كتاب أخر للمستشرق الألماني يوسف أشباخ ، وعنوانه " تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين " . يعتبر يوسف أشباخ من أكبر المستشرقين الذين اهتموا بتاريخ المسلمين في الأندلس ، وقد استفدت من هذا الكتاب في الحديث عن الممالك النصرانية خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، فقد تكلم عليها بإفاضة .

ويليه كتاب الأمير شكيب أرسلان ، و عنوانه هو " الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية " . يعد هذا الكتاب جغرافيا وتاريخيا في آن واحد ، بحيث يقوم بتعريف و تحديد موقع المدينة بالإضافة إلى الأحداث السياسية التي وقعت فيها ، وقد اعتمدت على الجزء الثالث من هذا الكتاب ، الذي يتحدث فيه عن نشأة السيد القّمبيطور و وقائعه في شرق الأندلس ، واستيلائـــه على بلنسية .

و من أهم **المراجع الأجنبية** التي اعتمدت عليها .

كتاب المؤرخ الهولندي رينهرت دوزي ، وعنوانه " recherche sur l'histoire et la litterature de l' Espagne pendant le moyen àge .

" بحوث في تاريخ اسبانيا و أدبها خلال العصور الوسطى " .

يتألف هذا الكتاب من جزأين ، تحدث فيهما المؤلف عن عصر ملوك الطوائف بشكل واسع ، أما فيما يخص السيد القمبيطور فقد امتازت كتاباته عنه بالدقة و عدم المبالغة و ذلك باعتماده على المصادر الأجنبية و العربية ، وخروجه بنتائج جديدة وذلك من خلال الفصل الذي وضعه ضمن هذا الكتاب ، وكان عنوانه " le cid d'après des nouveaux documents " ، وهذا ما جعلني أعتمد عليه كثيرا في هذه الدراسة .

ثم يأتي بعده المؤرخ الإسباني رامون منديث بيدال ، و كتابه هـــــــــو " el cid el campeador " . " السيد القمبيطور " . يتناول هذا الكتاب تاريخ السيد القّمبيطور منذ بداية نبوغه الحربي إلى غاية وفاته ، و استرجاع المرابطين لمدينة بلنسية في عهد زوجته خيمنا . كما يعتبر بيدال من أكثر المؤرخين الذين عكفوا على دراسة حياة السيد القّمبيطور ، فأفادني كتابه بكثير من المعلومات .

أما عن الصعوبات التي واجهتني في انجاز هذه المذكرة : اختلاف بعض تواريخ الأحداث الهامة في المصادر ، ما يجعل الاتفاق حول تاريخ محدد أمرا صعبا ، بالإضافة إلى قلة المصادر و المراجع التي تحدثت عن السيد القّمبيطور ، ماجعلني أعتمد على عدد قليل منها .

و في ختام هذه الدراسة أتمنى أن أكون قد وفقت في انجاز هذا العمل المتواضع ، و أن يكون لبينة جديدة في صرح المكتبة الأندلسية ، كما يجب التنويه أن دراسة مثل هذه تبقى غير كاملة ، إلا أنني آمل أن يكون هذا البحث التاريخي بمثابة مقدمة تدفعني إلى الغوص أكثر في دراسته مستقبلا . و لا يفوتني أن أعتذر عما صدر من تكرار في هذا البحث ، وذلك راجع إلى طبيعة الموضوع الذي يتميز بتداخل أحداثه وترابطها ، مما صعب علي تجنبه .

و في هذا المقام لا يفوتني أن أقدم شكري و امتناني للأستاذة المشرفة الدكتورة " بشاري لطيفة بن عميرة " ، التي قبلت الإشراف على عملي بصدر رحب ، وكانت توجيهاتها و نصائحها ذات أهمية كبيرة خدمت موضوع البحث ، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من قدم لي يد المساعدة من قريب أو بعيد .

مقدمـــــــــة

الفصل الأول

الأوضاع السياسية لشبه الجزيرة الآيبيرية خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي .

أولا: الأوضاع السياسية للأندلس الإسلامية خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي .

1- الفتنة البربرية و أثرها في قيام ممالك الطوائف

2- دويلات الطوائف

3- ميزات عصر ممالك الطوائف

ثانياً: الأوضاع السياسية لإسبانيا النصرانية خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي .

1- أوضاع مملكة قشتالة وليون

2- أوضاع مملكة نفار (نبرة)

3- أوضاع مملكة أراغون

4- أوضاع إمارة برشلونة (قطلونية)

أولا : الأوضاع السياسية للأندلس الإسلامية

1- الفتنة البربرية و أثرها في قيام ممالك الطوائف :

تعتبر فترة حكم محمد بن أبي عامر[1] ، الملقب بالمنصور، في الأندلس[2] (366- 392هـ / 976م- 1001م) ، صفحة مشرقة في تاريخ هذّا البلد، وذلك لما أحرزه من تفوق عظيم في السلطان و القوة العسكرية [3]. فقد وصل المنصور في غزواته ضد نصارى الشمال إلى مواطن لم يبلغها فاتح مسلم من قبل [4]. وعلى الرغم من ذلك ، فقد كان المنصور يفكر في مستقبل البلاد من بعده وأدرك أنها لن تعيش كثيراً بعد رحيله ، ذلك أن حيوية الدولة و ديمومتها ارتبطت بشخصه ارتباطاً وثيقاً ، صعب على خلفائه مجارات الأمور، بنفس السياسة[5] .

وبعد وفاة المنصور في رمضان عام 392هـ / 1001م ، وهو ابن خمس وستين سنة، بعد أن حكم فترة تقارب ثلاثين عاما[6]. تولى الحجابة ابنه عبد الملك الملقب بالمظّفر ، و سيـــــف

---

[1] – هو محمد بن عبد الله بن أبي عامر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المغافري ، ولد سنة (327هـ / 948م).دخل جده عبد المالك المغافري الأندلس مع طارق بن زياد .(أنظر، ابن الأبار(محمد أبي عبد الله) : الحلة السيراء ، حققه وعلق عليه حسين مؤنس ، ط2 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1985م ، ج1 ، ص 268-272 ؛ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان، 2000م ، ج 4 ، ص 189).

[2] – اختلفت المصادر في أصل التسمية ، إلا أن معظمها تنسبها إلى قبيلة الوندال (vandales) ، الجرمانية التي استقرت في شبه الجزيرة الأيبيرية ، خلال القرن الخامس الميلادي ، والتي أخذت اللفظ العربي أندلسيا (andalucia) ، عن هذه التسمية وعن إسبانيا وشبه الجزيرة الأيبيرية . (أنظر ، الحميري (محمد بن عبد المنعم) : الروض المعطار في خبر الأقطار ، حققه إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، ط2 ، 1984م ، ص 32-35 ؛ المقري (أحمد بن محمد) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، حققه إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1988م ، ج1 ، ص 127 ؛ شكيب أرسلان ، الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1997م ، ص 22 وما بعدها من الصفحات ؛ حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، دار الرشاد ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص 262-265) .

[3] – ابن خلدون ، العبر ، ج4 ، ص 189 ؛ خليل إبراهيم السمائري و آخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم بالأندلس ، دار الكتب الجديدة ، بيروت ، لبنان ، 2002م ، ص 208 .

[4] – عبد الله عنان ، الخلافة الأموية و الدولة العامرية ، العصر الأول ، القسم الثاني ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1997 ، ط4 ، ص 568 .

[5] – خليل إبراهيم السمائري و أخرون ، المرجع السابق ، ص 208 .

[6] – ابن عذاري (أحمد بن محمد المراكشي) : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة ج س كولان و ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، لبنان ط3 ، 1983 ، ج2 ، ص 301.

الدولة و كانت السلطة مطلقة بيده كأبيه، وكان عصره خيراً وسلاما على الرعية حتى وصفت أيامه بأنها كانت أعيادا وبلغت الأندلس في عهده، مكانة كبيرة. ودام حكمه سبع سنوات إلى أن توفي عام 399هـ / 1008م [1].

ثم قام بالأمر من بعده أخوه عبد الرحمن الملقب بشنجول[2] . وكان شابا مغروراً بنفسه ، لا يحسن التصرف في أمور الدولة ، حيث كان هدفه الاستئثار بالسلطة الشرعية ، ثم الخلافة نفسها[3] . فقد أساء عبد الرحمن التصرف بتقربه إلى الخليفة هشام المؤيد[4] ، وبإجباره أن يعهد له بولاية العهد[5]. فقد فقد أدى ذلك إلى زوال نفوذه والقضاء على سلطته ، مما أثار سخط الأمويين عليه . وكان المروانيون من بني أمية على رأس هؤلاء الحاقدين والغاضبين على الخليفة هشام المؤيد ، إذّ أن هشام لم يكن له ولد، وكان المروانيون من أهل بيته ينتظرون وفاته ، لتعود الأمور إليهم ثم يقضون على الدولة العامرية التّي أقامها المنصور محمد بن أبي عامر[6].

وقد سنحت لهم الفرصة عندما خرج عبد الرحمن شنجول في إحدى غزواته الشمالية ، وخلت العاصمة من معظم القوات النظامية ،فثار محمد بن هشام حفيد الخليفة عبد الرحمان الناصر الملقب

---

[1] – ابن الأبار , الحلة السيراء ،ج1، ص 270 ؛ ابن بسام الشنتريني (أبو الحسن علي): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة ، لبنان ، 1997 م ، ق4 ، ص 78 وما بعدها من الصفحات ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 37 ؛ ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي الكرم) : الكامل في التاريخ ، صححه عبد الوهاب النجار، دار الطباعة المنيرة ، القاهرة ، 1987م .ج 8 ، ص 25 .

[2] – لقب عبد الرحمن بن المنصور بشنجول تصغيراً لاسم جده من أمه ، حيث أن المنصور كان قد تزوج من ابنة شانجة ملك نفار، و قد حسن إسلامها فسماها عبده وكانت من خيرة نسائه فأنجبت له عبد الرحمن . (أنظر ، ابن الكردبوس (أبو مروان بن عبد الملك التوزري): تاريخ الأندلس ، تحقيق أحمد المختار العبادي ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد ، 1965 م ، المجلد 13 ، الهامش 5 ، ص 66).

[3] – ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد): أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق ليفي بروفنسال ،ط2 ، دار المكشوف ، لبنان ، 1956 م ،ص 90 .

[4] – هو هشام بن الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر ولد في جمادى الآخرة سنة 354 هـ ، بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه أبيه في شهر صفر سنة 366هـ – 976م . (أنظر ، ابن الفرضي (عبد الله بن محمد): تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ، صححه عزت العطار ، مطبعة المدني ، القاهرة ، 1954م ؛ ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 48) .

[5] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 39 ؛ ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 90-91 .

[6] – ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 96 .

بالمهدي[1] ، في جمادى الآخرة عام 399 هـ / 1009م ، وسيطر على قصر الخليفة هشام المؤيد الذي تنازل للمهدي عن الخلافة[2] .

وعندما وصلت أخبار الانقلاب إلى عبد الرحمن شنجول ، ارتد بقواته إلى قلعة رباح[3] (Calatarabah) . وأعلن تنازله عن ولاية العهد ، وانتهى أمره بإعدامه في السنة نفسها[4] .

وهكذا أسدل الستار على الدولة العامرية بسرعة لم تكن متوقعة ، ذلك أن عبد الرحمن شنجول تولى الحكم و الدولة محكمة النظام موطدة الدعائم . لكن لم تمضي أكثر من ثلاثة أشهر، حتى انهار ذلك الصرح الشامخ ، الذي شيده المنصور محمد بن أبي عامر[5] .

وباعتلاء المهدي كرسي الخلافة ، مكان الخليفة هشام المؤيد ، انقضى عهد السلطة الثنائية ، سلطة الخليفة الشرعي الاسمية ، وسلطة حاجبه والمتغلب عليه الفعلية ، ليفتح المجال لعودة السلطة الموحدة [6] . إلا أن المهدي لم يفلح في توفير أسباب الإستقرار حيث أساء السيرة خاصة مع البربر ، وفتح باب الفتنة على مصراعيه .كما قام بإجلاء أعداد كبيرة من الفتيان العامريين (الصقالبة)[7] ، عن العاصمة قرطبة[8] (Cordoba) ، فلجئوا إلى المناطق الشرقية و استثنى منهم الفـــــتى

---

[1] – المقري ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 424-426 .

[2] – ابن خلدون ، العبر ، ج4 ، ص 192 .

[3]– قلعة رباح ، مدينة بنيت أيام بني أمية . تقع بين قرطبة و طليطلة . وهي مدينة حسنة لها حصن حصين . (أنظر ، الحميري ، المصدر السابق ، ص 469).

[4] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 249 .

[5] – عبد الله عنان ، الخلافة الأموية و الدولة العامرية ، ص 638 .

[6] – نفس المرجع ، ص 642 .

[7] – أطلق الجغرافيون العرب، في العصور الوسطى ، لقب الصقالبة على شعوب عديدة ،كانت تسكن الأراضي الواقعة على الحدود الخزرية بين القسطنطينية والبلغار. تجمع بينهم اللغة ، وينقسمون إلى صقالبة الشمال الذين يقطنون بولونيا ، وتشيك سلوفاكيا ، وصقالبة الجنوب و هم البلغار، و الكروات و السلوفين . وتطور مدلول الكلمة فأصبح يطلق على الرقيق الأوربي (الجرمان)، وقد استخدم الأمويون في الأندلس هؤلاء الصقالبة في البلاط الخلافي وفي الجيش ، وعرفوا بالفتيان والخرس و العلوج و المماليك . (أنظر ، بشاري لطيفة بن عميرة ، الرق في بلاد المغرب ، رسالة دكتوراه دولة ، الجزائر ، 2008/2007 ، ص 252 ؛ أحمد إسماعيل أحمد ، دراسات في تاريخ الأندلس (دويلات الصقالبة العامريين في شرق الأندلس) ، مركز الإسكندرية للكتاب ، القاهرة ، 2008م ، ص 80) .

[8] – قرطبة قاعدة بلاد الأندلس ، وأم مدائنها ، اشتهرت بمسجدها الجامع ،وظلت حاضرة بني أمية في الأندلس حتى سقوط الخلافة .(أنظر ، الحميري ، المصدر السابق ، ص 456-457) .

واضح الصقلبي[1]، صاحب مدينة سالـــــــم[2] (Medinaceli) ، الذي أقره المهدي على ولايـــــــــتها[3] .

في هذه الظروف التف البربر، حول سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ، و بايعوه على تولي أمرهم ، وأطلقوا عليه لقب المستعين بالله[4].و بذلك أصبح في البلاد خليفتان ، واحد واحد في قرطبة هو المهدي ، والثاني على رأس البربر وهو المستعين بالله ، الذي لم يتردد في طلب العون من نصارى الشمال ، الذين لم يتأخروا عن الإستجابة له . فقاد المستعين النصارى و البربر إلى قرطبة حيث دارت معركة عنيفة بينهم ، وبين أهل قرطبة بزعامة المهدي . في جبل شرق قرطبة ، وتعرف هذه المعركة بوقعة قنتش ، وانتهت بهزيمة ساحقة لجيش القرطبين و مقتل الآلاف منهم حتى العلماء، وأخيار الناس[5] .

و يشير ابن حيان إلى ما أصاب أهل قرطبة في هذه المعركة بقوله " كان بعض الظرفاء يقول من كل طبقة أخذت وقعة قنتش حتى من أهل الباطل "[6] ،و قد تمكن المستعين بعد تلك المعركة من الدخول إلى قصر قرطبة ، وبويع خليفةً ، في النصف من شهر ربيع الأول 400هـ / 1009م . و تلقب بالإضافة إلى لقبه ، لقب الظافر بحول الله[7] . أما المهدي ، فقد بقي مختفياً في المدينة أياماً

---

[1] – من موالي بني عامر ، كان يسمى أيضاً واضح العامري . (أنظر، المراكشي (عبد الواحد بن علي) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ، ص 89) .

[2] – مدينة سالم قاعدة الثغر الأوسط بالأندلس ، وهي مدينة قديمة البناء وجدد بناءها أحد القادة البربر الذين دخلوا الأندلس أثناء الفتح الإسلامي ، و هو سالم ابن ورعمال المصمودي ، لذا نسبت المدينة إليه . (انظر، أبا الفدا (عماد الدين إسماعيل بن محمد) : تقويم البلدان ، أعتنى بتصحيحه وطبعه رينود ، البارون ماك كوكين ديسلان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، 1840م ، ص 179 ؛ ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، هـ 1، ص60 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 213 – 214).

[3] – المقري ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 427 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 78 .

[4] – المراكشي ، المصدر السابق ، ص 88 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج4 ، ص 105 .

[5] – الحميدي (محمد بن أبي نصر) : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، 1966م ، ص ص 88 ؛ المراكشي ، المصدر السابق ، ص 88 .

[6] – ابن بسام ، المصدر السابق ، ق4 ، ص 45 .

[7] – ابن الأبار ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 7 .

ثم خرج منها في أول جمادى الأولى من عام 400هـ / 1009م ، قاصداً طليطلة[1] (Toledo) ، حيث ما زالت الثغور كلها من طرطوشة[2] (Tartosa) ، إلى لشبونة[3] (Lisbonne) ، على طاعـــته[4] .

و لما استقر الأمر لسليمان المستعين ، رحل إلى طليطلة ،في جمادى الثانية سنة 400 هـ / 1009م ليزيل الخلاف بينه وبين أهلها تمهيداً لدخولهم في طاعته ، ولكنه لم ينجح في مهمته ، حيث تمسك أهل الثغر بطاعة المهدي ، و واضح الصقلبي ، مما شجع المهدي على زحف نحو قرطبة رفقة جيش من النصارى ، الذي استنجد به ، وعندما علم سليمان المستعين بالله بذلك ، استنفر أهل قرطبة لنصرته ولكنهم أظهروا الجبن ، وطلبوا الإعفاء من ذلك ، فاضطر عندئذ إلى الخروج على رأس جيشه البربري[5] .

التقى الفريقان في موضع يعرف بعقبة البقر[6] (El vacar) . وذلك في شوال من سنة 400 هـ / 1010 م ، وانتهت المعركة بانتصار محمد المهدي و دخوله قرطبة[7]، ولكن الوضع لم

---

[1] – طليطلة مدينة بالأندلس ،عظيمة القطر ،كثيرة البشر، تقع على نهر التاجو ، و كانت قاعدة القوط ودار ملكهم وتتميز بحصانتها ومناعتها .(أنظر ، الإدريسي (الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز) : صفة المغرب وأرض السودان ومصر و الأندلس (مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق)، نشره دي غويه ودوزي ، ليدن ، 1894م ، ص 187 ؛ الحميري ، المصدر السابق . ص 393 ؛ أبا الفدا ، المصدر السابق ، ص 185) .

[2] – طرطوشة مدينة بالأندلس ، تتصل بكورة بلنسية ، وهي من جهة الشرق ، قريبة من البحر متقنة العمارة مبنية على نهر إبره . (أنظر ، الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 190 ؛ الحمـــوي (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله): معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1977م ،ج4 ، ص 30) .

[3] – تقع غرب الأندلس ، وهي مدينة قديمة وحسنة ممتدة على النهر ، لها سور وقصبة منيعة .(أنظر ، الحميري ، المصدر السابق السابق ، ص 61 ؛ أبا الفدا ، المصدر السابق ، ص 173) .

[4] – الحميدي، المصدر السابق ، ص 18 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 94 ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء ، ج2، ص 7 .

[5] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 113 .

[6] – عقبة البقر حصن منيع يقع على بعد 20 كيلو متر شمال قرطبة .(أنظر، السيد عبد العزيز سا لم ، تاريخ المسلمين وأثارهم بالأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، 1999م ، ص 353) .

[7] – ابن خلدون ، العبر ، ج 4 ، ص 151 ؛ ابن بسام ، المصدر السابق ، ق 1 ، ص 45 .

يستقر لمحمد المهدي ، حيث ثار عليه الصقالبة ، تحت قيادة واضح الصقلبي ، في ذي الحجة من نفس السنة ، وأعادوا هشام المؤيد إلى الخلافة [1] .

وهكذا استرد هشام المؤيد الخلافة ، بعد سلسلة من الخطوب ، والأحداث وكان يومئذ كهلاً ، في السابعة والأربعين من عمره . وكان قد مضى عليه منذ أن تولى الخلافة صبياً لأول مرة أربعة و ثلاثون عاماً [2] ، و تولى واضح الصقلبي الحجابة للخليفة ، وجدد له البيعة ، وكتب إلى سليمان المستعين وحلفائه من البربر، يدعوهم إلى الدخول في طاعة هشام المؤيد ،باعتباره الخليفة الشرعي[3].

و لكن سليمان المستعين بالله وقواته من البربر رفضوا هذا الأمر، وأخيراً دخل سليمان قصر قرطبة عام 403 هـ / 1013 م ، وكان أن استدعى هشام المؤيد ، فأنبه بسبب نقضه لما اتفق عليه من تسليم الخلافة للمستعين حيث قال له " كنت قد تبرأت لي من الخلافة فأعطيتك صفقة يمينك ، فنقضت عهدك " ، فاعتذر له بحجة أنه مغلوب على أمره[4] .

وبذلك أعلن سليمان المستعين نفسه خليفة في الأندلس للمرة الثانية[5] . وبعد أن استقر له الأمر بدأ بتنظيم شؤون الحكم، وكانت الفوضى قد سرت إلى جميع النواحي ، وتفككت عرى الدولة ، وقصر نفوذ الحكومة ،إلا على قرطبة وما يجاورها ، وقبض البربر الذين رفعوا سليمان إلى الخلافة على السلطة الحقيقية ،فتولوا مناصب الحجابة والوزارة وسائر المناصب المهمة . ورأى سليمان إرضاءهم فأقطعهم كور الأندلس ، وكانوا ست قبائل رئيسية. فأعطى قبيلة صنهاجة وزعماء بني زيري ولاية

[1] – ابن بسام ، المصدر السابق ، ق1، ص 4 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 100 .

[2] – عبدالله عنان ، الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص 649 – 650 .

[3] – ابن بسام ، المصدر السابق ، ق 1 ، ص 46 ؛ ابن عذاري ، ج 3 ،ص 100 – 101 .

[4] – ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 119 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 113 . اختلفت الروايات حول مصير هشام المؤيد ، فالبعض يقول إن سليمان أخفاه حيناً ثم قتله ولده محمد ، والبعض الأخر يقول بأنه فر من سجنه ، وقصد المرية ،حيث عاش في خمول وبؤس حتى توفي . (لمزيد من التفاصيل عن مصيره . أنظر ، المراكشي ، المصدر السابق ، ص 86-87 ، ابن خلدون ، العبر ، ج 4 ، ص 150 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 112-113).

[5] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 113 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج 4 ، ص 151 .

البيرة [1] (El bira) ، وبني يفرن ولاية جيان[2] (gean)، وبني دمر وازداجة ولاية شذونة[3] (Sadouna)، وأقر المنذر بن يحي التيجيبي على ولاية سرقسطة[4] (Saragosa)، وولي بني حـــمود الأدارسة [5] ، ثغور المغرب الأقصى [6] .

ويحتل بنو حمود الصنهاجين الصدارة في هذا المشهد السياسي لدورهم في أحداث البلاد في هذه الفترة بعد ذلك ، فقد ولي القاسم

بن حمود بن علي الجزيرة الخضراء[7] (Algecira) ، وولي أخوه علي بن حمود مدينتي سبتة[8] ، و و بلدة طنجة[9] .

---

[1]– ألبيرة مدينة كبيرة بالأندلس تقع شرق قرطبة ،بينها وبين قرطبة 90 ميلاً ، وأرضها كثيرة الأنهار و الأشجار بها عدة مدن ، منها قسطيلة وغرناطة .(أنظر ، الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص 244).

[2]– جيان مدينة بالأندلس شرق قرطبة ، وهي كثيرة الخصب وبها بساتين ومزارع .(أنظر ، الحميري ، المصدر السابق ، ص 138 ؛ أبا الفدا ، المصدر السابق ، ص177) .

[3]– شذونة مدينة بالأندلس جامعة لخيرات البر والبحر ، وقد لجأ إليها عامة أهل الأندلس ، في فترة قحط عرفته البلاد . (أنظر ، الحميري ، المصدر السابق ، ص 339) .

[4] – كانت تسمى منطقة الثغر الأعلى من أهم مدن الأندلس ، واسعة الشوارع ، حسنة الديار و المساكن ، متصلة الجنان والبساتين يذكر أن مؤسسها هو الإمبراطور الروماني أغسطس قيصر ولذا فهي تعريب للاسم الروماني (caeser augusta) . (أنظر ، الحميري ، المصدر السابق ، ص 138؛ العذري (أحمد بن عمر بن أنسي) : نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الأثار والبستان في غرائب البلدان و المسالك إلى جميع الممالك ، تحقيق عبد العزيز الأهواني ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد ، 1965م ، ص 21-22) .

[5] – يرجع نسب بني حمود إلى إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) . (انظر ، المراكشي ، المصدر السابق ، ص 90 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 119).

[6] – عبدالله عنان ، الخلافة الأموية و الدولة العامرية ، ص 653-654 .

[7] – ويقال لها جزيرة أم حكيم ، وهي جارية طارق بن زياد ، ومدينة الجزيرة الخضراء تتوسط مدن الساحل ، وهي أقرب مدن الأندلس إلى العدوة . (انظر ، الحميري ، المصدر السابق ، ص123).

[8] – سبتة مدينة بين البحرين المتوسط والمحيط ، من قواعد بلاد المغرب ، وهي على بر البربر تقابل الجزيرة الخضراء ، كما أنها مدينة حصينة ، وقد نسب إليها جماعة من أهل العلم .(انظر ، الحموي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 182-183 ؛ أبا الفدا ، المصدر السابق ، ص 133).

[9] – طنجة بلدة على ساحل بحر المغرب ، تقابل الجزيرة الخضراء ، وهي تتميز بخصوبتها ، بينها وبين سبتة مسيرة يوم واحد . (أنظر ، الحموي ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 46).

و بتولية بني حمود الصنهاجين، أمر المغرب ، والجزيرة الخضراء، تأثرت دولة المستعين ، وبدأت تسير نحو السقوط[1] . فقد بلغ الطموح بعلي بن حمود مبلغه ، فقام على الخليفة المستعين ،يروم قمة السلطة ، بعدما تغلب فيها أفراد هم في الحقيقة ليسوا أكثر منه مكانة . وهكذا خلق ابن حمود الجو المناسب ، للإطاحة بالخليفة المستعين وساعدته الظروف على ذلك ، حيث لم يلبث أن عبر من مدينة سبته و نزل في الجزيرة الخضراء ، وسار بقواته إلى العاصمة قرطبة ، حي التقى مع قوات المستعين في معركة شديدة ، خسرها هؤلاء ، ودخل ابن حمود قرطبة ، في محرم عـــــام 407 هـ / 1016م [2].

وبمقتل المستعين في نفس السنة تبدأ سلسلة الخلفاء الحموديين الذين حكموا الأندلس فكان أولهم علي بن حمود ، الذي حكم قرابة سنة قبل أن يقتل عام 408هـ / 1010م [3] ، ثم القاسم بن حمود (408هـ- 412هـ / 1010م- 1021م) ، وجاء بعده يحي بن حمود (412هـ – 413هـ / 1021م – 1022م) ، وخلفه أخوه القاسم بن حمود للمرة الثانية (414 هـ / 1023م) . وفي عهده انتهت خلافة هذه الأسرة[4]، لتنتقل إلى الأسرة الأموية مرة أخرى . وأول خلفائهم عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار ،الملقب بالمستظهر بالله ، وقد قتل في السنة التي تولى فيها الخلافة 414هـ/ 1024م ، ثم أعقبه محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الناصر، الملقب بالمستكفي ، واستمر حكمه حتى مقتله سنة 416 هـ/ 1025 [5] .

وقد عادت الخلافة إلى الأسرة الحمودية . وتولاها منهم يحي بن حمود، للمرة الثانية ، لكن سرعان ما أفل نجم هذه الأسرة ، لتستقر بعدئذ الخلافة عند بني أمية مرة أخرى ، حتى مل الناس تلك الشخصيات ، وثقلت ألقابهم أمام ندرة أعمالهم وقلة تدبيرهم ، وانتهى الأمر في سنـــــــــة

---

[1] – ابن بسام ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 38 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص114 .

[2]– ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 116- 120 .

[3] – ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 151 ؛ ابن بسام ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 100 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق السابق ، ج3 ، ص 122 .

[4]– ابن بسام ، المصدر السابق ،ق1 ، ص 101 ؛ ابن الخطيب ، المصدر السابق ص 136 .

[5] – ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 135 ؛ ابن بسام ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 35 وما بعدها من الصفحات .

422 هـ / 1031م ، بعزل هشام الثالث الملقب بالمعتد بالله أخر الخلفاء الأمويين ، و عن هذا الحدث يقول ابن الخطيب " ومشى البريد في الأسواق و الأرباض بأن لا يبقى أحد بقرطبة من بني أمية ، ولا يكنفهم أحد "[1] . ثم أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور[2] ، إنهاء رسم الخلافة لعدم وجود من يستحقها وصيرورة الأمر شورى بأيدي الوزراء، وصفوة الزعماء[3].

وهكذا انحطت الأوضاع بالأندلس في النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ، عقب سقوط الخلافة الأموية ، و بلغت الدرك الأسفل من التمزق والفوضى . وألت البلاد بعد أن كانت تمتد من ضفاف نهر الدويرة شمالاً إلى مضيق جبل طارق جنوباً ، ومن شاطئ البحر المتوسط ، و طركونة شرقاً حتى شاطئ المحيط الأطلسي غرباً ، إلى أشلاء ممزقة ، و ولايات و مدن متخاصمة سيطر على كل منها حاكم أو متغلب[4] .

---

[1] – المصدر السابق ، ص 139.

[2]– هو أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور ولد سنة 364 هـ ، قديم الرياسة ، موصوفا بالذكاء ، لم يدخل في أمر الفتنة . (انظر ، الحميدي ، المصدر السابق ، ص27 ؛ ابن بشكوال (خلف بن عبد الملك) : الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلماءهم ومحدثيهم و فقهائهم و أدباءهم ، تحقيق ابراهيم الأبياري ،مصر ، لبنان ، 1989م، ص131) .

[3] – ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 139.

[4] – عبدالله عنان ، الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص 676.

2- دويلات الطوائف

بعد سقوط الخلافة الأموية في 422هـ / 1031 م [1]، فقدت الأندلس وحدتها السياسية ، وانقسمت البلاد إلى دويلات مستقلة أطلق عليها المؤرخون اسم "دول الطوائف" ، ويعرف حكامها بـ " ملوك الطوائف " ، وهم مابين زعيم قبيلة ، أو صاحب نفوذ ، أو حاكم لإحدى الكور أو وزير سابق ، أو شيخ قضاء[2] ، وكل حاكم من هؤلاء يدّعي أنه ملك مقتدر ، بل إن جميعهم تلقبوا بألقاب تدل على سعة الملك وعظمته، وقد قال ابن رشيق القيرواني يصف حالهم :

مما يزّهدني في أرض أندلس   سماع مقتدر فيها و معتضـــد
ألقاب مملكة في غير موضعها   كالهر يحكي انتفاخ صولة الأسد[3] .

و دخلت البلاد بذلك عصرًا جديداً هو عصر ملوك الطوائف ، أو عصر الفرق كما يسميه ابن الكردبوس[4]، ويصف لنا ابن الخطيب حال الأندلس بعد الفتنة وظهور ملوك الطوائف بقوله : " وذهب أهل الأندلس من الانشقاق و الانشعاب ، والافتراق ، إلى حيث لم يذهب كثير من أهل الأقطار مع امتيازها بالمحل القريب ، والخطة المجاورة لعباد الصليب ، ليس لأحدهم في الخلافة إرث ولا في الإمارة بسبب ولا في الفروسية نسب ، ولا في شروط الإمامة مكتسب ، اقتطعوا الأقطار ، واقتسموا المدائن الكبار ، وجبوا العاملات والأمصـــار، وجندوا الجنود وقدموا القضاة ، وانتحلوا الألقاب ، وكتب عنهم الكتاب ، وأنشدهم الشعراء ، ودونت بأسمائهم الدواوين وشهدت بوجوب

---

[1]- ومما هو جدير بالذكر أن تاريخ ملوك الطوائف يبدأ منذ سقوط الدولة العامرية في نهاية المائة الرابعة الهجرية / العاشرة الميلادية ، عندما انهار سلطان الخلافة الأموية وتمزقت أوصال الأندلس . وإذا كانت الخلافة الأموية قد واصلت الحياة حتى سنة 422هـ / 1031م ، فقد كانت حياتها حياة مريض فاقد الوعي في فترة الاحتضار ولم يكن سلطان الخليفة آنذاك يتجاوز قرطبة و أرباضها . (أنظر ، عبد الله عنان، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط4 ،1997م، ص 16).

[2]- عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 14 .

[3]- المراكشي ، المصدر السابق ، ص 123 ؛ ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى) : المغرب في حلى المغرب ، حققه وعلق عليه شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، 1964م ، ط 2 ، ص 98 .

[4]- المصدر السابق ، ص 78 .

حقهم الشهود ، ووقفت بأبوابهم العلماء ، وتوسلت إليهم الفضلاء ، وهم ما بين مجبوب ، وبربري مجلوب ، ومجند غير محبوب ، وغفل ليس في السراة محسوب ، ما منهم من يرضى أن يسمى ثائراُ ، ولا لحزب الحق مغايراً، وقصارى أحدهم أن يقول: أقيم ما بيدي حتى يتعين ما يستحق الخروج بـــه إليه "[1] .

وقد انقسمت الأندلس سياسيا إلى ست مناطق رئيسية هي :

1- قرطبة وما حولها من المدن والبلاد الوسطى .
2- طليطلة .
3- اشبيلية (Sevilla)[2] ، وغرب الأندلس ، وما حولها من المدن والبلاد الوسطى .
4- غرناطة (granada)[3].
5- شرق الأندلس ، أو منطقة بلنسية (Valencia)[4] ، وما يحيط بها شمالا وجنوباً .
6- سرقسطة أو الثغر الأعلى .

هذا بالإضافة إلى المدن الأخرى التي استقلت بنفسها ، كإمارات صغيرة ثم زالت بضمها وخضوعها لإمارات أقوى منها[5] .

و قد كان لاختلاف عناصر المجتمع الأندلسي ، وتعدد طوائفه من عرب وبربر ، وصقالبة وغيرهم ، أثره في تباين أجناس القيادات السياسية من مملكة لأخرى ، و يمكن تقسيم أولئـــــــــــــك

---

[1] - المصدر السابق ، ص 144 .

[2] - إشبيلية مدينة تقع جنوب غرب الأندلس على نهر الوادي الكبير ، وهي قديمة ، ويذكر أهل اللسان اللاتيني أن أصل تسميتها ، أشبالي ، ومعناه (المدينة المنبسطة)، لها أسوار ، وسوقها عامرة ، وأهلها كثير . أنظر .(الحميري ، المصدر السابق ، ص 58-60 ؛ ابن الشباط (محمد بن علي) : قطعة من وصف الأندلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسمة المرط ، تحقيق أحمد المختار العبادي ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد، المجلد 14 ، 1967-1968 ، ص 13) .

[3] - غرناطة في الجنوب الشرقي للأندلس بينها وبين قرطبة خمسة أيام ، بها قلعة شديدة الامتناع ، و بها أشجار وثمار ومياه . (أنظر ، أبا الفدا ، المصدر السابق ، ص 177) .

[4] - بلنسية في شرق الأندلس على مسافة ثلاثة أميال من البحر ، من أهم قواعد الأندلس و أكثرها خصوبة . (أنظر ، ابن سعيد ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 297 ؛ الحميري ، المصدر السابق ، ص 97) .

[5] - عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 17 .

الملوك ، أو الأمراء إلى ثلاث فئات :

1- ملوك الطوائف العرب .

2- ملوك الطوائف البربر .

3- ملوك الطوائف الصقالبة[1] .

أولا : ملوك الطوائف العرب

1- بنو عباد اللخميون :

جدهم عطاف بن تميم ، دخل إلى الأندلس في طالعة بلج بن بشر القشيري . و مؤسس دويلتهم ، هو القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي . عندما قدمه أهل اشبيلية للنظر في شؤون مدينتهم ، لما ضاقوا بحكم العلويين وأخرجوا القاسم بن حمود وابنيه منها . لم يلبث ابن عباد أن انفرد بالأمر واستبد بتدبير شؤون اشبيلية [2] .

2 - بنو هود الجذاميون :

ينتمون إلى هود ، جدهم الأعلى ، وهو أول من دخل منهم إلى الأندلس ، وانتهى بهم المقام في مدينة سرقسطة أو الثغر الأعلى ، أسس دولتهم سليمان بن محمد بن هود الجذامي ، الذي اعتلى السلطة بعد مقتل المنذر بن يحي من بني تجيب[3] ، سنة 430هـ / 1038 م ، تلقب سليمان بالمستعين بالله وكانت دولته أكبر دويلات الطوائف و أهمها [4].

[1] - أحمد المختار العبادي ، دراسات في تارخ المغرب و الأندلس ،الإسكندرية ، 1997م ، ص 89-92 .

[2]- الحميدي ، المصدر السابق ، ص 23 ؛ ابن بسام ، ق2 ، ص14-15 ؛ا بن الأبار ، الحلة السيراء ، ج2 ، ص 34-35 ؛ القلقشندي (أحمد بن عبد الله) : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، دار الكتب الخديوية ، القاهرة ، 1915 م، ج 5 ، ص 267.

[3] - ينتسبون إلى تجيب بن ثوبان من قبيلة مذحج العربية ، وكان أول من دخل منهم الأندلس عميره بن المهاجر .(أنظر ، ابن الحزم (علي بن أحمد بن سعيد): جمهرة أنساب العرب ، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون ، ط4 ، دار المعارف ، مصر، 1977 م، ص 429.

[4]- ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج2 ، ص 246 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 221.

3 – بنو القاسم الفهريون :

كانوا في مدينة ألبونت[1](Al buente)، ومؤسس هذه الدويلة هو عبد الله بن القاسم ، الذي انفرد بحكم المدينة منذ بداية الفتنة ، وهو من زعماء البيوت العربية التي استقرت في الشمال الشرقي للأندلس ، فحكمها واستقل بها وبما حولها من الأراضي ، و يرجع نسب بني القاسم إلى قبيلة قريش العربية[2] .

4 – بنو جهور في قرطبة :

خلع أهل قرطبة الخليفة هشام الثالث ، الملقب بالمعتد بالله ، في ذي الحجة عام 422هـ / 1031م ، وألغو الخلافة الأموية ، بعد أن يئسوا من صلاح أمرها [3]. واجتمعوا على تنصيب الوزير أبي الحزم جهور بن محمد بن جهور رئيساً لحكومة قرطبة ، فاختار بدوره مجلساً عدا بمثابة السلطة التشريعية العليا في المدينة . وقد استطاع من هذا المجلس أن يضع جميع الزعماء والأفراد أمام مسؤولياتهم وواجباتهم ، فحمدت سياسته واستقرت الأمور وتمكنت حكومته من منافسة المنافسين ، وتمرد الطامعين[4] .

ثانيا : ملوك الطوائف البربر :

1- **بنو مناد الصنهاجين في غرناطة**

تنتسب أسرة بني مناد إلى قبيلة صنهاجة البربرية ، وقد ظهر البربر منذ أيام المنصور محمد بن أبي عامر ، الذي استطاع أن يستميل كثيرا منهم إلى جانبه، وشجعهم على القدوم إلى الأندلس . فدخلته قبيلة صنهاجة بزعامة زاوي بن زيري ، و كان لهم دور كبير في الفتنة ، التي قامت بعد وفاة محمد بن أبي عامر ، حيث وقفوا إلى جانب سليمان المستعين بالله ضد خصمه المهدي ، فأقطع صنهاجة وفي مقدمتهم زاوي بن زيري ورجاله ولاية ألبيرة التي استقروا فيها وأقاموا بها ولايـــــة

---

[1] – ألبونت مدينة تقع في الشمال الشرقي من الأندلس ، ووصفها ابن سعيد بأنها معقل من المعاقل الرفيعة وفي عصر الطوائف استقل بها بنو القاسم .(أنظر ، ابن سعيد ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص290 ؛ الحميري ، المصدر السابق ، ص 115) .

[2] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 215 ؛ عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 260-261.

[3] – ابن بسام ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 602 .

[4] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 186 ؛ الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 57 ؛ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 8 ، ص 107 .

غرنـــــاطة[1] .

2 – بنو الأفطس في بطليوس[2] (Badajoz):

ملك هذه الولاية عبد الله بن مسلمة بن الأفطس ، الذي ينحدر من قبيلة مكناسة البربرية . تولى أمرها بعد وفاة سابور العامري ، واستبد بسياستها وتدبيرها ، وتلقب بالمنصور ، ودافع باستماتة كبيرة عن مدينته، واستطاع أن يوطد حكمه فيها. وبعد وفاته خلفه محمد (المظفر) ، الذي سار على منوال أبيه في الدفاع عن دولته[3] .

3 – دولة بني رزين في شنتمرية الشرق[4] (Albarracin) :

عقب الفتنة التي شهدتها البلاد ، استطاع هذيل بن عبد الملك أن يستبد بحكم شنتمرية الشرق وأعمالها ، وذلك في سنة 403هـ / 1112م ، وقد تلقب بالحاجب عز الدولة ، ثم خلفه ابنه أبو مروان بن هذيل ، الذي تلقب بذي الرياستين الحاجب جبر الدولة[5] .

4 – بنو ذي النون في طليطلة :

تعتبر طليطلة من المدن المشهورة في الأندلس . حيث شكلت قاعدة لثغر الأوسط ، وحاجزا منيعا في وجه الممالك المسيحية بشمال اسبانيا ، وعقب الفتنة وقعت وما يلحق بها في حوزة بني ذي النون ، و تولى اسماعيل بن ذي النون حكم المدينة أول مرة سنة 427 هـ / 1036م [6] . ثم خلفه ولده يحي سنة 435هـ / 1043م ، وتلقب بالمأمون ، وقد امتاز عهده بكثرة الحروب والمنازعات

---

[1]– عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 120 وما بعدها من الصفحات .

[2]– مدينة كبيرة بشمال الأندلس من أعمال ماردة ، تقع غرب قرطبة ، وهي مدينة حديثة بناها عبد الرحمان المعروف بالجليقي بإذن من الأمير عبد الله ، وهي مدينة جليلة في بسط الأرض ولها ربض كبير .(أنظر ،الحموي ، المصدر السابق ،ج1 ، ص447 ؛ الحميري،المصدر السابق، 93) .

[3] – ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج 2 ، ص 96 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 236 .

[4] – مدينة تقع بجنوب الأندلس ، على شاطئ البحر ، و هي أول الحصون التي تعد لبنبلونة ، مبنية على نهر أراغون حسنة عامرة كثيرة الديار . (أنظر ، الحميري، المصدر السابق ، ص 517-518).

[5] – ابن بسام ، المصدر السابق ، ق3 ، ص 84-85 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق، ج3 ، ص 307-309 .

[6] – ابن خلدون ، العبر ، ج 4 ، ص 161 ؛ المقري ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 441 ؛ ابن بسام ، المصدر السابق ، ق ق 3 ، ص 163 وما بعدها من الصفحات .

بينه وبين ملوك دول الطوائف كبني عباد وبني هود[1] . وبعد وفاته تولى الأمر حفيده يحي بن ذي النون الملقب بالقادر ، وتعد فترة حكمه فترة احتلال سياسي واضمحلال لقوة هذه المملكة ، مما أدى إلى سقوط طليطلة في يد الفونسو السادس (Alfonso)- الفنش و أذفونش في الرويات العربية – ، ملك قشتالة[2] (Castilla) وليون[3] (Leon)، في صفر 478هـ / ماي1085م [4] .

ثالثا : ملوك الطوائف الصقالبة :

1- خيران العامري في ألمرية[5] (Al meria)

كان خيران من الفتيان الذين شاركوا في أحداث الفتنة ، وأعادوا الخلافة لهشام المؤيد . ولكن خصومهم من البربر، كانوا أكثر سيطرة على الأحداث ، فبعد دخول سليمان المستعين قرطبة ، خاف الفتيان عاقبة ذلك ، فغادروا المدينة ، وكان منهم خيران الذي سار أولا إلى أوريولة[6] (Orihuela) ، فاستولى عليها ، ومنها وثب على مرسية[7] (Murcie) ، ليخرج إلى مدينة ألمرية ، التي يحكمها أفلح الصقلبي ، فقتله خيران ، وانتزع منه المدينة سنة 405هـ / 1041م ، وغدت ألمرية منذ ذلك الحين قاعدته الرئيسية ، فعمد إلى إصلاحها [8] .

---

1 – ابن بسام ، المصدر السابق ، ق4 ، ص 142 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص276 .

2– اصطلح العرب على تسميتها ألبه والقلاع ، وقد سميت بالقلاع لكثرة القلاع الموجودة فيها ،وتقع بين مملكة نفار ومملكة ليون .(أنظر ، ابن الأبار ، الحلة السيراء،ج1 ، هـ 2 ، ص 135).

3 – إحدى الممالك النصرانية في الشمال ، وقاعدة مدينة ليون . (أنظر ، أبو الفدا ، المصدر السابق ، ص 185) .

4 – المقري ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 441 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج 4 ، ص 161 ؛ ابن بسام ، المصدر السابق ، ق4 ، ص 163 وما بعدها من الصفحات .

5– مدينة على ساحل جنوب شرق الأندلس بين مالقة ومرسية ، أمر ببنائها عبد الرحمن الناصر سنة 344هـ ، وكانت من أهم القواعد البحرية الأندلسية في العصر الإسلامي . (أنظر الحميري ، المصدر السابق ، ص 138؛ أبو الفدا ، المصدر السابق ، ص 176-177) .

6 – مدينة بجنوب شرق الأندلس وهي قديمة ، كانت قاعدة العجم ،وموضع مملكتهم وتعني باللاتينية ، الذهبية ، ولها قصبة في غاية الامتناع . (أنظر ، الحميري ، المصدر السابق ، ص 68) .

7 – تقع في الجنوب الشرقي للأندلس ، بناها عبد الرحمن الأوسط ، واتخذت دار للعمال وقرار للقواد ، كان يطلق عليها البستان لكثرة جنانها. (أنظر ، الحميري ، المصدر السابق ، ص 181 ؛ العذري ، المصدر السابق ، ص 1-6) .

8 – ابن بسام ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 43 ؛ عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 159.

وبعد وفاة خيران ، تولى صاحبه زهير العامري مكانه ، ولكن ما لبث أن قتل ، فأخذ بزمامها زهير بن معن بن صمادح التجيبي[1] .

2- زهير العامري في مرسية :

بعد وفاة خيران العامري ، خلفه على حكم ألمرية ومرسية و أوريولة زهير العامري . الذي استمر حكمه لها إلى أن لقي مصرعه في حربه مع باديس بن حبوس صاحب غرناطة عام 429هـ / 1038م ، وكان على مرسيه وقت أن كان زهير أميرا على ألمرية نائبه أبو بكر بن إسحاق بن الطاهر ، الذي استغل استيلاء المأمون بن ذي النون على بلنسية سنة 457هـ / 1064م ، ليعلن استقلاله بحكم مرسية إلى غاية سقوطها على يد المعتمد بن عباد ملك اشبيلية سنـــــــــة 474 هـ /1078م [2] .

3 – مجاهد بن يوسف العامري في دانية (Denia) والجزر الشرقية:

كان مجاهد من أشهر الفتيان العامريين ذكاءاً وشجاعةً ، فقد استولى على دانية[3] والجزر الشرقية (جزر البليار) ، وهي ميورقة[4] (Mallorca) ، ومنورقة[5] (Minorca) ، ويابسة[6] (Ibiza) ، بعد حدوث الفتنة التي قتل أثناءها مولاه عبد الرحمان شنجول ، ويذكر أنه كان متوليا على الجزر الشرقية ولما علم بوقوع الفتنة ، انطلق واستولى على دانية في أوائل أيام الفتنة[7]. فأصبحت دانية والجزر الشرقية من أعظم دويلات الطوائف في الأندلس ، وكبرى قواعد الجهاد البحري في الحوض الغربي للبحر المتوسط[8] .

---

[1] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 167–170.

[2] – ابن بسام ، المصدر السابق ، ق 3 ، ص 22–23.

[3] – تقع على الساحل الشرقي للأندلس ، عامرة حسنة ، لها ربض عامر وعليها سور حصين . (أنظر ، الحميري ، المصدر السابق ، ص 188).

[4] – هي إحدى جزر البليار الثلاث و أكبرها ، وهي إلى الشرق من بلنسية ودانية وإلى الغرب من جزيرة منورقة . (أنظر ، الإدريسي ، المصدر السابق ، ص214؛ الحميري ، المصدر السابق ، ص188) .

[5] – تقع جزيرة منورقة إلى الشرق من جزيرة ميورقة ، وهي تقابل برشلونة . (أنظر ، الحموي ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 216؛ الحميري ، المصدر السابق ،ص 188) .

[6] – تقع غرب جزيرة ميورقة ، فيها تنشأ المراكب لجودة خشبها . (أنظر ، الحموي ، المصدر السابق ، ج 5 ، ص 424) .

[7] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 155–156 ؛ عنان ، دول الطوائف ، ص188.

[8] – عصام سالم يسالم ، جزر الأندلس المنسية (التاريخ الإسلامي لجزر البليار) ، دار العلم ، بيروت ، لبنان ، 1984م ، ص 135 .

3 – ميزات عصر ممالك الطوائف :

استمر عصر ملوك الطوائف في الأندلس ، أكثر من ثمانين سنة . سادته كل مظاهر الفرقة والخلاف ، و قد اشتدت أثناءه ألوانا مختلفة من النزاع المرير ، وتحملت البلاد نتائج ذلك الانحلال السياسي والاجتماعي و الاقتصادي ، و يتحمل هذه الأوضاع كل عناصر المجتمع الأندلسي دون استثناء ، فالجميع عمل على تكوين الدويلات في المناطق التي يتواجدون فيها ، و اعتمدوا على القوة العسكرية لفرض سلطانهم على من هم أضعف منهم قوة[1] .

و من أولى الميزات التي تميز بها عصر ملوك الطوائف ، هو أن هذه التجمعات والدويلات لم تلتزم سواء في علاقاتها ببعضها البعض ، أو بشعوبها سياسة إسلامية ، تقوم على رفع شأن الإسلام وتوسيع نفوذه ، ومحاربة المسيحيين في الشمال ، والتضحية من أجل إعادة الأسس التي أقام عليها أمراء و خلفاء بني أمية دولتهم[2] . وإنما هناك سياسة واحدة عمل من أجلها ملوك الطوائف وهي العمل بكل الوسائل الممكنة ، سواء عن طريق الحرب ، أو المؤامرات، أو الإغواء أو المعاهدات من أجل التوسع على حساب الدويلات المجاورة[3] .

كما اهتم كل واحد من ملوك الطوائف بالعمل على تحقيق مصالحهم الخاصة دون مراعاة المصلحة العامة ، أو حتى مصلحة الجماعة المنضوية تحت حكمهم . لقد كان حكام هذه الدول ضعافاً في وطنيتهم ودينهم .ولم يولوا الكرامة الشخصية أي اهتمام[4] ،فعندما سقطت بربشتر[5](Barbastro) ، سنة 456هـ /1064 م ، وطليطلة سنة 478هـ /1085 م ، لم يسارع أي واحد من هؤلاء الملوك إلى نجدتهما ، بل إن المقتدر بن هود لم يحرك ساكناً عندما سقطت بربشتر في يد النورمان[6] ،

---

[1]– عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 418 .

[2] – رجب عبد الحليم ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية و ملوك الطوائف ، القاهرة ، لبنان ، بدون تاريخ ، ص 274.

[3] – ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 144 .

[4]– ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 160 ؛ عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 418.

[5]– تقع مدينة بربشتر شمال شرق سرقسطة بين لاردة و وشقة ، وهي من أمهات مدن الثغر الأعلى على درجة من الحصانة والامتناع . (أنظر ، الحميري ، المصدر السابق ، ص 90) .

[6] – ورد ذكرهم في الروايات العربية باسم الأرمانذين والمجوس ، وهم العناصر الشمالية التي سكنت شبه الجزيرة الاسكندنافية لذلك يلقبون بالنورمان أي سكان الشمال ، أما لقب المجوس فأطلقه العرب عليهم لأنهم يضرمون النار كثيرا في المناطق التي ينزلون فيها ، فظن العرب أنهم يعبدونها مثل المجوس .كما يلقبون أيضا بالفيكنغ (el viking) ومعناه ســــــكان =

لكونها من أملاك أخيه يوسف بن هود . أما طليطلة فسقوطها هز الأندلس برمتها ، ولم يسجل من أولئك الحكام ، إلا المواقف المتخاذلة[1] .

و ميزة أخرى لهذا العصر : هي غياب أساس شرعي معين لحكم هؤلاء الملوك والأمراء المتصارعين ، فلم يكونوا من بيت إمارة أو خلافة ؛ و إنما هم متغلبون ذهب كل واحد منهم إلى ناحية عقب انهيار دولة بني عامر ، وبني أمية ، و استولى عليها وأقام ملكه فيها ، أو كان حاكما لتلك المنطقة قبل الفتنة فاستقل بها[2] .

كما حرص كافة ملوك الطوائف على الاتسام بسمات الملك و التلقب بشتى الألقـــــاب السلطانية[3] . حتى أن بعضهم أن اصطنع لدولته وحكمه الشرعية والخلفية اللازمة لتوسيع أعماله ، و فرض سلطانه على الآخرين عن طريق تنصيب الخلفاء بطريقة غريبة ، كما فعل مجاهد العامري صاحب دانية عندما نصب أحد أفراد الأسرة الأموية ، يدعى عبد الله بن عبد الله بن الوليد المعروف بالمعيطي خليفة في دانية ، و بايعه و سماه أمير المؤمنين ثم لم يلبث أن خلعه[4] .

كما قام بنو عباد ، أصحاب اشبيلية ، بتنصيب شخص يسمى خلف الحصري ، وادعوا أنه الخليفة هشام المؤيد ، و نادوا له بالخلافة سنة 425هـ / 1034م . و بايعوه و أرسلوا إلى الملوك الآخرين يحثونهم بالدخول في طاعته فاعترف بخلافته ملوك طليطلة ، و بطليوس ، وسرقسطة و ألمريــــــــــة[5].

كما تميز هذا العصر بصراع عنيف بين هؤلاء الملوك ، من أجل كسب ما يمكن كسبه من الحصون والمدن . فقد فقدت الأندلس جراء ذلك الصراع الآلاف من أبنائها ،وفقد الأمن وساءت الأحوال

= الفيوردات أو الخلجان ، أما أصلهم فهم من الشمال، وينقسمون إلى ثلاث مجموعات (السويديون ، النرويجيون ، الدنماركيون) والمجموعة الثالثة هي التي هاجمت مدينة بربشتر .(أنظر ، ابن الأبار ، الحلة ، ج 2 ، هـ 2 ، ص 247 ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1976 ، ص 174).

[1] – خليل إبراهيم السمائري وآخرون ، المرجع السابق ، ص 249.

[2] – ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 144 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص158.

[3] – المراكشي ، المصدر السابق ، ص 123 .

[4] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص116.

[5] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 219 ؛ حسين مؤنس ، موسوعة تاريخ الأندلس ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1996م ، ج2 ، ص 9-10.

الاقتصادية نتيجة الاضطراب ، و الفوضى التي خيمت على المناطق المتنازع عليها[1]. و من أشـد هذه الصراعات بين ملوك الطوائف ، ذلك الصراع الذي نشب بين بني ذي النون حكام طليطلة ، وبين بني هود حكام سرقسطة ، بسبب تنافسهم على امتلاك مدينة وادي الحجارة[2] (guadalagara) . ولما استولى عليها بنو هود ثارت ثائرة المأمون بن ذي النون ، و استعان بنصارى الشمال ،كما تحالف مع المعتضد بن عباد ،و دخل في دعوته لخلف الحصري[3] .

ولم يكن الصراع القائم بين ملوك الطوائف ، صراعاً حزبياً أو قائماً على أساس عرقي ، بل أن العرب حاربوا بعضهم بعضا ، مثلما حدث بين بني عباد في اشبيلية وبني جهور حكام قرطبة ،كانت النتيجة ضم بني عباد قرطبة إلى أملاكهم ،و سار على منوالها البربر ، عندما حارب بنو زيري حكام غرناطة بني برزال حكام قرمونة [4] .

و قد أدى هذا الصراع المؤلم بين ملوك الطوائف إلى استنجاد بعض حكام المسلمين بملوك النصارى في شمال اسبانيا ، حتى أصبح مصيرهم بأيدي هؤلاء النصارى ، حيث أنهم فرضوا عليهم دفع الجزية لهم مقابل ضمان بقاء دويلاتهم قائمة. وفي ظل هذا الضعف الملموس ، عجز ملوك الطوائف عن صد أطماع المسيحين ، حيث استولى الفونسو السادس ملك قشتالة وليون على إحدى أهم وأكبر المدن في الأندلس ، وهي مدينة طليطلة في صفر 478هـ / ماي 1085م [5]. وكانت طليطلة أول أول قاعدة يفتكها المسيحين من صرح الدولة الإسلامية بالأندلس ، و قد شجع هذا الفوز ، الملك القشتالي ، الفونسو السادس على المضي قدما للإستيلاء على المزيد من المدن الإسلامية [6] .

[1] – خليل إبراهيم السمائري و آخرون ، المرجع السابق ، ص 278.

[2] – وادي الحجارة مدينة معروفة بمدينة الفرج بالأندلس ، وهي بالقرب من مدينة سالم ، وبينها وبين طليطلة خمسة وستون ميلاً، وهي مدينة حسنة ولها أسوار .أنظر .(الحميري ، المصدر السابق ، ص 606 ؛ أبا الفدا ، المصدر السابق ، ص 179) .

[3] – الزيري (الأمير عبدالله بن بلكين): مذكرات الأمير عبد الله ، المسمات كتاب التبيان ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، مصر ، 1955م ، ص 77 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 277-278.

[4] – قرمونة مدينة بالأندلس في الشرق من اشبيلية ، وهي مدينة كبيرة وقديمة يقال أنها تعريب للكلمة اللاتينية ،كارب مويه ، التي تعني صديقي . (أنظر ، الحميري ، المصدر السابق ، ص 461؛ ابن الشباط ، المصدر السابق ، ص 110) .

[5] – المقري ، المصدر السابق ، ج1 ، ص441 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج 4 ، ص 201.

[6] – عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 287.

وقد عبر عن هذه الأطماع المسيحية أصدق تعبير الشاعر الطليطلي أبو محمد عبد الله بن الفرج بن عزنون اليحصبي المعروف بابن العسال بقوله :

يا أهل الأندلس شدوا مطيكم   فما المقام بها إلا من الغلـــط

الثوب ينسـل من أطرافه و أرى   ثوب الجزيرة منسولا من الوسـط [1].

هذا بالنسبة للسياسة الخارجية لملوك الطوائف . أما عن سياستهم الداخلية ، فلم تكن ناجحة و موفقة خاصة مع رعيتهم . لقد باتت بلاطاتهم مرتعا خصيبا للخلافات الضيقة ، وهي تعكس دون شك ، سوء تدبير هؤلاء الحكام ، ولهفهم الشديد على مباهج السلطان ، إذ لم تنجو أسرة واحدة من الأسرات الحاكمة من الصراع الداخلي بين أفرادها على كرسي الحكم . مما أثرا سلبا على الإستقرار السياسي الذي يحقق لهم ما فيه صلاح لشعوبهم[2]، وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى النزاع الذي وقع بين خلفاء بني حمود على الخلافة كانت نتيجته انفصال اشبيلية عن قرطبة تحت حكم بني عباد سنة 414هـ / 1023م . كما أدى هذا الصراع إلى سقوط الخلافة الحمودية نفسها في قرطبة [3] .

وقد أدى هذا الصراع القائم بين ملوك الطوائف من جهة ، و النزاعات الداخلية بين أفراد الأسر الحاكمة من جهة أخرى إلى زيادة فساد الحكام و الأمراء و الملوك ، تحملت الرعية جراءه مشقات كبرى وقاست في ظله أنواع الاضطهاد و الظلم ،كان أهم مظاهرها الضرائب المفروضة عليهم ، و التي أثقلت كواهلهم حتى ساءت أحولهم بشكل لا يطاق[4] .

و بقدر ما ظهر التنافس بين ملوك الطوائف حول الحدود ، وحيازة المدن ، و القلاع كان تنافسهم شديدا أيضا في بناء القصور، والمنتزهات ، و اتخاذ الألقاب التي لا تحظى بأي قيمة[5]. و ظل ملوك الطوائف شديدي الحرص و الإهتمام بما يدعم ملكهم ويفرض هيبتهم . أما المجون وشرب الخمر ،

---

[1] – ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد): وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار صادر ، لبنان ، بدون تاريخ ، ج5 ، ص 27-28

[2] – رجب عبد الحليم ، المرجع السابق ، ص 287-288 .

[3] – الحميدي ، المصدر السابق ، ص 30-35.

[4] – ا بن عذاري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 162.

[5] – ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص 89 ؛ المراكشي ، المصدر السابق ، ص 123 .

والانغماس في الملذات الجسدية ، والإكثار من الجواري ، فكل هذه الموبقات شكلت قاسما مشتركا بين هؤلاء الملـــــوك [1].

و في خضم هذه الأوضاع الحالكة و المأسوية ، استعاذ الناس بخالقهم راجين منه الخلاص من هؤلاء الحكام الظلمة ، وممن جسد هذا الشعور ، وعبر عن غيظه ، ابن حزم ، حيث شخص ببصره إلى السماء ، ورفع يديه إلى السماء فقال : " اللهم إننا نشكو إليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملتنا بدنياهم عن إقامة دينهم ، وبعمارة قصور يتركونها عما قريب ، عن عمارة شريعتهم اللازمة لهم في معادهم ودار قرارهم ، وبجمع أموال ربما كانت سبباً في انقراض أعمارهم وعوناً لأعدائـــــنا عليهم ...." [2] .

و إذا كان لهؤلاء الحكام من حسنات ، و إيجابيات ، فإنها سجلت لهم ، في الحياة العلمية ، فقد كانت في الفترات القليلة التي تتوقف فيها الحرب الأهلية تتمتع بقسط لا بأس به من الرخاء وتغمرها الحركة والنشاط ، و أما ملوك الطوائف فعلى الرغم من طغيانهم ، فإنهم شجعوا العلوم والآداب ، و باتت هذه الظاهرة الثقافية من أبرز ميزات عصر الطوائف ، ومن ذلك ترك معظم هؤلاء الحكام بصماتهم على هذا الحقل ، وباتوا من أكابر الأدباء و الشعراء والعلماء ، كالمعتمد بن عباد صاحب اشبيلية ، والمقتدر بن هود صاحب سرقسطة ، و غدت قصورهم منتديات زاهرة ، ومجامع للعلوم والآداب والفنون ، و اشتهر هذا العصر بجمهرة من العلماء والكتاب والشعراء الممتازين ، و برز منهم من ضرب بسهم في تاريخ الفكر الإسلامي سواء في الأندلس أو خارجها [3] .

---

[1]– ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج 1 ، ص 43-45 ؛ الزيري ، المصدر السابق ، ص 50 .

[2] – ابن حزم ، الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل أخرى ، تحقيق احسان عباس ، القاهرة ، 1948م ، ص 54 .

[3]– عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 423 ؛ محمد العروسي المطوي ، الحروب الصليبية في المشرق و المغرب ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، 1982م ، ص 213 .

ثانيا : الأوضاع السياسية لاسبانيا النصرانية خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي :

إن المتتبع لخريطة اسبانيا النصرانية خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي يتوهم أنها كانت مقسمة إلى ممالك متفرقة ، منها قشتالة وليون و نفار[1](Navara) – نبرة في الروايات العربية – وأراغون (Aragon) ، و أن صراعا حادا يسودها ، ويمزق أوصالها طوال هذا القرن ، لكن الواقع أن الوحدة كانت تجمعهما ؛ فملك قشتالة كان ينجح في الغالب في ضم ليون إلى مملكته ، وربما يحدث العكس ثم يبسط سلطانه على نفار و أراغون ، وبذلك أصبحت تلك الممالك الأربع جبهة واحدة أمام الطوائف الإسلامية المتعددة المتطاحنة ، و حتى إمارة برشلونة(Barcelona)[2]، تسير في نفس المسار فيما يتعلق بالعلاقة مع ملوك الطوائف . وغدا الهدف المشترك لكل القوى المسيحية هو ضرب المسلمين وإخراجهم من البلاد[3] .

1– أوضاع مملكة قشتالة وليون :

عندما شرع المسلمون في فتح الأندلس في رمضان 92هـ / جوان 711 م ، لم يكملوا فتحه ، حيث تركوا بعض المناطق في أقصى شمالها ، نظراً لقساوة مناخها ، و صعوبة تضاريسها ، و استصغارا لأمرها . وانصرفوا إلى شؤونهم الداخلية ، مما هيأ الجو لأعداد قليلة ، من سكان هذه المناطق ، لتُكون لنفسها كياناً قوياً ، يستطيع مع الأيام منافسة الدولة الإسلامية الناشئة [4] .

---

[1] – تسمى ببلاد البشكنس (Basques) ، عاصمتها بنبلونة وتقع شرق مملكة ليون محاذية لجبال البرانس . (أنظر ، البكري (أبو عبد الله بن عبد العزيز) : جغرافية الأندلس و أوربا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق عبد الرحمان حجي ، بيروت ، 1968 م ، ص 79) .

[2] – وتسمى أيضا كتلونيا (catalonia) ، و أهلها بالكتلان نسبة إليها ، وهي بلاد قائمة بذاتها ، تمتد من جبال البرت (البرانس) شمالا إلى بلنسية جنوبا ومن سرقسطة غربا إلى البحر المتوسط شرقا ، افتتحها المسلمون عام 94هـ/ 713م . (أنظر ، البكري ، المصدر السابق ، ص 96) .

[3] – رجب عبد الحليم ، المرجع السابق ، ص 241 .

[4] – رينهرت دوزي ، المسلمون في الأندلس ، ترجمة وتعليق حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1994م ، ج2 ، ص 14 ؛ خليل إبراهيم السمائري وآخرون ، المرجع السابق ، ص 134.

وأول من جمع هذه الأعداد القليلة من السكان هو، بلايو[1] (Pelayo) – بلاي في الروايات العربية – الذي اتخذ من منطقة أشتريس[2](Asturias) في أقصى شمال اسبانيا ، قاعدة لتنفيذ مشروعه[3] . وكان انتصاره على المسلمين ، في موقعة كوفادونجا[4] (Covadonga) عام 133هـ / 750م ، التي تقع في سلسلة جبال كنتبرية (Cantabria) المنيعة ، بداية لما اصطلح عليه المؤرخون الإسبان بحركة الاسترداد[5] . و لما توفي بلاي في نفس العام ، خلفه في حكم أشتريس زوج ابنته ، الفونسو الأول حاكم كنتبرية ، الذي استطاع أن يوحد بين أشتريس وكنتبرية وجعل منهما مملكة واحدة سميت مملكة جليقية [6] (Galicia) . وحملت هذا الاسم إلى غاية عام 910م ، عندما قام الملك غرسيه (Garcia) بن الفونسو الثالث ، بنقل العاصمة إلى ليون ،و سميت منذ ذلك الحين بمملكة ليون[7].

---

[1] – اختلفت المصادر حول أصله ، ولا يعرف على وجه التحديد ، إن كان قوطيا أو من سلالة الآيبرين الرومان ، الذين حكمهم القوط حتى الفتح الإسلامي . ترجح بعض الروايات أنه كان ابنا لفافيلا دوق كنتبرية ؛ في حين ذهب فريق أخر إلى أن بلاي كان حاملا لسيف لذريق ، وأنه هرب إلى أشتريس حينما غزا المسلمون البلاد ، و نصب نفسه أميرا عليها . (أنظر ، المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 350 ؛ ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 322-323 ؛ حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ط2 ، 1985م ، ص 318 وما بعدها من الصفحات).

[2] – تقع منطقة أشتريس بين جبال كنتبرية (cantabria) شرقاً و جليقية غربا ، ويعرف سكانها بالأشتورين نسبة إلى واد أشتور (Astura) ، الذي يسميه الجغرافيون العرب بواد أشترو . (أنظر ، طه عبد المحسن رمضان ، الحروب الصليبية في الأندلس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 2001م ، ص 131) .

[3] – المقري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 350 ؛ ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 320 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج4 ، ص 229 .

[4]– سميت باسم كوفا دونغا نسبة إلى الكهف الذي دارت المعركة بالقرب منه ، والذي كان بلاي و أتباعه يختبئون فيه ، وقد تمكن بلاي من هزيمة المسلمين فيها وقتل قائدهم علقمة ، وتعتبر المدونات الإسبانية أن النصر في هذه المعركة يعتبر البداية الحقيقية لحركة الاسترداد . (أنظر ، طه عبد المحسن رمضان ، المرجع السابق ، ص 258 ؛ حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص321 وما بعدها من الصفحات).

[5]– حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص 321 .

Alfonso el sabio , primera cronica géneral Estoria De Esbana , t. 2 , publicdo por Ramon menèndez bidal , Madrid , 1906 , p. 322 sqq .

[6]– تقع بلاد جليقية في أقصى الشمال الغربي للأندلس ، وهي بلاد لا يطيب سكناها لغير أهلها . (أنظر ، الحموي ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 157) .

[7] – المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 351 ؛ ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 323-324 .

أما قشتالة فكانت تسمى (بردوليا)، و أصل سكانها من البشكنس . يعود أساس ظهورها إلى التوسعات التي قام بها الفونسو الثالث ، ملك ليون جنوبا وشرقا .كانت عبارة عن مجموعة كبيرة من الحصون و القلاع ومنها جاء اسم قشتالة (Castilla) التي تعني الحصون ، وقد انحصر دورها في البداية في حماية ليون من هجمات المسلمين . وكان يتزعم كل قلعة من هذه القلاع أمير يدير شؤونها و يتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي . ولم تلبث هذه القلاع أن اتحدت في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي بزعامة أقوى أمرائها وهو فرناندو غونثالث (Fernando gonzalez) ، و استقلت عن مملكة ليون و أصبحت تعرف بإمارة قشتالة . ثم أخذت في التوسع وضمت أبلة (Avila) ،و سقوبية (sègire)، و شورية (Soria) ، و برغش[1] (Burgos)، وتطورت هذه الأخيرة إلى أن أصبحت عاصمة مملكة قشتالة[2] .

في نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي كانت إمارة قشتالة من أقوى الممالك النصرانية بالشمال ، وكان يعيش في عاصمتها برغش ، سانشوالكبير(Sancho el mayor) – شانجة في الرويات العربية – ملك نفار (1000م / 1035م) ، الذي تزوج ألبيرة (elvira) ابنة سانشو غرسيه (Sancho guarcian) أمير قشتالة ، وعن طريق هذه المصاهرة ورث سانشو الثالث إمارة قشتالة ، بعد أن تم اغتيال آخر أمرائها سانشو غرسيه عام 1028م ، دون أن يترك وريثاً للعرش فعين سانشو الكبير ابنه فرناندو(fernando) – فرذلند في الروايات العربية – حاكما لها و أصبغ عليه لقب ملك . فكان أول ملوك قشتالة (1028م/1065م)[3] .

ومنذ هذا الحين ولدت مملكة قشتالة ، مما سمح لها من لعب دور الزعامة ، في حركة الاسترداد في الأندلس .

و كان أول عمل قام به فرناندو الأول ، ملك قشتالة هو ضم مملكة ليون بالقوة وتوحيد المملكتين ، وكان هذا الأخير قد تزوج أخت برمودو(Vermudo) أخر ملوك ليون وجليقية ، لعله يصل إلى عرشها عن طريق هذه المصاهرة كما فعل والده من قبل ، إلا أنه لم يصبر حتى موت برمودو ، وقام

---

[1] – تقع مدينة برغش غرب بنبلونة بالقرب من مملكة ليون ، وهي قاعدة مملكة قشتالة كما أنها مدينة حصينة ومنيعة ومحاطة بعدة أسوار ، و تشتهر بصناعة الأسلحة . (أنظر ، أبا الفدا، المصدر السابق ، ص 185).

[2] – ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 326-327 ؛ عبدالله عنان ، الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص 590 .

[3] – يوسف أشباخ ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة محمد عبد الله عنان ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، ط2 ط2 ، 1940م ، ص 11؛ عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 376 .

على رأس قواته بمساعدة أبيه سانشو الكبير ، ملك نفار ، و احتلها ثم أعلن نفسه ملكا عليها ، وفر برمودو الثالث الذي ظل ينتظر الفرصة للعودة إليها[1] .

و قبيل وفاته ، قسم سانشو الكبير مملكته الكبيرة بين أولاده الأربعة . فخص أكبر أولاده ،غرسيه، بالوطن الأصلي (نفار) ، وخص فرناندو بمملكة قشتالة ، وخص ابنه الغير الشرعي راميرو (Ramiro) – ردمير في الروايات العربية – ، برقعة ضيقة شرق نفار، أصبحت تسمى مملكة أراغون ، وهي مملكة تظهر لأول مرة وسيكون لها شأن كبير فيما بعد ، وخص ولده الرابع كونزالو (Conzalo) ، بمنطقة صغيرة أخرى وسط جبال البرانس [2] (purenees) ، وهي ولاية سوبراب (Sobrabe) ، ورباجورسة (Ribajorsa)[3] .

وبعد وفاة ملك نبرة ، سانشو الكبير، سنة 1035م ، استطاع برمودو أن يسترجع جزءا من أملاكه . و شكلت هذه العودة بداية للحرب بينه وبين صهره فرناندو، ملك قشتالة ، استمرت لمدة سنتين . وفي سنة 1037م ، كان اللقاء الحاسم بينهما ، في موقعة تامارون (Tamaron). لقي فيها برمودو مصرعه ، دون أن يترك وريثاً ، فتهيأت لفرناندو الفرصة للإستيلاء على مملكة ليون ، وذلك بحكم المصاهرة والوراثة[4] .

وبذلك تمت الوحدة بين مملكة قشتالة ومملكة ليون ، وصار الشمال الإسباني في منطقة الوسط والغرب تحت قيادة فرناندو ، و هو ما هيأ الظروف لهذا الأخير لاستئناف حركة الاسترداد[5].

---

[1] – عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 378 .

[2] – جبال البرتات أو البرت أو البرنية ، هكذا وردت في الروايات العربية وهي الجبال المعروفة حاليا بجبال البرانس ، جبال عظيمة تمتد من أرض برشلونة في الشرق حتى مدينة بيونة في الغرب ، وهي تفصل بين فرنسا و اسبانيا . (أنظر ، طه عبد المحسن رمضان ، المرجع السابق ، ص 126).

[3] – ابن خلدون ، العبر ، ج4 ، 232 ؛ يوسف أشباخ ، المرجع السابق ، ص 12 ؛ عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 378.

[4] Chronicle of the cid from spanish,trdauire by Robert Southey , London , 1883, p 188.

[5] – يوسف أشباخ ، المرجع السابق ، ص 20-21 .

نتج عن سياسة التوسع ، التي سلكها فرناندو، إلى انتشار الحقد بين إخوته . و قام غرسيه ملك نفار، بغزو أخاه فرناندو لكنه هزم وقتل سنة 1054م ، كما قام بنفس المحاولة أخوه راميرو ملك أراغون ، لكنه لقي نفس المصير الذي لقيه أخوه غرسيه فقتل سنة 1063م[1]، وهكذا استطاع فرناندو أن ينتصر في جميع الحروب التي خاضها ضد إخوته ، وصار بذلك أعظم ملك في اسبانيا النصرانية ، حتى اتخذ لنفسه لقب القيصر ليظهر أنه سيد إسبانيا كلها و استحق بذلك اسم فرناندو الكبير (fernando el mayor)[2] .

ولم يكتف فرناندو ببسط نفوذه على جيرانه من الممالك المسيحية أو ملوك الطوائف فقط ، بل امتدت سطوته إلى مدينة روما[3](Roma) ،عندما أيد البابا الكسندر الثاني (Alexander) ، وغدت مملكة قشتالة وليون تجسد أعظم قوة يحسب لها حسابها في شبه الجزيرة الأيبيرية[4] .

لكن هذه الوحدة لم تدم طويلا ، حيث وقع فرناندو في نفس الخطأ الذي وقع فيه أبوه من قبل ، و ذلك عندما أقبل على تقسيم مملكته الكبيرة بين أولاده مما عرضها للضعف ،و لفترة من الحروب الأهلية[5] . ففي سنة 1064م ، عقد فرناندو مجلساً حضره النبلاء والأساقفة ، و فيه تقرر بموافقتهم بموافقتهم تقسيم المملكة، بحيث أعطى لابنه الأكبر سانشو (Sancho) مملكة قشتالة مع حق استخلاص زية مملكة سرقسطة ، وخص ابنه الفونسو السادس بمملكة ليون و أشتريس مع جزية مملكة طليطلة و خص أصغرهم غرسيه بإقليم جليقية والبرتغال[6] (Bortugal) ، جزية مملكة اشبيـــلية و بطليوس .وأعطى فرناندو حق الإشراف على الأديرة في سائر المملكة لابنتيه أوراكـه (Urraca)

---

[1] – يوسف أشباخ ، نفس المرجع ، ص21-22 .

[2] – عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 386 .

[3] – كانت دار مملكة الروم ، وهي مدينة عظيمة للنصارى ، و ركن من أركانهم وكرسي من كراسيهم ، و بها كنيسة الحواري بطرس ، وهي في السهل من الأرض تحيط بها الجبال ولها سوران من حجر .(أنظر ، الحميري ، المصدر السابق ، ص 247-275) .

[4] – عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 389 ؛ يوسف أشباخ ، المرجع السابق ، ص 23 .

[5]– الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2 ، 1983م ، ص 84 ؛ يوسف أشباخ ، المرجع السابق ،ص 21-22 ؛ عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 389 .

[6]– مملكة البرتغال في الجانب الغربي من قشتالة ، وهي عمالة صغيرة تشمل أشبونة وغرب الأندلس وهي من أعمال جليقية . (أنظر ، القلقشندي ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 270) .

و البيرة (Elvira) ، وخصت أوراكــه بمديـــنة سمورة[1](Z amora) ، و نالت البيرة حصن تورو (toro) المنيع ، الواقع على ضفاف نهر الدويرة[2] .

استمر الوئام ظاهريا بين هؤلاء الإخوة ، إلى غاية وفاة أبيهم سنة 1065 م ، ثم أمهم سانشا (Sancha) بعده بعامين ، وبعدئذ اشتعلت نار الحرب الأهلية بينهم بشكل سريع[3] .

كان سانشو ملك قشتالة غير راض على التقسيم الذي قام به والده ، ومن ذلك سولت له نفسه السيطرة على مملكة أبيه كلها ، بحكم أنه أكبر إخوته ، إذحاول في البداية أن ينتزع من ابني عمه ، سانشو ملك نفار ، و سانشو راميرز (Sancho Ramirez) ملك أراغون بعض المدن لكنه أخفق ؛ وانقلب حينئذ إلى مقاتلة إخوته. ونشبت بينهم حرب ضروس امتدت ثلاثة أعوام ،خربت جراءها وديان ليون وقشتالة . و تمكن من إزاحة أخيه غرسيه من عرشه ، ثم اتجهت أنظاره إلى الفونسو السادس ملك ليون[4] ،والتقى الاثنان في معركتين طاحنتين ،الأولى ببلانتادا (plantada) في ليون سنة 1068 م ، والثانية بجلبخيرة (golpejera) ،على نهر كاريون في قشتالة سنة 1071م ، وتكبد سانشو خلالها خسائر فادحة . وهزم القشتاليون في المعركة الأخيرة ، وفروا تاركين خيامهم ، كما تغاضى الفونسو السادس عن مطاردتهم حقناً للدماء[5] .

ترك الفونسو السادس جنده يحتفلون بالنصر، دون تحوط ، ووثق في كلمة أخيه بالتوقف عند هذا الحد بالاكتفاء بما حدث ، وفي المقابل تدخل قائد جيش سانشو الثاني ، و هو رودريغو دياث دو بيفار (Rodrigo Diaz de Vivar) ،الذي سيشتهر مستقبلا باسم (السيد القمبيطور)

---

[1]– هي دار مملكة الجلالقة ، تقع على ضفة النهر الكبير ، بينها وبين البحر سبعون ميلا ، عليها سبعة أسوار من عجيب البنيان . (أنظر ، الحميري ، المصدر السابق ، ص 324) .

[2]– ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، هـ 2 ، ص 76 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 51.

[3]– Ramon menèndez Bidal , el cid campeador , quinta edicion , madrid , 1964 , p. 30.

[4]– ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 330 .
Bidal , op.cit ,p 30 .

[5]– الطاهرأحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 84 .
Chronicle of the cid , p 46 ; Bidal ,op.cit , p 31-32 ; Alfonso el sabio , op. cit. , p. 502.

في اللحظة الحاسمة فنصح الملك سانشو بأن يجمع بقايا جيشه الممزق ، وأن يعيد تنظيمه، و يستغل فرحة جند أخيه بالنصر، وانشغالهم بتقسيم الغنائم ، واستسلامهم إلى النوم ، لينقض عليهم فجراً ، وقد عمل الملك بنصيحة قائد جيشه وتحقق له النصر ، و وقع الملك الفونسو السادس في الأسر المهين ، و زج به سانشو في ظلمات دير ساهاجون (Sahagon)، بالقرب من مدينة برغش ، إلى أن دبرت أخته أوراكه فراره فلجأ إلى ابن ذي النون صاحب طليطلة ، الذي استقبله بكل ترحاب ومكث عنده لمدة ثمانية شهور[1] .

لم يقنع سانشو ملك قشتالة ، بما تم له من الاستيلاء على مملكة ليون ، بل أراد أن ينتزع من أخيه الصغير غرسيه ، ملك جليقية والبرتغال ، مستغلا الصراع الذي كان بينه ، وبين نبلاء جليقية ، بسبب طغيانه ، وسوء تصرفه. و هكذا لم يكد سانشو يظهر على حدود جليقية ، حتى انظم إليه جميع أهالي المنطقة . فاضطر غرسيه إلى مغادرة المملكة سراً واللجوء إلى ابن عباد ، صاحب اشبيلية ،وذلك عام 464هـ / 1071م . وهكذا تم لسانشو توحيد قشتالة وليون وجليقية تحت لوائه[2]، لكن الأمور لم تسر على الشكل الذي أراده سانشو ، فقد دبرت أخته أوراكه ثورة ضده بمساعدة بدرو أنسوريث (pedro ansurez) ، وهو مربي الفونسو السادس . و قد سارع سانشو لمواجهة الموقف ، فبادر بمحاصرة مركز الثورة ،في حصن سمورة نفسه . و بذل المحاصرون جهداً كبيرا لفك الحصار ، ثم اختاروا بينهم فارساً شجاعاً يسمى بيدو أدلفو (Vellido adolfo) . و استطاع مفاجئة الملك ، فوجه له طعنة برمح شقت صدره فأرداه قتيلاً ، وذلك سنة 1072م[3] .

و عقب مقتل سانشو ارتد جيشه ، وأرسلت أوراكه إلى أخيها الفونسو السادس ، المقيم في طليطلة تخبره بخلو العرش وتدعوه إلى سرعة العودة إلى عرشه . وفي برغش وافق الأشراف وكبار رجال الدولة ،على توليته الحكم مكان أخيه ، على أن يقسم أنه بريء من دم أخيه ، وأنه لم يدبر مقتله فنزل عند إرادتهم بكل ما يحمله المشهد من خزي و مسكنة ، وتم ذلك سنة 1072م ، في كنيسة

---

[1] - الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 84 ؛ يوسف أشباخ ، المرجع السابق ، ص 24 .
Chronicle of the cid , pp. 48-49 ; Bidal , op.cit , p. 36 .

[2] - عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 391-392 ؛ يوسف أشباخ ، المرجع السابق ، ص 25 .

[3] - ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، هـ 3 ، ص 76 ؛ الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 85 .
Chronicle of the cid , p. 62; Bidal , op.cit. , pp. 37- 38 .

سانتا غاديا (Santa gadia) في برغش . وتولى رودريغوا دياث قائد الملك ومستشاره ، بتحليفه اليمين بنـــــــفسه[1] .

و بذلك عادت الممالك النصرانية إلى وحدتها السابقة كما كانت عليها في عهد أبيه فرناندو، وخاصة بعد أن استطاع الفونسو السادس أن يأسر أخاه الثالث غرسيه الذي كان قد عاد إلى ملكه في جليقية و زج به في السجن ، حيث قضى هناك بقية حياته إلى أن مات سنة 1090م [2] .

و هكذا استطاع الفونسو السادس ،عن طريق الخيانة و الحرب و الجريمة أن يجمع الممالك النصرانية الثلاثة (قشتالة ، ليون ، جليقية) تحت سلطانه ، وبعد بضعة أعوام ضم إلى مملكته بعض أراضي نفار [3]. ثم عاد بعدئذ ليستأنف حركة الاسترداد ، وقتال المسلمين ، وتوج هذا النشاط العسكري بالاستيلاء على مملكة طليطلة في صفر 478هـ / ماي 1085م ، رغم الصداقة والكرم التي تلقاها من طرف القادر بن ذي النون . وبذلك حقق الفونسو السادس حلم النصارى في استرداد عاصمتهم القديمة مما أوقع الشمال الأندلسي في أيدهم ، وصار تفوق الممالك النصرانية السياسي والعسكري في الأندلس واضحاً ، و منذ ذلك الحين ، اتخذ الفونسو السادس لقب الإمبراطور[4].

وهكذا نجحت الأسرة النفارية القشتالية في إحكام السيطرة على شمال الأندلس كله ، و أدارت الصراع ضد المسلمين بكل شجاعة ، بعد أن حققت وحدة الجبهة النصرانية.و لم يضر هذا الصراع المستمر داخل هذا البيت ، مثلما هو الأمر عند ملوك الطوائف ، فكان يختفي بمجرد سيطرة أقوى المتصارعين باعتبار مملكة قشتالة وليون هي المحرك الرئيسي ، في الدعوة إلى وحدة الصف المسيحي في قتال المسلمين[5] .

---

[1]– ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 51 ؛ ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 330 .
Chronicle of the cid , p. 17 ; Bidal , op.cit , p. 46; La grande encyclopedie , paris , t. 9, 1890.p.751.

[2] – ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، هـ 2 ، ص 76 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 52 ؛ عبدالله عنان ،دول الطوائف ، ص394 ، يوسف أشباخ ، المرجع السابق ، ص 26.

[3]– Chronicle of the cid , p. 78 .

[4] – ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 320 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج 4 ، ص 183 ؛ القلقشندي ، المصدر السابق ،ج 5 ، ص 267.
Chronicle of the cid , p. 78.

[5] – رجب عبد الحليم ، المرجع السابق ، ص 310.

2- أوضاع مملكة نفار (نبرة):

سكن نفار شعب شديد المراس يسمى الباسك (Basques) ، نسبة إلى منطقة بسكاية (Baskaya) في الشمال . و يسميها العرب بلاد البشكنس[1] . و الباسك أكثر الشعوب تمسكاً بعاداتهم وتقاليدهم ، و ميلهم إلى الاستقلال بأنفسهم ،وقد حاول أمراء جليقية ،عدة مرات ،ضمها إلى مملكتهم و لكن دون جدوى . وقد ظهر أحد زعمائهم المسمى أزوار (Azwar) (780- 799م) ، الذي جعل نفسه أميرا على تلك المنطقة .وخلال القرن التاسع الميلادي كان قيام مملكة نفار و اتخذت بنبلونة عاصمة لها ، وقد غزاها المسلمون ودخلوها عـدة مرات[2] .

كانت مملكة نفار خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي تحت حكم سانشو الثالث الملقب بالكبير (1000م / 1035م) . و الذي استطاع أن يبسط سلطانه على شمال اسبانيا النصرانية كله باستثناء إمارة برشلونة التي كانت تقع في أقصى الشمال الشرقي ، ويحكمها أل برنجير (Berengueril) التابعين لملوك الفرنجة[3] في غالة (فرنسا) [4] .

و كان سانشو الكبير قد قسم مملكته الواسعة بين أولاده، وما نتج عن ذلك من دخول أولاده في حرب أهلية عندما حاول كل واحد منهم التوسع على حساب الأخر ، وأصبحت نفار من نصيب ابنه الأكبر غرسيه[5]، الذي تحالف مع أخيه راميرو لمقاتلة فرناندو ملك قشتالة وليون ، ودارت رحى الحرب عند حصن أتابوركا (Atapuerca) الواقع على مقربة من شرقي برغش ، العاصمة القشتالية و انتهت بمقتل غرسيه سنة 1054م [6] .

---

[1]- البكري ، المصدر السابق ، ص 79 ؛ الحميري ، المصدر السابق ، ص 104 .

[2] - عبدالله عنان ، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا و البرتغال ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط2 ، 1997م ، ص 318 .

[3]- ينتمي الفرنجة إلى الشعوب الجرمانية الوافدة من شبه الجزيرة الاسكندنافية ، وهم من أعظم القبائل الجرمانية قوة و أكثرها شهرة في العصور الوسطى ، كان استقرارهم في البداية عند نهر الراين ، ثم أخذوا في التوسع إلى أن استقروا في غالة خلال القرن الخامس الميلادي ، وكانت المملكة التي أقاموها هناك ، المملكة الجرمانية الوحيدة التي كتب لها البقاء . (أنظر ، محمد محمد مرسى الشيخ ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، القاهرة ، 1981، ص1) .

[4]- عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 377 .

[5] - نفس المرجع ، ص 378.

[6] - ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، هـ 3 ، ص 75 ؛ يوسف أشباخ ، المرجع السابق ، ص 17-18.
Alfonso el sabio , op.cit , p .484.

نتج عن هذه الهزيمة إستيلاء فرناندو على بعض المناطق الواقعة على ضفة نهر أبره[1] (Ebro) ، كمدينة ريورخة (Rioja) ومدينة بوريبا (Bureba) .لكنه أبقى على مملكة نفار، واعترف بابن أخيه سانشو بن غرسيه ملكا عليها باسم سانشو الرابع (1054م – 1076م)، واستطاع هدا الأخير أن يستفيد من الصراع بين عميه راميرو و فرناندو الإبقاء على مملكته[2] .

دامت فترة حكم سانشو الرابع اثنتين وعشرين عاماً ، وفي عهده توطد مركز المملكة بين جاراتها ، وأقر المنذر بن هود ، صاحب سرقسطة بدفع الجزية له وذلك عام 468هـ / 1069م . ولم يمض على ذلك بضعة أعوام ، حتى قتل سانشو الرابع سنة 1079م ، في كمين دبره له أخوه ريموند (Raymond) ، وأخته أرمزندة (Armigonda) ، أسوة بما فعله الفونسو السادس وأخته أوراكه بأخيهما سانشو ملك قشتالة . وغضب شعب المملكة على هذه الجريمة وقرروا حرمان القاتل (ريموند) ،من تولي العرش ، واستدعي سانشو راميرز ملك أراغون لتولي العرش بدلاً منه[3] .

و نتيجة لذلك ، استغاث ريموند بالفونسو السادس ملك قشتالة وليون كي يعينه على تولي عرش نفار ، فسار الفونسو السادس إلى نفار من ناحيتها الغربية ، وسار سانشو راميرز من ناحيتها الشرقية ، واتفقا على اقتسامها وحرمان القاتل وكذلك ولدي القتيل من تولي العرش ، فاستولى الفونسو السادس على الجهة الغربية المحاذية لمملكته ، واستولى سانشو راميرز على الجهة الشرقية بما فيها العاصمة بنبلونة[4] (Pamplona) ، وفر ريموند إلى سرقسطة حيث قضى هناك بقية عمره في غمرة النسيان[5] .

وبذلك اختفت مملكة نفار إلى حين ، بعد أن استطاعت أن تدافع عن استقلالها ضد أطماع جيرانها ، فترة بإصرار وبسالةٍ . وقد أدى اختفاؤها إلى نمو مملكة أراغون واتساع رقعتها . وتهيأت لها الظروف لتحتل بدورها قيادة الصراع ضد مسلمي الأندلس[6] .

---

[1] – ينبع من جبال كنتبرية بشمال الأندلس ، ويصب في البحر المتوسط من ناحية طرطوشة . (أنظر ، طه عبد المحسن ، المرجع السابق ، ص 123).

[2] – يوسف أشباخ ، المرجع السابق ، ص 18-22.

[3] – نفس المرجع ، ص 27 .

[4] – مدينة في غرب الأندلس ، وهي قاعدة مملكة نفار بالأندلس بينها وبين سرقسطة مائة وخمسة وعشرون ميلا . (أنظر ، الحميري ، المصدر السابق ، ص 104 ؛ أبا الفدا ، المصدر السابق ، ص 181) .

[5] – عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 406 ؛ يوسف أشباخ ، المرجع السابق ، ص27 .

[6] – عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 406 .

3- أوضاع مملكة أراغون :

يعود ظهور هذه المملكة أول مرة إلى سنة 1035م ، عندما قام سانشو الكبير ملك نفار ، بتقسيم مملكته بين أولاده الثلاثة . و كانت مملكة أراغون من نصيب ابنه غير الشرعي راميرو (1035 / 1063م). وقد اتسعت هذه المملكة ، بعد أن اتحدت مع مملكة أخيه كونزالوا ، الذي اغتيل في كمين دبره له أحد أتباعه ، وذلك سنة 1038م . وبذلك أصبحت سوبراب و أراغون مملكة واحدة مما زاد في قوتها[1] . لكن الملك راميرو لم يقنع بما أصبحت عليه مملكته من اتساع . بل أخذ يعمل من أجل الاستيلاء على مملكة نفار ، لهذا الغرض تحالف مع ابن هود أمير سرقسطة ، ليمده ببعض القوات . و لما تحقق له هذا الغرض زحف على نفار و اقتحم حدودها ، لكن جيش أخيه غرسيه كان على أتم الاستعداد ، فانقض على جيش راميرو الذي هزم شر هزيمة ، وتشتت معظم جيشه وكان ذلك سنة 1045م[2] .

نتج عن هذه المعركة أن فقدان راميرو ، معظم قواته ما جعله يلجأ إلى سكان الجبال الوعرة في رباجورسة ، و سوبراب ، من أجل تنظيم شؤونه والنهوض من كبوته ، وتمكن حقا من إنشاء جيش قوي استطاع أن يسترد به كل أراضيه . و في سنة 1054م ، تحالف مع أخيه وعدوه القديم غرسيه ملك نفار حينما ساءت العلاقات بين هذا الأخير و أخيه فرناندو ، ملك قشتالة و ليون . و تعزز هذا الحلف بانضمام ابن هود ملك سرقسطة إليهم ، لكنهم هزموا جميعا ، وقتل غرسيه عام 1056م[3].

وكرد فعل لما جرى ، صمم راميرو ، على الانتقام من فرناندو وسار لمهاجمة حلفائه ، من المسلمين الذين كانوا يدفعون له الجزية ، بعد أن تقرب من ابن أخيه (سانشو الرابع) .لكن لما خشي من ازدياد نفوذ أخيه فرناندو ، عقد اجتماعا سنة 1060م ، ووضع نفسه بموجبه تحت حماية بابا روما ، وفي سنة 455هـ / 1063م ، لم يتورع راميرو عن اجتياح أراضي مملـــــكة

---

[1] - ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 328 ؛ يوسف أشباخ ، المرجع السابق ، ص 13 .

[2] - رينهرت دوزي ، ملوك الطوائف ، ترجمة كامل الكيلاني ، دار المعارف ، القاهرة ، ط1 ، 1933م ، ص 231 .

[3] - يوسف أشباخ ، المرجع السابق ، ص 17 ؛ عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 381 – 382 .

سرقسـطة و حاول الاستيلاء على مدينة جرادوس[1] (graus) . و لمواجهة هذا الإستفزاز استعان المقتدر بن هود بفرناندو ملك قشتالة وليون ، فبعث إليه هذا الأخير ولده سانشو في بعض قواته[2] . فدارت رحى الحرب عند أسوار جرادوس ، انتهت بهزيمة راميرو الأول ومقتله وكان ، ذلك سنة 455هـ / 1063م . فتولى ابنه سانشو راميرز عرش أراغون 1063م / 1094م . واستطاع بمؤازرة أتباعه أن يحمي حدود مملكته من تهديد النصارى ومن المسلمين على السواء[3] .

هذا و بالرغم من كل الأحداث ، التي جرت في تلك الفترة ، فإن مملكة أراغون لم تنس مض دورها كقوة نصرانية ضد مسلمي الأندلس بوجه عام . إذ أنها اشتركت مع قشتالة وليون وسائر الممالك النصرانية في معركة الزلاقة ضد المسلمين في رجب 479هـ / أكتوبر 1086م [4] . وهذا معناه أن الصراع بين الممالك النصرانية حول السلطان لم يكن عائقاً للحرب ضد مسلمي الأندلس وقد قدر لابن سانشو و هو الفونسو الأول الملقب بالمحارب (Batallor) ، أن يتزوج من أوراكـــة (Urraca) ابنة الفونسو السادس ملك قشتالة وليون . مما هيأ له بحكم هذه المصاهرة ، أن يرث الممالك الواسعة في اسبانيا . وبذلك تمكن من أن يحكم سائر الممالك النصرانية ويوحدها تحت لوائه ويغدو من أعظم ملوك اسبانيا النصرانية في القرن الحادي عشر[5] .

---

[1] – تقع مدينة جرادوس في الشمال الشرقي من بربشتر في أقصى شمال أراغون .(أنظر ،كمال أبو المصطفى السيد ، تاريخ مدينة بلنسية في العصر الإسلامي ، مركز الإسكندرية للكتاب ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص 318) .

[2] – الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 83 .

Chronicle of the Cid , p. 14 ; Bidal , op.cit , p.p 23-24 .

[3] – ابن الكر دبوس ، المصدر السابق ، هـ 4 ، ص 75 ؛ الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص83 .

Alfonso el sabio , op.cit. , p.p 496 – 497 ; Bidal , op.cit , p. 24 .

[4] – ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 241. ولمزيد من التفاصيل عن معركة الزلاقة . (أنظر ، الزيري ، المصدر السابق ، ص 104-105 ؛ ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص 93-95 ؛ ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج7 ، ص 117 ؛ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 8 ، ص 446-449).

[5] – ابن الكر دبوس ، المصدر السابق ، هـ 4 ، ص 115-116 ؛ عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 406 .

3- أوضاع إمارة برشلونة:

إلى جانب الممالك النصرانية التي ظهرت في النصف الشمالي من شبه الجزيرة كانت تقوم في الركن الشمالي الشرقي مما يلي جبال البرانس كيان مسيحي صغير أخر يعرف باسم كونتية او إمارة برشلونة . وكانت أول ثغر عظيم يفقده المسلمون في الشمال . عقب حملة عسكرية قادها ملك الفرنجة شارلمان (768- 814م) عام 195 هـ / 801م ، وأطلق عليها ، اسم الثغر القوطي[1] ، أو الثغر الإسباني (Mark Espagne) ، وجعلها قاعدة أمامية لحماية حدود مملكته من غزو المسلمين . وكان حكام الفرنجة في غالة يعينون حكام هذا الثغر في البداية من الأشراف أو الكونتات الذين ينتمون إلى أصل قوطي أو فرنجي ، ولما ضعفت مملكتهم ، وتخلت عن حماية الثغر، و إمداده وشعر أولئك الكونتات بقوتهم وبعدهم عن الحكومة المركزية ، أعلنوا استقلالهم و انقسم الثغر إلى عدة إمارات أو كونتات صغيرة أهمها إمارة برشلونة [2] .

خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي كانت إمارة برشلونة تحت حكم آل برنجير (Berengueril) ، وكان هناك تنافس شديد بين هذه الإمارة وبين الممالك النصرانية الأخرى من أجل التوسع على حساب مسلمي الأندلس ، كما أن هذا التنافس لم يمنع من أن تكون إمارة برشلونة عوناً للممالك النصرانية في صراعها ضد القوى الإسلامية ، خاصة في عهد أميرها الكونت رامون برنجير الأول (Ramon Berengueril) (1018م – 1035م) و ابنه رامون الثاني (1035م – 1076م)[3] . وقد تمكن هذا الأخير من توسيع حدود ملكه و ضم إليها ولاية

---

[1] – القوط من الشعوب الجرمانية الوافدة من شبه الجزيرة الإسكندنافية . كان استقرارهم في البداية عند مصب نهر الفستولا ، وفي منتصف القرن الثاني الميلادي أخذوا في التوسع واستقروا شمال البحر الأسود وهناك انقسموا إلى قسمين ، قوط شرقيين ، وقوط غربيين ، وهؤلاء هم الذين استقروا خلال القرن الخامس في شبه الجزيرة الأيبيرية . (أنظر ، سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ، ص 67) .

[2] – عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 406-407 .

[3] – حسين مؤنس ، الثغر الأعلى في عصر المرابطين ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص 12 ؛ يوسف أشباخ ، المرجع السابق ، ص 28 .

أورخل (Urgel) ، و ولاية سرطانية (Cerdania) . ثم ولاية قرقشونة (Carcassone) ، الواقعة في الجنوب من جبال البرانس ، وذلك سنة 1076م . ونتج عن ضم هذا الإقليم إلى برشلونة إعادة الصلة بين غالة وبرشلونة بعد أن انقطعت منذ استقلال هذه الأخيرة ، و التمهيد بذلك لالتحاق الفرسان الفرنسيين بالجيوش النصرانية لمقاتلة المسلمين[1] .

قام رامون الثاني بإصلاحات داخلية ، تمثلت في عقد مجلس من النبلاء ، في برشلونة عام 1068م ، نتج عنه صدور قانون جديد ينظم الحياة الداخلية يسمى عرف برشلونة (Usages de Barcalona) . ليطبق إلى جانب القانون السائد ،كما عقد مجلساً أخر أصدر فيه عدة قرارات لصالح الكنيسة ، و كذا لحماية الفلاحين من ظلم الأقوياء . و بعد وفاة رامون الثاني بعد ذلك خلفه ولداه برنجير الثاني ، و رامون الثالث في حكم الإمارة وفقا لوصيته . ولكن الخلاف ما لبث أن نشب بينهما . وتنازعا عن حكم برشلونة ، وانتهى الأمر بأن تسمى كل واحد منهما كونت برشلونة ، و في سنة 1082 م ، قتل رامون الثالث وحكم أخوه برنجير منفرداً [2] .

استمر برنجير الثاني ، في حكم إمارة برشلونة حتى سنة 1092م . حيث رحل إلى بلاد الشام ، في إطار مشاركته في حملة صليبية ، تاركا السلطة لابن أخيه الفتى رامون الرابع (1092م / 1131م) ، فحكم هذا الكونت الصغير تحت حماية الفونسو السادس ، ملك قشتالة وليون ، وتزوج من ابنة الفارس القشتالي رودريغو دياث ، وكان يلقب بالبرشلوني . وأبدى أثناء محاربته مسلمي الأندلس و المرابطين مهارة فائقة خلدت اسمه في تاريخ هذا الصراع [3] .

[1] – عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 407 ؛ يوسف أشباخ ، المرجع السابق ، ص 29.

[2] – شكيب أرسلان، المرجع السابق ، ج2 ، ص 219 ؛ يوسف أشباخ ، المرجع السابق ، ص 29 ؛ عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 408.

[3] – الطاهرأحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 82 ؛ شكيب أرسلان ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 219؛ عبدالله عنان، دول الطوائف ، ص 408.

هكذا توجت التطورات السياسية و العسكرية لشمال الأندلس بقيام ممالك مسيحية قوية مستعدة لمحاربة المسلمين في الأندلس . لكن لم يتحقق هذا الإنجاز إلا بعد مخاض عسير و صعوبات جمة ، كانت نتيجته تغير الخريطة السياسية لهذا الإقليم و الإعلان عن بداية صفحة جديدة تؤشر إلى حتمية أفول الوجود الإسلامي بالأندلس كلها[1].

[1] – محمد حصباية ، الممالك المسيحية شمال الأندلس و علاقتها بملوك الطوائف (خلال القرن الحادي عشر الميلادي / الخامس الهجري) ، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2010م، غير منشورة ، ص 61.

الفصل الثاني

شخصية السيد القّمبيطور ودوره في الصراع الإسلامي المسيحي في الأندلس

1– أصله ونشأته

2– ألقابـــه

أ)– الســـيد

ب)– القّمبيطور

3– نفي السيد القّمبيطور

4 – السيد القّمبيطور في خدمة بني هود ملوك سرقسطة

5 – التطورات السياسية في بلنسيـة وأثرها على حياة السيد القّمبيطور

6 – السيد القّمبيطور يعمل لحسابه الخاص

أ – انفصال السيد القّمبيطور عن بني هود

ب– عودة السيد القّمبيطور إلى خدمة الفونسو السادس

ج – تحالف المستعين بن هود مع رامون برنجير أمير برشلونة

د – السيد القّمبيطور يخضع أمراء القلاع المجاورة لبلنسية

هـ – توتر العلاقة بين السيد القّمبيطور و الفونسو السادس

و– انتصار السيد القّمبيطور على رامون برنجير أمير برشلونة

ز– عمل الفونسو السادس على تحطيم نفوذ السيد القّمبيطور

1- أصله و نشأته :

هو رودريغو دياث دو بيفار(Rodrigo Diaz de Vivar) ، ولد حوالي 1045م ، في قرية بيفار التي ينسب إليها ، وتبعد حوالي تسعة كيلو مترات شمال مدينة برغش [1] ، وهي منطقة طرد بشري لقساوة مناخها وجدب أرضها ، وعرف من استقر بها مرارة العيش و الحرمان[2] .

ينحدر أبوه دييغو دياث لاينث (Diego diaz lainez) من سلالة القاضي لاين كالفو (Lain calvo) ، وكان من رجال فرناندو الأول ملك قشتالة وليون ، كما كان يملك أراضي واسعة على نهر الدويرة ، أما أمه فلا يعرف اسمها إلا أنها كانت أيضاً تنحدر من أسرة كبيرة في ليون ، فأبوها هو رودريغو ألفاريث (Rodrigo alfhares) ، يمتلك هو كذلك أراضي واسعة على نهر الدويرة ، وقد شارك بجانب دييغو لاينث في حملات فرناندو الأول ضد غرسيه ملك نفار (نبرة)[3] .

توفي والده عام 1058م ، وهو في سن الثالثة عشر من عمره فورث رودريغو أملاكه ، ولما كان دييغو لاينث من أفصال الملك فرناندو فقد دخل ابنه رودريغو في خدمة البيت المالك على عادة أبناء الأفصال في ظل النظام الإقطاعي[4] ، فبدأت مظاهر النبوغ الحربي تظهر على رودريغو منذ أواخر فترة حكم الملك فرناندو الأول ، وذلك عندما اشترك مع قوات هذا الأخير إلى جانب ابنه سانشو

---

[1] – ليفي بروفنسال ، الإسلام في المغرب والأندلس ، ترجمة محمد عبد العزيز و محمد صلاح الدين حلمي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، القاهرة ، 1996م ، ص 174 ؛ حسين مؤنس ، السيد القمبيطور وعلاقاته بالمسلمين ، المجلة التاريخية المصرية ، العدد الأول ، المجلد الثاني ، 1950م ، ص 42 ؛ مونتغمري وات ، في تاريخ اسبانيا النصرانية ، ترجمة محمد رضا المصري ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1998م ، ص 104.

Chronicle of the cid , p. 6 ; Bidal , op.cit , p. 23 ; Marcha e .ackermann et autres , Encyclopedia of word history , new york , 2008 , vol 2 , p. 109.

[2] – ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 174 .

[3] – Chronicle of the cid , pp. 10-12 .

[4] – مصطلح عام استخدم لوصف النظام السياسي و العسكري و الاقتصادي و الاجتماعي الذي ساد أوروبا الغربية منذ القرن 9م ، وكان سبب قيامه ، هو حاجة الناس إلى من يوفر لهم الأمن بعدما عجزت السلطة المركزية على ذلك . (أنظر ، محمود سعيد عمران ، حضارة أوربا في العصور الوسطى ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص 61) .

الثاني لمساندة المقتدر بن هود ملك سرقسطة ضد راميرو ملك أراغون ، و التقى الجيشان في موقعة جرادوس 455هـ / 1063م كما سبق ذكر، وقد أبدى رودريغو في هذه المعركة شجاعة كبيرة مكنت المقتدر من إحراز النصر . و هكذا يكون رودريغو قد حارب إلى جانب المسلمين في أول معركة ذكرها لـــــــه التاريخ[1] .

و قد تسبب التقسيم الذي قام به فرناندو الأول ملك قشتالة وليون بين أبنائه ، في دخولهم حرباً أهلية بينهم ، وكانت الحرب بين سانشو الثاني والفونسو السادس عنيفة انتهت بهزيمة هذا الأخير و وقوعه أسيرًا عند سانشو الثاني ، و كان لرودريغو دوراً كبيراً في هذه المعركة ، فقد ساعد سانشو الثاني على الانتصار بعد هزيمته[2] ، وكان هذا من أحد الأسباب التي جعلت الفونسو السادس يحقد عليه ، ثم زادت مكانة رودريغو في بلاط قشتالة ، حيث أسند إليه سانشو الثاني قيادة الجيش ، كما منحه لقب الفارس (Alfèrez)[3] ، وفي سنة 1072م ، قتل سانشو الثاني عند أسوار مدينة سمورة بعدما دبرت أخته أوراكة مقتله ، وأرسلت إلى أخيها الفونسو السادس الموجود عند القادر بن ذي النون ملك طليطلة تخبره بخلو العرش ، و تحثه على السرعة المجيء ، لتولي حكم المملكة ، ولم يجد كبار أعيان قشتالة و ليون بدا من تولي الفونسو السادس مكان أخيه حكم قشتالة وليون ، ولم يكن لرودريغو وهو من كبار رجال الملك المقتول حق الاعتراض في تولية الفونسو السادس العرش ، وذلك بحكم العرف الإقطاعي السائد أنذاك [4] .

---

[1] – ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، هـ 4 ، ص 75 .
Chronicle of the cid , p. 14 ; Bidal , op.cit ,pp. 23-24.

[2] – الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 24 ؛ ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 175 ؛ بطرس البستاني ، معارك العرب في الأندلس ، بيروت ، لبنان ، 1950م ، ص 40-41 .
Chronicle of the cid , pp. 48-49 ; Bidal , op.cit ,pp. 30-33.

[3] – Alfèrez لفظ اسباني من أصل عربي هو الفارس، و كان يطلق على حامل لواء الملك و قائد قواتـــــــــــه و يسمى في اللاتينية Armiger ، وكانت العادة أن يكون للملك فارس واحد .(أنظر ، حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 44 ؛ بطرس البستاني، المرجع السابق ، ص 40) .

[4] – Chronicle of the cid , p. 62 ; Bidal , op.cit , pp. 37-38 .

و قبل أن تتم مراسيم التتويج ، اشترط رجال قشتالة و ليون على الفونسو السادس ، أن يقسم في حفل رسمي أنه بريء من دم أخيه سانشو الثاني ، فنزل عند إرادتهم وكان ذلك في كنيسة سانتا غاديا ، وقد رفض رجال قشتالة عن تلقين الملك صيغة القسم ، ولم يجرؤوا على ذلك إلا رودريغو دياث فارس الملك المقتول الذي جعل الفونسو السادس يردد صيغة القسم مرتين مما زاد في حقد هذا الأخير علـــــيه[1] .

وهكذا وبين عشية وضحاها استرد الفونسو السادس عرشه الذي أخذه منه أخوه سانشو الثاني غصباً [2] . و لم ينصرف رودريغو من بلاط الفونسو السادس بل ظل في خدمته ولكنه فقد لقبه كفارس ملكي و أصبح بدرو أنسوريث مؤدب الفونسو السادس ، وغرسيه أردونيث الشاب القشتالي النبيل الذي صار منذ ذلك الحين المنافس العنيد لرودريغو، هما أقرب المستشارين قربا إلى المـــــلك[3].

لكن الملك ما لبث أن أظهر تقديره لرودريغو عندما بحث له عن زوجة من طبقة الأشراف ، تحقيقاً لإحدى واجبات الملك الأساسية اتجاه تابعه ، فقد كان لـ الفونسو السادس ابنة عم هي دونيا خيمنا دياث (Dona chimene diaz) ابنة دييغو رودريجيث (Diego rodriguez) حاكم مدينة أوبيدو (Oviedo) ، والحفيدة الصغرى لـ الفونسو الخـــامس ملك ليون[4] ، فأراد أن يزوجها برودريغو ، و قد رأى الفونسو السادس في هذا الزواج فرصة لتحقيق الصلح

---

[1] – بطرس البستاني، المرجع السابق ، ص 41.
Chronicle of the cid , pp. 48-49 ; Bidal , op.cit. , pp. 30-33.

[2]– ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 177.

[3] – حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 45 ؛ ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 179 ؛ الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 85 .
Bidal , op.cit. , pp. 48-49 .

[4] – شكيب أرسلان ، خلاصة تاريخ الأندلس ، مطبعة المنار ، مصر ، 1925م ، ص 184-185 .
Dozy reinhart , le cid d'après des nouveaux document .dans recherches sur l'histoire et la litterature de l' Espagne pendant le moyen àge , 3 èdition , layade , 1881 , vol 2 , p. 122 ; Bidal , op.cit , p. 49 ; Marcha e .ackermann et autres , op.cit. , p . 109 .

و الوئام بين طبقتي النبلاء لمملكتي ليون و قشتالة و يزيل ما بين البلدين من عداء ، فقبل رودريغو هذا الزواج ، فأهدى لخطيبته جرياً على عادات العصر أراضي من أملاكه بقشتالة ، و جرى ذلك في جويلية 1074م ، و هو التاريخ الذي تم فيه الزواج ، وكان سنه آنذاك يقارب ثلاثين عاماً ، ومن أجل التأكيد على الصلح الذي حققه الفونسو السادس بين الأشراف فقد دعا رودريغو بعد زواجه مباشرة لمرافقته في حجه إلى كنيسة سانت سلفادور (Saint salvador) في أوبيدو بأشتوريس وهو أجل مكان ديني في اسبانيا بعد كنيسة سانت يعقوب (Saint jakoub) بجليقية[1] . و لم يصطحب الملك معه من كبار الشخصيات القشتالية التي حوله إلا مطران برغش بالإضافة إلى رودريغو ، وبقيا في المدينة الأشتورية أشهراً عديدة ولم يعودا إلى برغش إلا بعد عيد الصوم الكبير عام 1075م ، ولما وصلا إلى برغش أصدر الفونسو السادس أمرا يقضي بإعفاء رودريغو ثم حلفاءه من بعده من أية ضرائب أو غرائم تجبى حاليا أو تفرض مستقبلا[2] .

---

[1] – ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 197 .
Bidal , op.cit. , p. 51.

[2] – الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 86 ؛ ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 180 .

2 – ألقابه :

أ)– السيد :

اسمه الحقيقي رودريغو دياث دو بيفار ، و كلمة "رودريغو " وردت في المصادر العربية الأولى القريبة من الفتح برسم لذريق [1] ، و روذريق [2] في المصادر العربية المتأخرة . و لكن هذا الفارس اشتهر بلقبين كانا أكثر شهرتاً وذكراً [3] .

أما لقب السيد (El cid) فهو تحريف لكلمة السيد العربية ، وقد أطلقت عليه منذ أن التحق بخدمة بني هود ملوك سرقسطة الذين أمروه على جيشهم ، فكان الجنود ينادونه بسيدي بمعنى مولاي ، فقلدهم في ذلك أتباعه من النصارى وصاروا يخاطبونه و ينادوه بـ (Mio cid) بمعنى ياسيدي فلزمته هذه التسمية منذ ذلك الحين واشتهر بها في كتب التاريخ [4] .

و هناك من يرى أن لقب السيد لازمه منذ أن كان في سن مبكرة من حياته وذلك عندما قاتل إلى جانب المقتدر بن هود و بالتحديد في معركة جرادوس عام 455هـ /1063م ، التي قتل فيها راميرو الأول ملك أراغون . و أبدى السيد فيها شجاعة حربية كبيرة ، مما جعل جند المقتدر يطلقون عليه لقب السيد ، وكان عمره يناهز العشرون عاماً تقريباً [5] .

---

[1]– مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، دار الكتب اللبناني ، ط2 ، 1989م ، ص 15 ؛ ابن القوطية (محمد بن عمر) : تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، ط2 ، 1989، ص 29 .

[2]– ابن بسام ، المصدر السابق ، ق 3 ، ج1 ، ص 95 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 147 .
Dozy , op.cit. , vol 2 , p. 57 .

[3] – الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 128.

[4] – حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 71 ؛ ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 184 ؛ بطرس البستاني، المرجع السابق ، ص 44 ؛ فليب حتي و آخرون ، تاريخ العرب ، دار الكشاف ، بيروت ، لبنان ، 2002م ، ص 627-628.
Ian Michael , Poèma De Mio Cid, madrid , quinta edicion ,1984 , p 11 ; pierre Guichard ,Les musulmans de valence et la recenquète , tom 1 , Institut Francais , Damas , 1990 , p 67 ; Alan Aurray , The crusades ancy clopedia , Oxford, vol 1 ,2006, , p. 1015 ; Henry loyn , The middle ages aconcise encyclopedia , new york , 1991 , p. 91 .

[5]– Bidal , op.ci.t , p. 51.

و هناك رواية تقول أن هذا الفارس القشتالي أطلق عليه لقب السيد بعد أن استولى على بلنسية و ذلك في25 جمادى الأولى 487 هـ / 15جوان 1094 م ، فعندما دخل المدينة ظافرا ،احتفل بالمناسبة مع جنده احتفالا كبيراً ، و من ذلك اليوم أصبح يلقب بالسيد، أو السيد القَمبيطور، أو سيد بلنسية[1] .

لكن هذا القول يعتبر بعيداً عن الصواب لأن استيلاء السيد القّمبيطور على بلنسية جاء متأخراً وتتويجاً لسلسلة من الانتصارات الحربية المتتالية و اتخذ طابعا معادياً لأهلها ، و هذا الفوز حدث بعد حصار طويل وإذلال كبير ، لم يجد السيد القمبيطور أثناءه بدا من التنكر لعهوده ، وعليه فلم يكن ثمة ود أو تقدير أو إعجاب يدفع سكانها إلى تمجيده ، و إضفاء لقب السيد عليه و الجند الذين كانوا معه ليسوا جند يومهم ذلك ، بل هم معه منذ زمن طويل و شاركوه كل ما خاض من معارك وحاز من انتصارات[2].

و الواضح هو أن لقب السيد الذي أطلق على هذا الفارس القشتالي لم يكن تطوراً صوتياً لكلمة سيّد ، و إنما هو أصيل و قديم لم يدخل عليها أي تغير وكانت تعني الذئب أو الأسد وهذا ما عبر عنه أحد الشعراء الجاهلية يصف فرسه بقوله :

رفيع المعّد كسّيد الغضا تميـم الضلوع بجوف رحب .

فالسيد في هذا الحال مقصود به الذئب ، وقد يراد بها حين إطلاقها على رودريغو إما الذئب أو الأسد ، فقد كان له حقا من صفات الأسد والذئب نصيب[3] . أما المؤرخ ليفي بروفنسال فيرى أن لقب السيد ليس له ذكر في الروايات القشتالية القديمة ولا في الروايات العربية ، وإنما كان يقرن بلقب القمبيطور[4].

---

1 – Alfonso el sabio ,op.cit , p. 592 ; Chronicle of the cid , p. 186 .

2 – الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 128– 129 .

3 – انظر ، الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 130.

4 – المرجع السابق ، ص 184 .

ب)- القّمبيطور:

أما لقب القمبيطور (Al campeador) ، فقد أطلق عليه قبل لقب السيد وأصبح يعرف به منذ بداية حياته العسكرية[1] . وقد رسم هذا اللقب في المصادر العربية أحيانا القنبيطور[2] ، و أحيانا أخرى الكنبيطور[3] ، ويسميه ابن بسام برذريق الكنبيطور[4] .

ويعود سبب تلقيبه بالقمبيطور ، وذلك بعد أن دخل في خدمة سانشو الثاني ، واستطاع أن يظهر مواهبه القتالية مما جعل سانشو الثاني يقلده رتبة الفارس[5]، فكان لزاما عليه أن يدافع عن المصالح القشتالية في حالات الخلاف بين الممالك النصرانية الأخرى (نفار ، أراغون ، برشلونة) ،وكان هذا الدفاع يتم عن طريق محاكمة قضائية أو مبارزة حربية طبقا لعادات العصر ، وتأكدت فروسيته عندما دخل في مبارزة عنيفة مع فارس الجيش النفاري واسمه خيمنو غرثيـــس (jimeno garcie) ، واستطاع رودريغو أن يهزمه شر هزيمة ، وقد قيل أن انتصاره في هذه المبارزة كان سبب تلقيبه بالقمبيطور[6] .

إلا أن لقب القّمبيطور أثار اختلافا كبيراً بين المؤرخين ، فالمؤرخ ليفي بروفنسال يرى أنه يعني " قائد الغارات في بلاد الأعداء "[7] . أما المؤرخ الهولندي دوزي ، و هو متخصص في التاريخ الأندلسي فيرى أن لقب (Campeador) مشتق من الكلمة اللاتينية (Cambus)

---

[1]- الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 131.

[2] - ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص147 ؛ ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص 98 .

[3] - ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 203 ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج 2 ، ص 125 .

[4] - المصدر السابق ، ق3 ، ص 95.

[5] - حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 44 ؛ بطرس البستاني، المرجع السابق ، ص 40 ؛ يوسف أشباخ ، المرجع السابق ، ص 112 .

Bidal , op.cit. , p .27 .

[6]- ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 176 ؛ حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 44 .

Dozy , op.ci.t , vo.l 2 , p. 105 ; Bidal , op.cit. , p . 28 .

[7] - المرجع السابق ، ص 176 .

و تقابـلها بالفرنسية كلمة (Champion) ، والتي تعني البطل ، ومعنى هذا أن لقب القمبيطور يعني البطل[1] . ويرى هوبير huber ، بأن كلمة القّمبيطور لا صلة لها بكلمـة (Cambus اللاتينية والتي تعني البطل وإنما هي مشتقة من الكلمة الجرمانية (Champt) ، التي تعني المبارزة ، ومنها انتقلت إلى كـافة اللغات اللاتينية (الفرنسية ، الإيطالية ، البرتغالية و الإسبانية) .[2] ومن هذا يتضح أن لقب القمبيطور يعني المبارز ، وما يدعم هذا التفسير هو أن السيد أطلق عليه هذا اللقب بعد مبارزته مع الفارس النبري و انتصاره عليه .

أما المؤرخون العرب في تلك الفترة فيفسرون هذا اللقب بـ " صاحب الفحص"[3] ، الذي يقابله في في اللغة اللاتينية (Campidoctus)، و التي تعني قائد الغارات في السهول أو الخبير بالغزوات في أرض الأعداء[4] .

---

[1] – Dozy , op.cit , vol. 2 , p. 58-59 .

[2] – ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، هـ 5 ، ص 99 ؛ الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 133.

[3] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 147 . أما كلمة الفحص فهي اسم يطلق على عدة مواضع بالأندلس ، يقول ياقوت الحموي وسألت بعض أهل الأهل الأندلس ما تعنون به ، فقال كل موضع يسكن سهلا كان أو جبلا شرط أن يزرع نسميه فحصاً ثم صار علماً لعدة مواضع ولا سيما في نواحي طليطلة و اشبيلية ، أما في لغة العرب فالفحص يعني شدة الطلب خلال كل شيء . (أنظر ، الحموي ، المصدر السابق ،ج4 ، ص 236) .

[4] – ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 176 ؛ حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 44 ؛ الطاهر أحمد مكي ، ملحمة ملحمة السيد ، ص 135 .

3 – نفي السيـد القّمبيطور :

خلال الفترة التي تولى فيها الفونسو السادس حكم قشتالة وليون ،كانت مملكة طليطلة واشبيلية و بطليوس الإسلامية ، تؤدي له الجزية سنوياً [1] . وجرت العادة أن يبعث الملك أحد كبار رجال الدولة ليقبضها ، ولعل الفونسو السادس قد عهد في أواخر عام 1079م ، إلى السيد القّمبيطور مع مجموعة من الفرسان قبض الجزية من المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية[2] ، مع العلم أن المصادر العربية لم تذكر هذه السفارة ، و كان من شأن الدور الذي قام به السيد القّمبيطور في هذه المهمة ، أن يؤثر تأثيراً خطيراً في علاقته مع سيده الفونسو السادس[3] .

ولما وصل الوفد القشتالي إلى اشبيلية كان المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية ، و زعيم ملوك الطوائف العرب في ذلك العصر ، في خصومة شديدة مع عبدالله بن زيري آخر أمراء غرناطة[4] . وكان هذا الأخير على الرغم من نقص تعداد جيشه ، يتزعم البربر، و يستعين في خصوماته ، و نزاعاته ، بجنود من النصارى يرسلهم إليه ملك قشتالة وليون ، مقابل مال يؤديه إليه [5] ، ومن بين هؤلاء الرجال الذين وضعهم الفونسو السادس في خدمة الأمير عبدالله بن زيري ، الكونت غرسيه أوردونيث خصم السيد القّمبيطور و عدوه ، و فرتون سانتشيث (fortun shanchez) ، صهر غرسيه ملك نفار ، و لوبـــــي سانتشيث (lope sanchez) ، و دييجو بيرز (Diego perez) ، وهو من أكبر القادة القشتالين [6].

---

[1]– حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 48 ؛ ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 180 ؛ بطرس البستاني، المرجع السابق ، ص 42 .

Bidal , op.cit. , p .61 .

[2] – ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 180 ؛ الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 203 .

Bidal , op.ci.t , p .61 ; Chronicle of the cid , pp. 81-82 .

[3] – ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 180 .

[4] – الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 203 .

Chronicle of the cid , p. 82 ; Bidal , op.cit , p .61 ; Dozy , op.cit , vol. 2 , p. 108 .

[5] – الزيري ، المصدر السابق ، ص 122-123 .

Dozy , op.cit , vol. 2 , 108 sqq.

[6] – Chronicle of the cid , pp. 81-82 ;Bidal , op.cit , p. 61.

و كان الفونسو السادس يهدف من وراء ذلك إلى إقامة توازن بين الجيوش الإسلامية المتعادية في جنوب شبه الجزيرة ،والحد من أطماع ابن عباد صاحب اشبيلية، الذي كان يريد توسيع دائرة ملكه[1]. وتشاء الصدفة أن تقع بين المعتمد بن عباد ، وعبد الله بن زيري فترة وجود الوفد القشتالي باشبيلية مناوشات أدت إلى خروج جيش غرناطي ، بزعامة غرسيه أوردونيث للإغارة على مملكة اشبيلية. وما إن علم السيد القّمبيطور بهذه الحملة ، حتى قام مع قوته الصغيرة التي كانت ترافقه في الدفاع عن مملكة اشبيلية بحجة أن صاحبها ، وهو المعتمد بن عباد كان تحت حماية الفونسو السادس ، ملك قشتالة وليون ، وقد نشبت المعركة بالقرب من قبرة[2] (Cabra) . اشترك فيها فرسان مسيحيون من بيئة واحدة . فهزم الجيش الغرناطي شر هزيمة ، و تمكن السيد القّمبيطور من أسر جماعة من الفرسان المسيحيين على رأسهم قائد الجيش غرسيه أوردونيث . و لم يطلق سراحهم إلا بعد ثلاثة أيام ، ثم رجعوا إلى بلادهم أذلاء مقهورين . أما السيد القّمبيطور فقد عاد إلى اشبيلية مظفراً، و قضى فيها مدة ثم عاد إلى برغش عام 1080م ، وقد حمله المعتمد بن عباد بالهبات الثمينة وأعطاه الجزية التي جاء ليقبضها[3] .

على أن الأعمال التي قام بها السيد القّمبيطور جعلت الملك يحاسبه عليها لأنه حارب من غير إذنه ، و اعتدى على بلاد في حماية تابعه، وأهان رجالاً هم من بني جلدته ، أما غرسيه أوردونيث فلم يكن بالذي يرضى بالذل الذي سلطه عليه السيد القّمبيطور ، حيث أخذ يعمل جاهدا إلى التأمر ضده، و ضم كثيرا من المناصرين له ، مما أدى ذلك كله إلى إثارة الملك ضده ، وخاصة أن السيد القمبيطور ، وفق ما أوردته الروايات ، قد اتهم بأنه احتفظ لنفسه ببعض الهدايا و الأموال التي

---

[1] – ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 181 .
Bidal , op.cit. , p. 61 .

[2] – قبرة كورة من أعمال الأندلس تقع جنوب قرطبة وهي أرض زكية تشتمل على نواح كثيرة . (أنظر ، الحموي ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 305 ؛ الحميري ، المصدر السابق ، ص 453) .

[3] – ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 181.
Alfonso el sabio , op.cit. , p. 522 ; Chronicle of the cid , p. 82 ; Dozy , op.cit , vol. 2 , p. 109 ; Bidal , op.cit , pp.63-64 .

كانت مرسلة كجزية إلى سيده الفونسو السادس[1]، هذا فضلا عن أن الملك لم يكن قد نسى القسم المهين الذي أرغم عليه بين يدي السيد القّمبيطور، ليبرأ من قتل أخيه سانشو الثاني[2] .

و بعد ذلك بأيام ارتكب السيد القّمبيطور مخالفة أخرى عكرت من صفو علاقته تجاه الملك ، فبينما كان الفونسو السادس مشغولا في حملته على مملكة طليطلة ، وصلت أخبار إلى السيد القّمبيطور الذي كان موجوداً في برغش ، مفادها أن المسلمين قد شنوا هجوماً على حصن غرماج[3] (Gormaz) ، فقام من تلقاء نفسه بهجوم على أطراف مملكة طليطلة ، وعاد بغنائم كثيرة وآلاف الأسرى ، و قد صور النبلاء ، و الحاقدين على السيد القّمبيطور للملك ما في هذا العمل من تجاوز للحد فتأثر الفونسو السادس بذلك[4] ، واستبد به الغضب على تابعه . فأصدر أمراً بنفيه من مملكته و حدث ذلك عام 1081م [5].

---

[1] – عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 233 .

Alfonso el sabio , op.cit , p. 523 ; Chronicle of the cid , pp. 82-83 ; Dozy , op.cit. , vol. 2 , p 109 ; Bidal , op.cit , p . 64 .

[2]– Chronicle of the cid , p. 77 ; Bidal , op.cit , p .64 .

[3] – تقع قاعدة غرماج الحصينة على نهر الدويرة على مقربة من شنت اشتبان (saint esteban)، وكان الناصر قد انتزعها من النصارى عام 329هـ/ 940م . أنظر ، عبدالله عنان ، الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص 487 .

[4]– ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 182 ؛ حسين مؤنس ، السيد القمبيطور، ص 50.

Chronicle of the cid, p. 83 ; Alfonso el sabio , op.cit , p. 523 ; Bidal , op.cit , p .65 .

[5] – كان الحكم بالنفي أمراً شائعاً في بلاط النصارى ، كما كان يمكن للمنفي أن يحتفظ ببعض الحقوق التي لا يمكن تجريده منها ، فلا تصادر أراضيه إذا لم يكن اقترف جريمة تتعلق بالشرف ، وله الحق في أن يصطحب معه إلى منفاه أقاربه و أتباعه . (أنظر ، ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 182-183 ؛ حسين مؤنس ، السيد القمبيطور، ص 50 ؛ بطرس البستاني، المرجع السابق ، ص 43.

Chronicle of the cid , p. 83 sqq ; Bidal , op.cit , p .65 .

4- السيد القّمبيطور في خدمة بني هود ملوك سرقسطة :

أدى النفي الذي صدر في حق السيد القّمبيطور ، إلى تحول كبير في حياة الرجل ، فبعد أن كان فارساً للجيش القشتالي ، ومستشاراً للملك أصبح مجرد رجل عاد بدون مأوى . فقد اضطر إلى الخروج شريداً مع مجموعة من أتباعه ، وهو يائس يبحث عن قوته معتمداً على سيفه ، وأخذ يعرض خدماته هنا وهناك ، مستغلا فرصة الأوضاع المضطربة في شبه الجزيرة لتحقيق مآربه[1] . فاتجه أولا إلى إمارة برشلونة النصرانية ، وعرض خدماته على أميرها رامون بيرنجير. ولكن هذا الأمير ، لم يلبث أن صده وأعرض عنه . فتوجه إلى ديار الإسلام عساه يلقى عندهم ، ما لم يجده في معسكرات المسيحيين . فولى وجهه شطر مملكة سرقسطة و عرض نفسه ، على أميرها يوسف بن هود الملقب بالمقتدر[2] . و منذ ذلك الحين فتح صفحة جديدة في حياته مليئة بالأحداث و المغامرات لحساب بني هود تارة ولحساب نفسه تارة أخرى ، و هذه الفترة هي التي جعلت منه فيما بعد بطل أساطير وملاحم[3] .

لكن المقتدر بن هود ، توفي في نفس السنة التي دخل فيها السيد القّمبيطور في خدمته، وذلك عام 474هـ / 1081م ، بعد أن قسم أملاكه بين ولديه . و كانت سرقسطة و ما جاورها من نصيب ابنه المؤتمن ، و دانية ، و طرموشة ، و لاردة[4] (Lerida) من نصيب ابنه المنذر . نتج عن هذا التقسيم الذي قام به المقتدر دخول أبنائه في حرب أهلية أدت إلى استعانة كل واحد منهما بنصارى الشمال ، فاستعان المنذر بسانشو راميرز ملك أراغون ، و رامون بيرنجير أمير برشلونة ، في حين

[1] - حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 50 ؛ عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 234 .
Chronicle of the cid, p. 83 ; Alfonso el sabio , op.cit , p. 523 sqq ; Bidal , op.cit. , p .65 .

[2] - Chronicle of the cid, pp. 92-103 ; Alfonso el sabio , op.cit , p. 532 sqq ; Bidal , op.cit , p .74 ; Dozy , op.cit , vo.l 2 , p. 110.

[3] - حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 50 .

[4] - لاردة مدينة بشرق الأندلس ، تقع على نهر يخرج من أرض جليقية يعرف بشيقر ، ولها بساتين كثيرة ، وفواكه ، وفيرة . (أنظر ، الحموي ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 7 ؛ الحميري ، المصدر السابق ، ص 507 ؛ أبا الفدا ، المصدر السابق ، ص 181) .

حارب السيد القّمبيطور إلى جانب المؤتمن[1] . و هكذا وجد السيد القّمبيطور نفسه مضطرا إلى محاربة الأرغونين و القطلانين في أن واحد ، وذلك لحساب ملك سرقسطة المسلم (المؤتمن بن ذي النون) ، و سجل له أثناء هذه المرحلة نشاط عسكري حثيث ، دأب بين الفينة و الأخرى على الإغارة على أراضيهما ، كما وقعت أول معركة بين الأخوين عند المنارة[2]
(Almenara) . و هزم المنذر، وتمكن السيد القّمبيطور من أسر رامون بيرنجير أمير برشلونة عام 475هـ / 1082م ، لكنه لم يتردد في إطلاق سراحه ثم دخل سرقسطة ، واستقبل فيها استقبال الأبطال وغمره المؤتمن بالهدايا ومنحه مراتب الشرف واستطاع بهذا النجاح أن يظفر بمكانة ونفوذ بين جنود المؤتمن[3] .

على أن الفونسو السادس ، لم يتحمل النجاح الذي أصابه هذا المنفي من مملكته في بلاد المسلمين ، إذ لم يلبث أن استغل فرصة تمرد حاكم حصن روطة[4] (Reuda) ضد المؤتمن ، واستعانته به ، فأرسل الملك جيشا ليستولي على هذا الحصن ، ولكن يبدو أن ذلك لم يكن سوى فخ أعده حاكم روطة ، وأرسل إلى المؤتمن يخبره بما فعل ، وأنه سوف يوقع بأعدائه من القشتالين . وقد وصل الجيش القشتالي بقيادة الفونسو السادس ، لكن هذا الأخير شك في أهداف حاكم روطة ، فتأخر وقدم كبار قادته ، فوقعوا في الفخ ، وقتلوا جميعا ، وكان ذلك عام 477هـ / 1084م[5] .

---

[1]– ابن الكربوس ، المصدر السابق ، ص 86 ؛ حسين مؤنس ، الثغر الأعلى في عصر المرابطين ، ص 14 ؛ عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 234 .

Bidal , op.cit , p. 75 ; Dozy , op.cit , vol. 2 , p. 111.

[2] – تقع إلى الشمال من بلنسية بالقرب من مربيطر ، وكانت بها قلعة حصينة . (أنظر ، العذري ، المصدر السابق ، ص 19 ؛ شكيب أرسلان ، الحلل السندسية ، ج3 ، ص 35) .

[3] – ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 184 .

Chronicle of the cid, p. 108 ; Alfonso el sabio , op.cit. , p. 535 ; Marcha e .ackermann , op.cit , p . 109 ; David luscombe, Jonathan rieley smith , the new cambriddge medieval history , Cambridge , 2008 , vol. 4 , p. 183.

[4] – حصن هام من أملاك المؤتمن، يبعد عن سرقسطة خمسة وثلاثين كيلو متر . (أنظر ، ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 185) .

[5] – ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 185 ؛ حسين مؤنس ، الثغر الأعلى ، ص 15 .

Chronicle of the cid, p. 111 ; Alfonso el sabio , op.cit , p 535 ; Bidal , op.cit , p80 ; Dozy , op.cit , vo.l 2 , p. 113.

كان السيد القّمبيطور في تلك الفترة في منطقة تطيلة (tudela) غربي سرقسطة ، و لما علم بهذه المكيدة ، خشي أن يقحمه أعداؤه فيها . فسارع إلى برغش لتبرئة نفسه منها ، وليقنع الملك بأنه لا صلة له إطلاقا بمؤامرة حاكم روطة ، وحاول في نفس الوقت أن يعود ويصبح من أتباعه . وأمام رفض الملك لهذا العرض أدرك السيد القّمبيطور أن الملك لا يزال يحقد عليه ، فعاد إلى سرقسطة و قدم مجددا خدماته لأميرها المؤتمن بن هود من جديد[1] .

استأنف السيد القّمبيطور نشاطه العسكري بشن حملاته الناجحة لصالح المؤتمن بن هود ، وقد حدث أن شارك إلى جانب هذا الأخير في غارة على أراضي أراغون ، و عاثت فيها الجيوش فسادا لمدة خمسة أيام . ثم عادا بعدها محملين بالأسرى ، والغنائم دون أن يستطيع الملك مقاومتها[2] .كما قام السيد القّمبيطور بغارات كثيرة على لاردة مملكة المنذر بن هود ، الذي لم يجد لنفسه مخرجاً سوى اللجوء إلى التحالف مع سانشو راميرز ملك أراغون ، كان نتيجته خروجهما معا لمحاربة السيد القّمبيطور ، فالتقى الفريقان عند حصن موريلا(Morella) جنوب طرطوشة . و قد حالف الحظ السيد مرة أخرى ، حيث أنزل الهزيمة بملك أراغون ، وأسر عدد من كبار نبلائها ، وذلك في 477هـ /1084 م[3] ، و بعد هذا الفوز الساحق عاد السيد القمبيطور إلى سرقسطة ، فاستقبله المؤتمن مع أبنائه و كبار وزرائه وجمع غفير من سكان العاصمة ، وما حولها ، رجالا ونساء أمام المدينة ، وهكذا زاد هذا الفوز من رفعة السيد القّمبيطور حيث علا شأنه في بلاط سرقسطة ، وتوطدت مكانته واشتد نفوذه عند المؤتمن حتى أصبح لا يقطع أمرا من أعمال الحرب أو السياسة دون مشاورته وغدا بجيشه الصغير قوة يحسب لها حسابها ، بل غدا كأنه يمارس بهذه المكانة السامية الحماية على حلفائه المسلــــــــــمين [4] .

---

[1] - Chronicle of the cid, p. 112 ; Alfonso el sabio , op.cit , pp. 536-537 ; Bidal , op.cit , p. 82 ; Dozy , op.cit , vol 2 , p. 114.

[2] - الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 90 .
Chronicle of the cid, p. 111 .

[3] - عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 286 .
Chronicle of the cid, p. 111 ; Bidal , op.cit , pp.83-86 ; Dozy , op.cit , vol . 2 , p. 114.

[4] - عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 286.

و يرى ابن بسام أن بني هود هم الذين شقوا السبيل للسيد القّمبيطور للوصول إلى تلك المرتبة و ذلك بقوله " ولما أحس أحمد بن يوسف بن هود المنتزي إلى وقتنا هذا على ثغر سرقسطة بعساكر المسلمين تنسل من كل حدب ، و تطلع أطرافه من كل مرقب ، أسد كلباً من أكلب الجلالقة يسمى برذريق الكنبيطور ، و كان عقالا و داءا عضالاً له في الجزيرة وقائع ، و على طوائفها بضروب المكاره اطلاعات ومطالع ، و كان بنو هود قديما هم الذين أخرجوه من الخمول مستظهرين به على بغيهم الطويل ، وسلطوه على أقطار الجزيرة يضع قدمه على صفحات أنجادها ويركز علمه في أفلاذ أكبادها حتى غلظ أمره وعم أقاصيها ودانيها سره"[1].

لم يدم حكم المؤتمن أكثر من أربعة أعوام ، إذ توفي عام 478هـ / 1085م ، وكانت وفاته السريعة ضربة قاصمة لمشاريعه العسكرية ، فخلفه في حكم سرقسطة وأعمالها ولده أحمد والملقب بالمستعين[2] ، و استمر السيد القّمبيطور في خدمته ، و لكن تعوزنا التفاصيل عن النشاط الذي حققه في هذه الفترة ، وذلك في ضوء ما أنجزه الفونسو السادس من انتصار باهر حجبت شهرته تماما ، إذ حدث في ففي صفر 478هـ / ماي 1085م ، أن اقتحم الفونسو السادس طليطلة وانتزعها من أيدي المسلمين ، فكان هذا الفتح أهم حدث في تاريخ المسلمين بالأندلس في هذه الفترة[3] .

[1]- المصدر السابق ، ق3 ، ص95 .

[2] – ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج2 ، ص 147 .

[3] – عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 286 ؛ ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 185 .

Dozy , op.cit , vol. 2 , p. 115 .

5- التطورات السياسية في بلنسية و أثرها على حياة السيد القّمبيطور:

تمثل بلنسية نموذجا للفوضى السياسية ، التي كانت سمة ذلك العصر، و تاريخها خير مثال يمكن أن نضربه للتعرف على حقيقة العلاقات السياسية السائدة بين ملوك الطوائف من جهة ، و مع الممالك النصرانية في الشمال من جهة أخرى [1].

و أول من استولى على بلنسية بعد قيام الفتنة البربرية في بداية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، هما الفتيان العامريان ، مبارك ومظفر، وانتهى حكمهما عام 408هـ / 1017م . وتولى أمرها بعدهما الفتى لبيب العامري صاحب طرطوشة ، وقد اختاره أهلها ، لكنه أساء السيرة ، فسخطوا عليه للصداقة التي عقدها مع ريموند أمير برشلونة ، وعقدوا البيعة لعبد العزيز بن عبد الرحمن شنجول، أحد أحفاد المنصور بن أبي عامر سنة 411 هـ/ 1021م [2] .

استقر عبد العزيز في بلنسية ، وتلقب بالمنصور، و اشتهر عهده بالنشاط العسكري الحثيث ، حيث استولى على ألمرية بعد مقتل حاكمها زهير العامري عام 429هـ/ 1038م ، ثم ضم مرسية و أوريولة ، وبذلك صارت مملكة مجاهد العامري في دانية محصورة بين أطراف مملكة بلنسية الشمالية والجنوبية ، فخرج على رأس قواته عام 434هـ / 1041م ، لكنه مني بهزيمة على يد قوات عبد العزيز المنصور ، الذي ساعدته قوات مرتزقة أمده بها ملك قشتالة فرناندو الأول . ولم تتعرض مملكته في عهده لهجمات من الشمال ، وذلك لصلة القرابة التي تجمعه بها ، لأن جدته كانت من نبرة [3] .
استمرت إمارة عبد العزيز المنصور لبلنسية قرابة الأربعين عاما ثم توفي في ذي الحجة 452هـ / جانفي 1061م ، فخلفه ابنه عبد الملك ، الذي تلقب بالمظفر . و لصغر سنه ، فتولى عنه تدبير شؤون

---

[1]- رجب عبد الحليم ، المرجع السابق ، ص 346 .

[2]- ابن بسام ، المصدر السابق ، ق 3 ، ص 14 وما بعدها من الصفحات ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 163 ؛ ابن خطيب ، المصدر السابق ، ص 190 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج 4 ، ص 207 ؛ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج8 ، ص111 ؛ عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص217 .
Dozy , op.cit , vol. 2 , pp. 115-116 .

[3] - ابن بسام ، المصدر السابق ، ق 3 ، ص 249- 250 ؛ ابن سعيد ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص300 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج 4 ، ص 207 .

الدولة محمد بن عبد العزيز المعروف بابن روبش[1] ، وزير أبيه ، فأحسن تدبير أمور المظفر ، فاستقرت الأحوال على يده ، وساد الأمن والهدوء ، على الرغم مما كانت تعانيه دولته من قلة المال والجند[2] .

و لعل أهم حدث وقع في عصر المظفر هو موقعة بطرنة[3] (paterna) المشهورة ، و التي أنهزم فيها هو وجيشه ، وتفصيل ذلك أن فرقة من جيش النصارى بقيادة فرناندو الأول ملك قشتالة وليون عسكرت سنة 455هـ/ 1063م عند بطرنة ، ثم أقدمت بعد ذلك على محاصرة بلنسية ، وأعمل الملك الحيلة للقضاء على أهلها فتظاهر بالانسحاب مع جيشه ، و استتروا وراء الهضاب و الآكام استدراجا لأهل المدينة ، الذين خرجوا مع ملكهم يلبسون أفخم الثياب والزينة وكأنهم في يوم عيد ، ففاجأهم فرناندو الأول مع رجاله ، وقتل عددا كبيرا منهم و أسروا عددا آخر ، ولم ينجوا منهم إلا القليل ، وقد وصفهم أحد الشعراء قائلا :

لبسوا الحديد إلى الوغى ولبستم　　　حلل الحرير عليكم ألوانا

ماكان أقبحكم وأحسنهم بها　　　لو لم يكن ببطرنه ما كان[4].

و لما عاد فرناندو الأول إلى محاصرة المدينة من جديد ، استغاث عبد الملك المظفر بصهره المأمون بن ذي النون ملك طليطلة ، على الرغم من أن هذا الأخير كان يدفع الجزية لفرناندو ، إلا أنه أسرع لإنقاذ المدينة أملا في استخلاصها منه لنفسه ، وقد ساعدته الظروف في ذلك إذ أن فرناندو لم يلبث أن ألم به مرض أشعره بدنو أجله ، فرفع الحصار عائدا إلى بلاده حيث مات هناك بعد فترة قصيرة ،و كان أن انتهز المأمون هذه الفرصة ودخل بلنسية ،وعزل صهره عبد الملك المظفر عن حكمها

---

[1]– هو الوزير الكاتب عبد الله محمد بن مروان بن عبد العزيز المعروف بابن روبش القرطبي أضطر إلى ترك بلده عند نشوب الفتنة ولجأ إلى بلنسية ، واستقر فيها في عهد المنصور عبد العزيز . (أنظر ، ابن بسام ، المصدر السابق ،ق3 ، ج1 ، ص 250 ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج2 ، ص 129).

[2] – ابن بسام ، المصدر السابق ، ق 3 ، ص 250 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص165 .

[3]– تقع في الشمال الغربي من بلنسية ، اشتهرت بصناعة الخزف . (أنظر ، ابن سعيد ، ج 2 ، ص 355 ؛ شكيب أرسلان ، الحلل السندسية ، ج3 ، ص 288) .

[4] – ابن بسام ، المصدر السابق ، ق3 ، ص 850 ؛ المقري ، المصدر السابق ، ج1 ، ص170.(وللمزيد من الإطلاع عن موقعة بطرنة أنظر ، ابن بسام ، المصدر السابق ، ق3 ، ص 850 ؛ ابن عذاري، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 252-253 ؛ المقري ، المصدر السابق ، ج1، ص 190-191).

وضمها إلى مملكته و ذلك عام 457هـ/ 1065م [1] ، و بعد أن استولى المأمون على بلنسية استخلف عليها أبا بكر محمد بن عبد العزيز ابن الوزير بن روبش . وكان هذا الأخير يتمتع بشخصية قوية مثل والده ، تمكن من ضبط المدينة وإقرار أمورها ، ثم سنحت له الفرصة لانتزاع بلنسية و الاستقلال بحكمها عام 467هـ/ 1073م ، عقب وفاة المأمون ، فدانت له المدينة بالطاعة وحكمها دون منازع[2] . لكنه واجه خطر أطماع بني هود فيها ، ذلك أن المقتدر بن هود كان قد استولى على دانية في العام التالي 468هـ/ 1076م ، من يد إقبال الدولة علي بن مجاهد العامري ، وأصبحت بلنسية محصورة بين أطراف مملكته ، فتوجس أبو بكر بن عبد العزيز خفية من المقتدر بن هود وخاطب الفونسو السادس وانضوى تحت حمايته ، وتعهد له بأداء الجزية وفي الوقت نفسه كان المؤتمن بن هود يتطلع إلى امتلاك بلنسية لأهمية موقعها ووفرة خيراتها ، فخاطب الفونسو السادس ودفع إليه مئة ألف دينار لمساعدته في السيطرة عليها[3] .

فزحف ملك قشتالة إلى بلنسية ، فخرج إليه ملكها أبو بكر وخاطبه برقة ولباقة وأقنعه بالرجوع فانصرف الفونسو السادس ووعده بحمايته ، ولكل ذلك فقد حازت شخصية أبو بكر إعجاب الفونسو السادس الذي كان يصرح في عدد من المناسبات قائلا : "رجال الأندلس ثلاث أبو بكر بن عبد العزيز هذا ، و أبو بكر بن بن عمار وزير المعتمد بن عباد ، و ششنانده[4] " . لم يعش أبو بكر طويلا إذ ما لبث أن توفي في صفر 478هـ / 1085م ، فخلفه في حكم بلنسية ابنه أبو بكر عثمان ، وكان لايزال فتى حدثا تنقصه الخبرة ، والحنكة ويفتقد حكمة أبيه وحزمه ، وكانت الظروف آنذاك

---

[1]- ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج 2 ، ص 129 ؛ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 8 ، ص 111 ؛ عبدا لله عنان ، دول الطوائف ، ص 225 .

[2] – ابن بسام ، المصدر السابق ، ق 3 ، ص 250-251 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 303-304 .

[3]- ابن بسام ، المصدر السابق ، ق3 ، ص 43 ؛ الزيري ، المصدر السابق ، ص 78.

Dozy , op.cit , vol. 2 , p. 116 .

[4] – اسمه الحقيقي سيسنندوا دافيدس (Sisnando davides) ، وكان من النصارى المستعربة ، أصله من مقاطعة البيرة شمال البرتغال ، وقع أسيرا عند المسلمين وهو صبي في غارة قام بها القاضي ابن عباد بمنطقة قلمرية فاقتاده أسيرا إلى اشبيلية حيث نشأ مع فتيان القصر وترقى حتى وصل منصب الوزارة ثم حسده بعض أعدائه فهرب إلى الشمال ، والتحق بخدمة فرناندو الأول ثم ولده الفونسو السادس ملك قشتالة وليون . (أنظر ، عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 58).

تستلزم حاكما قويا[1] ، وفي هذه الأثناء حدثت أكبر كارثة لحقت بالمسلمين وتتمثل في سقوط طليطلة في يد الفونسو السادس ، وكان لسقوطها أثارا خطيرة على مملكة بلنسية ، ذلك أن الفونسو كان قد اتفق مع القادر بن ذي النون المعزول على إعطائه بلنسية ، ومساعدته في استردادها من يد ابن وزيرهم الذي كان بنو ذي النون قد ولوه إياها ، ولم علم أهل بلنسية بهذا النبأ انقسموا فمنهم من رأى الانضواء تحت حماية المستعين بن هود ملك سرقسطة ، ومنهم من رأى أن بنو ذي النون لهم حقوقا في المدينة[2].

وهكذا تم خلع عثمان بن أبي بكر بعد أن استمر في الحكم تسعة أشهر فقط ، وأرسلت الجماعة أو كبار رؤساء بلنسية إلى القادر يبلغونه بموافقتهم على تسليم المدينة إليه . و تنفيذا لاتفاق القادر مع الفونسو ، بعث معه هذا الأخير قوة قشتالية بقيادة ألبار هنيث[3] (Alfar hanes) – البرهانس في الروايات العربية – وتمكن من دخول بلنسية في شوال 478هـ / فيفري 1086م ، وتسلم القصر من القاضي ابن لبون[4] ، ونزل ألبارهنيث وجنوده القشتالين في ضاحية الرصافة على مقربة من بلنسية ، بينما نزل القادر و أتباعه في الساحة بين المسجد الجامع و قصر الإمارة[5] .

---

[1] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 304 ؛ عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 226.

[2]– ابن بسام ، المصدر السابق ، ق3 ، ص 93 ؛ ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص 86 .

Chronicle of the cid, pp. 112-115 ; Alfonso el sabio , op.cit , pp. 547-549 ; Dozy , op.cit , vo.l 2 , pp. 117-118 .

[3] – هو القائد القشتالي ابن أخ السيد القمبيطور ، وواحد من كبار فرسان الفونسو السادس . (أنظر ، ابن قطان (أبو الحسن علي بن محمد الكتامي): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، قدمه وحققه محمود علي مكي ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، 1990، ص 63).

[4] – بنو لبون من البيوتات العريقة بشرق الأندلس ، وكان أبا عيسى بن لبون من جملة أصحاب القادر ، كما كان حاكما لمربيطر، و أبو وهب بن لبون هو الذي سلم قصر الإمارة للقادر . (أنظر ، ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج 2 ، ص 167) .

[5]– ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 304 ؛ ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص 86 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج4 ، ص 207 .

Chronicle of the cid, pp. 116-117 ; Alfonso el sabio , op.cit , p. 547sqq ; Dozy , op.cit , vol. 2 , pp. 118-119 .

و هكذا انتقلت قاعدة ملك بني ذي النون من طليطلة إلى بلنسية ، وتم ذلك على يد القادر بن ذي النون ، الذي قبل أن يكون خادما لملك قشتالة ، و الذي يدين له بملك هزيل قائم على التبعية المطلقة لقشتالة[1] ، ويسجل عهد القادر ببلنسية أكثر صفحات بلنسية سودا ، و أسوء مرحلة تاريخية مرت بـها المدينة منذ قيام ممالك الطوائف[2] ، فقد ثقلت وطأة القشتالين (ألفارهانيث وأتباعه) على المدينة وأرغموهم بمؤنهم و غرائمهم ، وفرضت ضريبة على سائر الناس ، فاشتد سخطهم على القادر وعلى شيعته القشتالين ، وأثروا الرحيل عن المدينة فرارا من هذا الطغيان[3].

1 – عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 228 .
2 – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 305 .
Dozy , op.cit , vol. 2 , p. 119.
3 – عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 228 .

6- السيد القمبيطور يعمل لحسابه الخاص :

أ – انفصال السيد عن بني هود :

بينما كان أهل بلنسية يعيشون مرارة العيش على يد القادر وحلفائه القشتالين ، كانت الأوضاع في مناطق الأندلس الأخرى تتطور بسرعة ، وبدأ الفقهاء ينذرون بالخطر الداهم ويضغطون على أمراء الأندلس حتى جعلوهم يستنجدون بالمرابطين[1] ، الذين عبروا إلى الأندلس بقيادة يوسف بن تاشفين[2] ، وذلك عام 479هـ/ 1086م[3] ، لرفع راية الإسلام التي انتكست في نواحي الأندلس المختلفة بسبب عوامل الضعف والانهيار ، التي حلت بملوك الطوائف وسرعة حركة الاسترداد القشتالية التي أصبحت منذ ذلك الحين تصطبغ بصبغة الحركة الصليبية[4] .

وفي هذه الأثناء أدرك الفونسو السادس ملك قشتالة وليون خطورة الوضع ، فأخذ يعد العدة للقاء جيوش المرابطين . و استدعى القائد ألفار هانيث و جنوده ، الذين رافقوا القادر بن ذي النون أثناء دخوله بلنسية ، و بعد خروجهم من المدينة أحس الناس بالاطمئنان والراحة . وانتصر المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين على جيش الفونسو السادس ، و حلفائه من الممالك

---

[1] – دولة إسلامية أقامها بربر لمتونة ،إحدى فروع قبيلة صنهاجة ، نسبت إلى المكان الذي انطلقت منه و هو رباط أقام فيه عبد الله بن ياسين الجزولي مع أتباعه داخل جزيرة ، وقد بسطت هذه الدولة نفوذها من بلاد السنيغال غربا إلى الجزائر شرقا ، و الأندلس شمالا . بلغت أوجها في عهد يوسف بن تاشفين سقطت تحت ضربات الموحدين دام سلطانها حوالي قرن من الزمن أي من قرن الخامس إلى السادس الهجري .(أنظر ، ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 5 وما بعدها من الصفحات ؛ ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 242 ؛ ابن أبي الدينار (عبد الله محمد بن أبي القاسم القيرواني): المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، تونس ، بدون تاريخ ، ص 101 وما بعدها من الصفحات ؛ القلقشندي ، المصدر السابق ، ج 5 ، ص 188) .

[2] – هو الأمير يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقون إبن وارتقطين بن منصور بن مصالة بن أمية الصنهاجي اللمتوني ، ولد بالصحراء عام 400هـ / 1009م ، وكان أول من تلقب بأمير المسلمين من أمراء المغرب توفي عام 500هـ . (أنظر ، إبن أبي الزرع ، المصدر السابق ، ص 157).

[3] – الزيري ، المصدر السابق ، ص 103 ؛ ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص 89-91 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج4 ، 132-133 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج 6 ، ص 248 .
Chronicle of the cid, p. 112 ; Bidal , op.cit , pp.99-100.

[4] – كمال أبو المصطفى السيد ، المرجع السابق ، ص 138 .

النصرانية الأخرى في موقعة الزلاقة الشهيرة رجب 479هـ / أكتوبر1086[1] .

وما كادت أنباء انتصار المسلمين تصل إلى القادر بن ذي النون ، حتى بادر بالكتابة إلى يوسف بن تاشفين يهنئه بانتصاره كباقي ملوك الطوائف الآخرين ، و يلتمس صداقته ومودته لكن أنباء وصلت هذا الأخير عجلت بعودته سريعا إلى بلاده [2] .

شعر القادر بعد رحيل حماته من القوة القشتالية بأنه لاحول له ولا قوة[3] ، وأنه عاجز على أن يملك زمام الأمور ، فقد أصبحت البلاد مطمعاً للطامعين من ملوك الطوائف ، وعلى الأخص المنذر بن هود صاحب لاردة الذي أصبح يرقب المدينة عن كثب ، ويتحين الفرصة للاستيلاء عليها[4] ، ورأى فيها بعد خروج الحامية القشتالية من بلنسية فريسة سهلة المنال ، فخرج بقوة كبيرة من جيشه تعززها فرقة من المرتزقة القطلان ، وأحكم الحصار حولها وذلك عام 481هـ / 1087م[5]، فاستولى الذعر على القادر وهم بتسليم المدينة لولا أن تدخل ابن الطاهر صاحب مرسية ونصحه بالتريث وشجعه على الصمود والدفاع ، ولما تأزمت الأمور أرسل القادر بن ذي النون إلى الفونسو السادس يطلب مساعدته ،كما أرسل إلى المستعين بن هود صاحب سرقسطة و ابن أخ المنذر صاحب

---

[1] – الزيري ، المصدر السابق ، ص 104–105 ؛ ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص 93–95 ؛ ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج 7 ، ص 117 ؛ ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 8 ، ص 446–449؛ عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 311-317 .

Alfonso el sabio , op.ci.t , pp. 557-558 ; Chronicle of the cid, p. 122 ; Bidal , op.cit , pp.100-104.

[2] – ابن بسام ، المصدر السابق ، ق3 ، ص 94 ؛ ابن أبي الزرع ، المصدر السابق ، ص 152 ؛ عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 229.

[3]– حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 55 .

Bidal , op.cit , p109 .

[4] – عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 229 .

[5] – ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص 78 .

Alfonso el sabio , op.cit , p. 559 ; Chronicle of the cid, p 122 ; Dozy , op.cit , vol 2 , p. 123 .

لاردة[1] ، و كان المستعين بن هود يتوق إلى ضم بلنسية ، و يشعر بالأسى لفشل محاولة قام بها أبوه من قبل ، و كان السيد القّمبيطور يلح على المستعين لتحقيق هذا الهدف ، و لم يتردد هذا الأخير لحظة واحدة في تلبية نداء القادر ، و بادر بالسير بقواته نحو بلنسية ، و صحبه حليفه السيد القّمبيطور ، وجند من المرتزقة القطلان وذلك عــــــام 481هـ/1088م ، و كان المستعين هذا يريد إنجاد القادر في الظاهر ويضمر الاستيلاء على المدينة . ويشير ابن الكردبوس إلى هذا الحدث بقوله : " وخرج الحاجب منذر بن أحمد بن هود من لاردة ، و نزل على بلنسية وحاصرها طامعا في أخذها من يد القادر ، فلما سمع به ابن أخيه المستعين استنصر بالقنبيطور –لعنه الله– و خرج معه في أربع مائة فارس والقنبيطور في ثلاثة ألاف فارس ، وغزا معه بنفسه حرصا منه على تملك بلنسية "[2].

و عندما علم المنذر بمجيء ابن أخيه المستعين ، و حليفه السيد القّمبيطور في قواتهما لمساعدة القادر ، تيقن من فشل محاولته وقرر الانسحاب ، وقبل أن يرحل بعث إلى القادر يعتذر له عما قام به اتجاه بلده ، واستعداده للتحالف معه ومساعدته ضد المستعين إذا ما امتنع القادر على تسليم المدينة له . وقبل القادر ما عرضه عليه المنذر رغم علمه بما يضمره هذا الأخير من شر . كما بعث القادر إلى السيد القّمبيطور مبعوثا سرياً يعرض عليه محالفته ، وهكذا يكون قد أتاح له الفرصة التي كان ينتظرها[3] . وقبل أن يصل المستعين إلى بلنسية فقد عقد اتفاقا سريا مع السيد القّمبيطور حول مدينة بلنسية ، خلاصته أن تكون الغنائم كلها من نصيب السيد القمبيطور و جنوده في حين يأخذ المستعين مدينة بلنسية[4] .

ولم يلبث أن وصل المستعين بقواته إلى المدينة بصحبة السيد القّمبيطور، وقواته المرتزقة . فبادر القادر بالترحيب بهما بكل مظاهر الحفاوة وشكرهما على الإسراع لنجدته ، ثم دعاهما للنزول في قصره

---

[1] – عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 229 .
Alfonso el sabio , op.cit , p. 559 ; Chronicle of the cid, p 122 ; Dozy , op.cit , vol 2 , p 123 . guichard , op.cit , p. 66 .

[2] – المصدر السابق ، ص 98 .

[3] – ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص 98 ؛ عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 236.
Alfonso el sabio , op.cit , p. 560 ; Dozy , op.cit , vol 2 , p. 125 .

[4] – ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص 98 ؛ حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 55 .

بربض بلنسية[1] . ونجحت خطة القادر في إفساد الجو بين الحليفين ، وتنكر السيد القمبيطور لحليفه ، وأخبر المستعين عدم استطاعته تنفيذ ما اتفق عليه بحجة أن القادر صاحب بلنسية يتمتع بحماية الفونسو السادس ملك قشتالة وليون ، ويؤدي له الجزية ، وأن الهجوم على بلنسية يعتبر عملا عدائيا ضد سيده الفونسو السادس . فخابت أمال المستعين بن ذي النون وعاد إلى سرقسطة مسرعا ، يبحث عن حليف آخر، وترك في بلنسية واحدا من قواده مع مجموعة من الفرسان ليكونوا في خدمة القادر ظاهرا ، وليحتلوا المدينة إذا سنحنت لهم الفرصة [2] .

في مثل هذه الظروف ، بدأ السيد القمبيطور يستقل بنفسه ، ويظهر على حقيقته ، و يراوغ الجميع ، فهو يبيع العدو والصديق معاً . فهو يعد المستعين والقادر كل بمعزل عن الأخر بأنه سوف يساعده على تحقيق أهدافه ، و يؤكد للمستعين أنه على الأهبة لأن يساعده في الاستيلاء على بلنسية إذا وافق الفونسو السادس على ذلك[3].

ب – عودة السيد القمبيطور إلى خدمة الفونسو السادس:

و بعد عودة المستعين إلى سرقسطة ، أرسل السيد القمبيطور مبعوثاً إلى الفونسو السادس يخبره بالعودة إلى خدمته ، وأن جنوده تحت تصرفه متى أراد ذلك ، وأنه يعمل من أجل أن يضع شرق الأندلس كله تحت نفوذه[4] .

و كان طبيعياً بعد ما عرضه السيد القمبيطور على ملكه من عروض ، أن يعفوا هذا الأخير عنه ، وأن يغفر له ما ارتكبه من أخطاء . و ما كاد السيد يلقى من سيده هذا الرد الذي يكشف عن رضاه و مسامحته له حتى بادر بالسير إلى قشتالة للقاء الملك الفونسو السادس والتشاور معه ، وتم التصالح بينهما أواخر عام 1087م . فاختار السيد القمبيطور أن يوجه نشاطه ناحية بلنسية و

[1] – Chronicle of the cid, p. 122 ; Dozy , op.cit ,vol 2 , p. 126 .

[2] – Alfonso el sabio , op.cit , p. 560 ; Chronicle of the cid, p .124 ; Bidal , op.cit , p.110 .

[3] – عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 236 ؛ الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 97 .

[4] – عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 236 .

Chronicle of the cid, p. 124 ; Alfonso el sabio , op.cit , p 561 ; Dozy , op.cit , vol. 2 , p. 126 ; Bidal , op.cit , p.111 .

ما جاورها من مدن[1].

ج – تحالف المستعين مع رامون برنجير أمير برشلونة:

و في هذه الظروف أيقن المستعين بتخلي السيد القّمبيطور عن مساعدته ، فأخذ يبحث عن حليف أخر للتعاون معه ، فأخذ يتقرب إلى رامون بيرنجير الثاني ، أمير برشلونة ، ونجح في عقد اتفاق معه يقضي بأن يساعده على غزو بلنسية . فانظم بقواته إلى المستعين وزحف اتجاه بلنسية ، وتمكن الاثنان أثناء تقدمهما من الاستيلاء على حصن لرية (Liria) بالقرب من بلنسية وجبالة[2] (Gebolla) ، ثم وصلت قواتهما إلى بلنسية فحاصروها ، ولكن ما كادت أنباء اقتراب السيد القّمبيطور من المدينة تصل أمير برشلونة ، حتى أصابه الخوف من مواجهته وأدرك عجزه عن التصدي له ولجنوده ، فآثر السلامة لنفسه وبادر بالانسحاب من مواقعه، وقفل عائدا إلى بلاده ، وبذلك فشلت محاولة المستعين الثانية في الاستيلاء على بلنسية[3] .

د – السيد القّمبيطور يخضع أمراء القلاع المجاورة لبلنسية :

وكان السيد القّمبيطور بعد أن صالح الملك الفونسو السادس ، قد قرر الاستيلاء على بلنسية فخرج إليها بقواته ، وفي طريقه مر بمربيطر[4] (Murviedro) ، وأرغم حاكمها ابن لبون على دفع الجزية . ثم وصل إلى بلنسية فاستقبله صاحبها القادر بالحفاوة و التكريم وغمره بالهدايا . واتفق معه السيد القّمبيطور على حمايته من أعدائه المسلمين ، و النصارى مقابل جزية قدرها أربعة ألاف

---

[1] – حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 55 ؛ عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 237 .
Chronicle of the cid, p 125 ; Alfonso el sabio , op.cit , pp. 561-562 ; Dozy , op.cit , p. 126 .

[2] – يعرف بجبالة في المصادر القشتالية ، أما عند العرب فهو يعرف بحصن أنيشة أو أنيجة ، ويقع هذا الحصن شمال بلنسية على مقربة من بنشكلة ، وهو جبل عال يطل على البحر . (أنظر ، الحميري ، المصدر السابق ، ص 31) .

[3] – Chronicle of the cid, p 125 ; Alfonso el sabio , op.cit , p. 561;Dozy op.cit , p. 127 .

[4] – كانت تسمى في العهد الروماني ساجنتوم (saguntum) ، تقع شمال بلنسية وجنوب طرطوشة محادية للبحر . (أنظر ، الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 19 ؛ الحميري ، المصدرالسابق ، ص 405) .

دينار يدفعها له القادر أسبوعياً[1] . وفي نفس الوقت أرسل السيد القّمبيطور إلى حكام القلاع و الحصون التابعة لبلنسية يأمرهم بالعودة و الالتزام بدفع الخراج إلى القادر ، كما كانوا يفعلون من قبل ، فاستجاب الجميع لأمر السيد القّمبيطور خوفا و اتقاءا لبأسه ، وخضع له أمراء السهلة (شنتمرية الشرق) ، وألبونت ومربيطر ،ودفعوا له الجزية ، وأصبح صاحب النفوذ الحقيقي في تلك المنطقة ، وأصبح وزير القادر ابن الفرج[2] ، هو الذي ينوب عنه في بلنسية[3] .

هـ – توتر العلاقة بين السيد القّمبيطور و الفونسو السادس :

و في هذه الأثناء قام الفونسو السادس بتحصين حصن لييط (Alèdo) الواقع بالقرب من لورقة[4] (Lorca) ، وذلك خوفا من تقدم المرابطين الذين عبروا الأندلس للمرة الثانية بعد استغاثة المعتمد بن عباد بهم ، و قد تمكن المرابطون من محاصرة الحصن ، عام 481هـ / 1088م ، و أدرك الفونسو السادس خطورة الموقف ، فبعث إلى السيد القّمبيطور يطلب منه المساعدة ، فأبدى هذا الأخير استعداده ، و اتجه نحو شاطبة حتى يكون قريباً من الأحداث ، لكن وقع سوء تفاهم بينهم ، ذلك أن الملك طلب منه أن يعسكر في الطريق الذي سيمر معه حتى يتسنى له الانضمام إليه بسرعة ربحا للوقت ، في حين أن السيد القّمبيطور عسكر في مكان آخر ، فأخره ذلك عن الوصول إلى ساحة المعركة ، وكان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، قد أمر برفع الحصار عن الحصن بدون قتال

---

[1] – الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 99 ؛ عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 238 ؛ حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 56 .

Chronicle of the cid, p. 126 ; Dozy , op.cit , p. 128 .

[2] – بنو الفرج من أعيان بلنسية الذين توارثوا الحسب ، وكان أبو بكر بن عبد العزيز يستشيرهم في الأمور الصعبة لمكانتهم في البلد ، ويبدوا أنه حسدهم على نفوذهم فأخرجهم من بلنسية فتفرقوا في حواضر ملوك الطوائف ، ومنهم أبو عامر بن الفرج وزير المأمون بن ذي النون ثم حفيده القادر ، كذلك أبو الفرج الذي تولى حكم قلعة قونكة ، وهو الذي استقبل القادر بعد خروجه من طليطلة . (أنظر ، ابن سعيد ، المصدر السابق ، ج 2 ، 303-304 ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج2 ، 171) .

[3] – Alfonso el sabio , op.cit , p. 561 ;Dozy, op.cit , p. 128 .

[4] – تقع في الجنوب الشرقي للأندلس إحدى مدن مرسية ، وقد اشتهرت بخصبها وبمنتجاتها الزراعية ولاسيما الفواكه ، وتفسيرها باللاتنية يعني الزرع الخصيب . (أنظر ، الحميري ، المصدر السابق ، ص 512 ؛ العذري ، المصدر السابق ، ص 1) .

وذلك بسبب إرهاق جيشه نتيجة طول مكوثه في محاصرة هذا الحصن[1] .

ولم تلبث العلاقة بين الفونسو السادس ، و السيد القّمبيطور أن ساءت من جديد و ذلك بسبب تحريض خصومه ، الذين رأوا في تأخره خطة مدبرة لصالح المسلمين ، وضد المسيحيين . عندئذ أصدر الملك أمرا بمصادرة كل الضياع و الحصون التي كان قد منحها له ، كما أمر بسجن زوجـــــته و أولاده[2] .

و – انتصار السيد القّمبيطور على رامون برنجير أمير برشلونة :

بعد أن ساءت العلاقة بين السيد القّمبيطور ، و الملك الفونسو السادس أصبح يتصرف بحرية ، بعد أن تخلى عنه هذا الأخير ، و انفصل عن المستعين بن هود صاحب سرقسطة ، كما وجد نفسه محاطا بالأعداء من كل جانب فكثف تنقلاته لحسابه الخاص ، و أخذ يعيث فسادا منذ عام 484هـ / 1091م ، في سائر المناطق الشرقية من أوريولة إلى شاطبة[3] (xativa) ، ثم استولى على مرابط (miravet) الواقعة شمال طرطوشة[4]، ولما علم القادر بما يقوم به السيد القّمبيطور خشي أن تكون المحاولة الموالية ضده ، فأرسل إليه المزيد من الهدايا و الأموال اتقاءاً لشره ، وفي المقابل عقد المنذر صاحب لاردة والمستعين صاحب سرقسطة اتفاقا مع برنجيير الثاني أمير برشلونة الذي كان يحقد على السيد القّمبيطور ، فتحرك مع جيشه باتجاه المستعين في سرقسطة ، وقدم له هذا الأخير أموالا كبيرة مقابل مساعدته ، كما سار الاثنان إلى الفونسو السادس ملك قشتالة طالبين العون ضد

---

[1] – ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج 2 ، ص 185 ؛ الزيري ، المصدر السابق ، ص 109–113 ؛ ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 188 ؛ عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 239 .

Dozy , op.cit , vol 2 , p. 128 ; Bidal , op.cit , p.115 ; guichard , op.cit , p. 67.

[2] . حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 56 ؛ ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص188 .

Dozy , op.cit , vol 2 , p.p. 129-130 ; Bidal , op.cit , p.p.117-123.

[3] – مدينة قرب ساحل البحر المتوسط وهي من أعمال بلنسية بحيث تقع جنوبها وشرق قرطبة ، كانت تسمى عند الرومان (setabis) بمعنى المدينة المحصنة ، وحصنها منيع لا مثيل له . (أ نظر ، الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 192 ؛ العذري ، المصدر السابق ، ص 18–19 ؛ الحموي ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 309–310) .

[4] – الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 101 ؛ ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 188 .

Dozy , op.cit , vol 2 , p. 130.

السيد ، غير أن الملك لم يمدهما بجندي واحد فعادوا خائبين[1] ، و عسكر السيد القّمبيطور في هذه الأثناء في غابات تيفار(tevar) بالقرب من طرطوشة ، و لما علم بالاتفاق الذي دار بين المنذر و المستعين مع أمير برشلونة ، أخذ يعمل على التفرقة بينهم ، و أول من وقع في الفخ هو المستعين الذي بعث من جديد إلى السيد القّمبيطور يطلب وده[2] ، كما أخبره بأن أمير برشلونة يتهيأ للقائه ، و كان هذا الأخير يعتقد أن السيد القّمبيطور يمكن أن يرحل تحت ضغط التهديد ، فبعث إليه رسالة يستخف به ويتوعده فيها ، و لما قرأ السيد القّمبيطور الرسالة أمام جنوده ، كان رده سريعا بحيث دعا أمير برشلونة إلى معركة فاصلة[3] .

أثارت الرسالة التي تلقاها برنجير من السيد القّمبيطور قمة غضبه ، و قرر الانتقام منتهزا في ذلك فرصة الظلام ، ففاجأ معسكر السيد القّمبيطور ، الذي لم يكن مستعداً لهذا الهجوم ، و مع ذلك فقد جمع جنوده بسرعة ، و قاتل مستميتاً . لكنه سقط من جواده متأثرا بجروح في ساقه ، وواصل جنوده القتال حتى انتصروا[4] ، ثم قاموا بعدها بالهجوم على معسكر برنجيير فغنموا كثيراً ، كما تمكنوا من أسر الأمير نفسه و خمسة ألاف من جنوده ، و أخذ الأمير إلى خيمة السيد القّمبيطور كسير النفس يطلب عفوه ، لكن هذا الأخير عامله بقسوة زائدة فلم يسمح له بالجلوس معه في خيمته ، كما طلب من جنوده أن يسحبوه خارجا و يحرسونه جيداً ، و أمرهم بأن يقدموا له ولباقي الأسرى ما يكفيهم من الطعام ، ثم قبل منه الفدية ، و التي بلغت ثمانون ألف مارك ذهبي بلنسي ، و أطلق سراح الأسرى مقابل فدية يقدمونها له مستقبلا[5] .

---

[1] – Alfonso el sabio , op.cit , pp. 560-561 ;Dozy, op.cit , p. 131 .

[2] – ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 188 ؛ عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 139 .
Alfonso el sabio , op.cit , p 562 ; Dozy, op.cit , pp. 131-132.

[3] – الطاهرأحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 263 .
Dozy, op.cit , p.p 131-132 ; Bidal , op.cit , pp.126-128.

[4] – ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 188.
Dozy, op.cit , p. 134 .

[5] – الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 104.
Alfonso el sabio , op.cit , p 564 ; Dozy, op.cit , p 134 ; Bidal , op.cit , pp. 129-132 .

تأثر أمير برشلونة كثيراً بعد أن عفا السيد القّمبيطور عنه فطلب محالفته وصداقته ، إلا أن هذا الأخير رفض ذلك بسبب كرهه الشديد له ، لكنه تراجع عن قراره بعد أن ألح عليه جنوده ، و وافق على أن يتحالف مع خصمه القديم ، و لما علم المنذر صاحب لاردة بهزيمة أمير برشلونة ، وتحالفه مع السيد القّمبيطور تأثر لذلك ومات كمدا تاركا وراءه طفلا صغيرا ، فاشترى له أوصياؤه رضا السيد القّمبيطور وحمايته بجزية سنوية قدرها خمسون ألف دينار[1] .

ز – عمل الفونسو السادس على تحطيم نفوذ السيد القّمبيطور :

وإلى جانب الجزية التي كان السيد القّمبيطور يتلقاها من بني هود و أمير برشلونة ، كان يتلقى من بني رزين سادة شنتمرية الشرق عشرة ألاف دينار كل عام ، ومن عبد الله بن القاسم صاحب ألبونت عشرة ألاف دينار ، ومن ابن لبون حاكم مربيطر ثمانية ألاف ، ومن شبرب[2] (sègorbe) ستة ألاف ، ومن الشارقة[3](xèrica) ثلاثة ألاف ، ومثلها من حصن المنارة . أما أعلى جزية فكان يدفعها القادر صاحب بلنسية ، وقيمتها اثناتي وخمسون دينارا سنويا[4] ، و كانت تدفع منها خمسة ألاف ومائتي دينار إلى مطران بلنسية الذي تسميه المصادر العربية سعيد مطران القائم على شؤون المستعربين[5] (mozarabe) بالمدينة [6] ، ولما سمع الفونسو السادس بما يفعله السيد القّمبيطور في في شرق الأندلس ، و ما أصبح عليه من ثراء استقر عزمه على أن ينتزع منه بلنسية حتى يضع حدا لنفوذه الذي تجاوز الحدود ، فسار نحو بلنسية مصمما على الاستيلاء عليها بعد أن عقد اتفاقاً مع

---

[1] – الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 104 .
Dozy, op.cit , p. 137 ; Bidal , op.cit , p.132.

[2] – شبرب بلدة بالأندلس من أعمال بلنسية . (أنظر ، الحموي ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 321) .

[3] – الشارقة حصن بشرق الأندلس من أعمال بلنسية . (أنظر ، الحموي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 307) .

[4] – ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 188.
Alfonso el sabio , op.cit , p. 565 ; Dozy, op.cit , p. 137 ; Bidal , op.cit , p.132.

[5] – المستعربين هم نصارى الشمال الذين عاشوا مع المسلمين وتعلموا لغتهم وقلدوهم في معيشتهم فاستعربوا لسانا وأسلوب الحياة . (أنظر ، رجب عبدا لحليم ، المرجع السابق ، ص 413) .

[6] – الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 105 .
Bidal , op.cit , p.132 .

بحـارة جنوه[1](Génois) ، وبيزه[2](pisans) الإيطاليين لمحاصرة المدينة من جهة البحر بينما يقوم هو بمحاصرتها من جهة البر ، ولما وصل الفونسو السادس إلى بلنسية تأخرت سفن البحارة الجنويين ، و البيزين عن الوصول في الوقت المحدد ، وبقي يحاصر المدينة في انتظار وصول السفن . وكان السيد القّمبيطور في هذه الأثناء موجودا في سرقسطة ، فلما نمي إليه ما يفعله الفونسو السادس عزم على أن ينتقم منه ، فغادر سرقسطة مع جنوده و اتجه نحو قشتالة ، و راح يعيث خرابا و دماراً في مدينة ناجرة (Nagèra) ، و قلهرة (Calahorra) القشتاليتين ، و كانت من أملاك غرسيه أوردونيث عدو السيد القّمبيطور ، و لما علم الفونسو السادس ما حدث في مملكته اضطر إلى رفع الحصار عن بلنسية دون يظفر بشيء و عاد إلى قشتالة[3] . و في ذلك يقول ابن الكردبوس " ولما نزل الفنش على بلنسية غضب القنبيطور واحتد ، وجمع و حشد لأنه كان يعدها له طاعة والقادر بها عاله ، إذ لا قدرة له على الدفاع و لا استصالة فخالفه إلى قشتالة فحرق وهدم ، وكان ذلك أقوى الأسباب في افتراق ذلك الجمع عن بلنسية "[4] .

و أيا ما كان الأمر فقد آثر الفونسو السادس العودة إلى سياسة اللين تجاه السيد القّمبيطور بسبب تزايد خطر المرابطين في الأندلس بعد أن استولوا على جنوب شرق الجزيرة ، وخلعوا معظم ملوك الطوائف ، فكتب إليه أوائل سنة 485هـ/ 1092م ، يخبره بالعفو عنه ، وبأنه قد رفع الحظر على أملاكه و السماح له بالعودة إلى قشتالة متى شاء . فلقي هذا العفو قبولا عند السيد القّمبيطور، كما نصح الملك بأن لا يسمع مرة أخرى لنصحاء السوء و خاصة أعداءه[5] ، و كان السيد القّمبيطور

[1] . تقع غرب بيزه على شاطئ البحر المتوسط . (أنظر ، أبا الفدا ، المصدر السابق ، ص 209) .

[2] – تقع غرب مدينة روما محاذية للبحر المتوسط . (أنظر ، أبا الفدا ، المصدر السابق ، ص 209) .

[3]– ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص 99 ؛ ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 189 ؛ حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 56 ؛ عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 240 .

Chronicle of the cid, p. 134 ; Dozy , op.cit , p. 140 ; Bidal , op.cit , p.152 sqq .

[4] – المصدر السابق ، 99-100 .

[5] – عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 240 ؛ بطرس البستاني ، المرجع السابق ، ص 45 .

Dozy , op.cit , p. 141 ; Bidal , op.cit , pp.155-156 .

خلال ذلك كله يعتبر بلنسية ملكا له ، و لما اطمأن على الأوضاع بداخلها خرج بقوة عسكرية إلى سرقسطة في شعبان 485 هـ / 1092م ، لمساعدة ملكها المستعين بن هود على مواجهة خطر سانشو راميرز ملك أراغون و استخلف ببلنسية نائبه ابن الفرج . خفف خروج السيد القّمبيطور من المدينة التوتر القائم فيها ، وتنفس أهلها الصعداء لرحيل ذلك الطاغية عنهم[1] .

وهكذا أصبح السيد القّمبيطور بعد أن خرج من وطنه منفيا بدون مأوى قوة يحسب حسابها في شرق الأندلس ، ولا يعود ما بلغه هذا الفارس القشتالي من شهرة بفضل قوته وشجاعته ، وإنما إلى الضعف والتفكك الذي أصبح عليه المسلمون في هذه الفترة .

[1] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 31 ؛ حسين مؤنس، السيد القمبيطور ، ص 56 .
. Dozy , op.cit , p 142 .
هذا وإذا كانت المصادر اللاتينية و القشتالية هي المرجع الأساسي في معرفة نشاط السيد إلى غاية 1092م ، فمنذ هذه اللحظة نرى أن المصادر العربية هي التي تلقي الضوء أكثر على حياته ونشاطه ، سواء أكانت هذه المصادر في صورتها الأصلية،أم في النقول المتأخرة الموجودة في المدونة التاريخية الإسبانية الأولى . (أنظر ، ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 189) .

الفصل الثالث

الصراع بين السيد القّمبيطور و المرابطين حول مدينة بلنسية

1– ثورة القاضي ابن الجحاف ببلنسية و استبداده

2– حصار السيد القّمبيطور الأول لبلنسية

3– فشل محاولة المرابطين في استنقاذ بلنسية

4– حصار السيد القّمبيطور الثاني لبلنسية

5– استيلاء السيد القّمبيطور على بلنسية

6– بلنسية تحت حكم السيد القّمبيطور

أ– سياسة السيد القّمبيطور اتجاه سكان بلنسية

ب– موقف المرابطين من سقوط بلنسية

ج– معركة كوارت **cuart** و أثرها على سياسة السيد القّمبيطور

د– نقض السيد القّمبيطور للاتفاق

ه – حرق السيد القّمبيطور للقاضي ابن الجحاف

و– استبداد السيد القّمبيطور بسكان بلنسية

7– صراع السيد القّمبيطور مع المرابطين

8– فتح المرابطين لبلنسية

1- ثورة القاضي ابن الجحاف ببلنسية واستبداده :

اضطربت الأوضاع في بلنسية منذ أن حكمها القادر بن ذي النون ، شوال 478هـ / فيفري 1086م ، فقد أساء تسيير شؤون المدينة ، لأنه أظهر منكرا كثيراً ، و وطد علاقته بالفونسو السادس إلى درجة أن غمره بالهدايا والذخائر الثمينة ، وفي هذه الأثناء خاف سكان بلنسية أن يتنازل له عن المدينة كما ملكه طليطلة من قبل[1] ، من ثم اجتمعوا و قرروا الإطاحة به مستغلين في ذلك فرصة غياب السيد القّمبيطور حليف القادر . و كان يقود الجماعة المناوئة للقادر و السيد القّمبيطور ، و القشتالين بوجه عام ، القاضي جعفر ابن الجحاف[2] ، الذي كان يثير في السكان روح الثورة ، و يتطلع إلى انتزاع السلطة[3] .

و في هذه الأثناء كانت قوات المرابطين بقيادة محمد بن عائشة[4] ، تتقدم باتجاه بلنسية بعد أن استولت على مرسية و دانية ، و تم الاتفاق بين ابن الجحاف وابن واجب[5] ، صاحب الأحكام في البلد ، وأهل العقد و الحل من أهل بلنسية على استدعاء محمد بن عائشة وعرضوا عليه مدينتهم فقبل عرضهم ، فأرسل إليهم قوات مرابطية يقودها أبو نصر أحد قواده ، و في رمضان 485هـ / 1092م[6] ، خرج القاضي ابن الجحاف و أتباعه لتلقي القائد أبا نصر وجنوده ، وإدخالهم البلد ،

1- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 305 .

2 – هو جعفر بن عبدالله بن جعفر بن الجحاف بن يمن المعافري يكن بأبا بكر ، من أهل بلنسية ومتولي القضاء فيها . (أنظر ، ابن الفرضي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 122 ؛ الضبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 315).

3 – ابن خلدون ، العبر ، ج 4 ، ص 208 ؛ عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 241 .

4 – هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين أخو أمير المسلمين علي ، و يعرف بابن عائشة ، وكان من أعظم قواد المرابطين اضطلع با قرار أحوال شرق الأندلس بعد أن عاث السيد القمبيطور فيها ، ولي عمل مرسية منذ أواخر القرن 5هـ . (أنظر ، ابن قطان ، المصدر السابق ، هـ2 ، ص 65 ؛ ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، هـ 4 ، ص 101) .

5 – بنو واجب من أعيان مدينة بلنسية ، يرجع نسبهم إلى العرب القيسية ومن أبرز زعماءهم في عصر ملوك الطوائف أبو الحسن بن واجب صاحب الأحكام بمدينة بلنسية توفي سنة 519هـ / 1126 م . (أنظر ، ابن بشكوال ، الصلة ، القسم الثاني ، ص 574) .

6 – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 31 ؛ ابن بسام ، المصدر السابق ، ق 3 ، ص95 ؛ ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص 103 ؛ عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 240 ؛ حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 57-58 ؛ شكيب أرسلان ، الحلل السندسية ، ج 3 ، ص 57 .

ويشير ابن الخطيب إلى ذلك بقوله " وكان قاضي حضرة بلـنسية وله فيها الأصالة الماجدة الناطقة بالقدم الشاهدة ، و كان قد سئم إضافة عدو الله الكنبيطور ببلنسية ، وسومه أهلها خطة الخسف ، وسئم الذل و ضاق صدره بحفيد ابن ذي النون المستقل إليه ، بعد تمكين النصارى من طليطلة فقوي بمكان دولة اللمتونين ، و انتثل على أيدهم كشف المحنة والخروج من ذل الكنبيطور متعبد أهل بلنسية وحالب ضروع جباياتها بصرامته ، فاستدعى محمد بن عائشة قائد يوسف بن تاشفين فوجه إليه جمعا من المرابطين وبرز الناس للقاءه "[1] .

اضطربت أحوال المدينة بعد دخول المرابطين إلى بلنسية فقام ابن الجحاف باحتواء الأزمة فقبض على ابن الفرج نائب السيد القمبيطور ، و أمر باعتقاله[2] ، أما القادر فقد أسرع بإرسال أهله إلى الحصون المجاورة حيث يوجد أتباعه ، في حين اختبأ هو داخل بيت أحد أتباعه داخل المدينة يحمل معه كل ذخائره ، و كان القاضي ابن الجحاف يدرك أن القادر لا يزال في المدينة فبحث عنه حتى وجده فأمر بقتله ، و تولى ذلك رجل من بني الحديدي[3] كان له عند القادر ثأر فقتله بيده و قطع رأسه ، و وضعه على عصا ، و طاف به الأسواق و الشوارع وسقطت جثته في مستنقع قريب فجاء أحد التجار فوضع جسده في نعش ، و أخذوه خارج المدينة ، و دفن بلا كفن ، واحتوى ابن الجحاف على طائفة عظيمة من الأموال والذخائر والتحف التي كان يحتفظ بها[4] .

---

[1] – المصدر السابق ، ص 203 .

[2] – عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 241 .

Alfonso el sabio , op.cit , p. 567; Bidal , op.cit , pp.161-162; Dozy , op.cit , vol. 2 , pp.144-145.

[3] – بنو الحديدي من أعيان طليطلة و أصحاب النفوذ فيها ، وكان أبا بكر بن الحديدي من أهل العلم والدهاء وحسن النظر في صلاح البلد ، وكان العامة من سكان طليطلة يشاورونه في أمورهم ، فلما تولى القادر بن ذي النون حكم طليطلة رأى ما يتمتع به هذا الرجل من مكانة دون سواه فحسده على ذلك وأمر بقتله. (أنظر ، ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 277) .

[4] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 32 ؛ ابن بسام ، المصدر السابق ، ق3 ، ص96 ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج2 ، ص 125 ؛ ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 203 ، ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص 103 ؛ المقري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 455 .

Chronicle of the cid, p. 137 ; Bidal , op.cit , pp.162-164; Dozy , op.cit , vol 2 , p.145 ; guichard , op.cit , p. 69 .

و حول قتله لابن ذي النون يقول أبو عبد الرحمن بن الطاهر:

أيها لأخيف مهلا   فلقد جئت عويصا

إذا قتلت الملك يحي   وتقمصت القميص

رب يوم فيه تجـــزى   لم تجد عنه محيصـــا[1] .

بعد مقتل القادر بن ذي النون وذلك في رمضان 485هـ/ نوفمبر 1092م ، أصبحت بلنسية تحت حكم الجماعة ، وفي اليوم الموالي اختير القاضي ابن الجحاف رئيسا للجماعة ودخل القصر فوجد فيه من أملاك القادر الكثير[2]. فتولى زمام الأمور، وأخذ يحشد الجند ويحصن أطراف المدينة ويستعد لأي طارئ ، ويبدو أن الغرور ركبه بهذا النجاح الذي وصل إليه " فأظهر أبهة الملك وطمح بصره إلى قضية محمد بن إسماعيل بن عباد ، فما حسن النظر ولا ساعده القدر فكان يجلس مكتنفا بالوزراء والفقهاء والزعماء و الغلمة أمامه ، ويركب فيتقدمه العبيد والطراز ويتأخر عنه الجند ، وتستقبله المصانعة بالدعاء والثناء"[3] .

لكن ابن الجحاف لم يكن مؤهلا لمثل هذه المهام ، فأساء السيرة . و يُحمل ابن بسام المعاصر لتلك الفترة على تولي القاضي حكم بلنسية بقوله " ولم تم لأبي الجحاف شأنه واستقر به – على زعمه – سلطانه وقع في هراش وتفرقت الظبا على خراش ، ودفع إلى النظر في أمور سلطانية لم يتقدم قبل في غوامض حقائقها ، وإلى ركوب أساليب سياسية لم يكن له عهد باقتحام مضائقها ، و لا بدخول في ضنك مأزقها ولم يعلم أن تدبير الأقاليم غير تلقين الخصوم ، وأن عقد ألوية البنود غير الترجيح بين العقود وانتحال الشهود" [4] .

---

[1] – ابن بسام ، المصدر السابق ، ق3 ، ص 96 ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج2 ، ص 125-126 .

[2] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص305 ؛ ابن بسام ، المصدر السابق ، ق3 ، ص 96 ؛ ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 203 ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج2 ، ص 125 ؛ ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص 103 ؛ المقري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 455 .

Chronicle of the cid, pp. 137-138 ; Bidal , op.cit , p164; Dozy , op.cit , vol 2 , pp.145-146.

[3] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 32 ؛ ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 203 ؛ عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 241 ؛ حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 58 .

[4] – ابن بسام ، المصدر السابق ، ق3 ، ص 96-97 .

2- حصار السيد القّمبيطور الأول لبلنسية :

عندما تولى القاضي ابن الجحاف حكم بلنسية هرب أتباع القادر خوفا على أنفسهم ، واتجهوا نحو سرقسطة مقر السيد القّمبيطور ، و أخبروه بالأحداث التي جرت في بلنسية و وضعوا أنفسهم في خدمته [1] ، و كان من الطبيعي أن يغضب السيد القّمبيطور لما حدث ، و لكنه كان سياسيا بارعا يحسن التصرف في مثل هذه المواقف[2] ، فكتب إلى ابن الجحاف يهنئه على تولي رئاسة الجماعة التي تدير شؤون بلنسية ، و في قلبه حقد اتجاهه بسبب استنجاده بالمرابطين ، كما طلب منه أن يعطيه الأطعمة الموجودة في حصون بلنسية ، فرفض ابن الجحاف ، و رد عليه بأن البلد لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، و أن الأطعمة الموجودة في الحصون قد أخذها جنوده ، فغضب السيد القّمبيطور ، و أقسم ألا يبرح بلنسية حتى يظفر بها و يأخذ ثأر القادر بن ذي النون [3] ، فسار نحو بلنسية ، و أخذ الجزية و الأقوات من سائر الحصون الواقعة في طريقه فنزل جبالة و ضرب الحصار حول بلنسية ، و استولى على ربض منية عبد العزيز، شمال بلنسية – تسميه المصادر المسيحية فيلانوفا (Villa Nueva) أي المدينة الجديدة – و ضاحية الكدية (Al kudia) كذلك شمال بلنسية ، وأخذ يرسل العشرات من الغارات في اليوم الواحد و يأمر جنوده بألا يزعجوا سكان المزارع و الفلاحين ، بل كان يبيع سكان مربيطر الغنائم التي يحصل عليها وما يحتاجون إليه من تموين[4] . و وصل صريخ أهل بلنسية إلى المرابطين فقام ابن عائشة بإرسال إمدادات أخرى من الجنود إلى بلنسية فا جتمع لابن الجحاف أكثر من ثلاثمائة فارس أعدها لمواجهة غارات السيد القّمبيطور المتكررة[5] . ثم حاول هذا الأخير أن يستميل الجحاف إلى جانبه فطلب منه أن يتخلص من جنود

---

[1] - Chronicle of the cid, p. 138 ; Bidal , op.cit , p165; Dozy , op.cit , vol. 2 , p.146.

[2] - ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص 103 ؛ حسين مؤنس، السيد القمبيطور ، ص 59 .

[3] - ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 32 ؛ ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 203 .

[4] - عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 241 ؛ حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 59 ؛ شكيب أرسلان ، الحلل السندسية ، ج3 ، ص 58 .

Chronicle of the cid, p. 140; Alfonso el sabio , op.cit , p 569; Bidal , op.cit , p.166 ; Dozy , op.cit. , vol 2 , p . 148.

[5] - ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 32 .

المرابطين الموجودين في بلنسية ليستبد بالحكم وحده ، و أنه هو وجنوده سيعملون على حمايته " و داخل الكنبيطور ابن الجحاف في إخراجهم واستبداده بالملك لنفسه ليقيمه مقام ابن ذي النون يحمي حوزته و يقاتل عنه ، فطمع في ذلك"[1].

و هكذا وجد في المدينة ثلاثة فرق متنافرة ، فرقة تميل للسيد القّمبيطور ، و يمثلها أتباع القادر وعلى رأسهم ابن الفرج ، و فرقة أخرى يتزعمها بنو واجب ، و كانوا يميلون للمرابطين و يعارضون ابن الجحاف في التخلص من المرابطين ، والفرقة الأخرى يتزعمها ابن الجحاف و أتباعه وهو الحزب الذي كان يسعى إلى تحرير بلنسية من أي تدخل خارجي[2] .

قام ابن الجحاف بتلبية طلب السيد القّمبيطور بعدما استشار ابن الفرج الذي أقنعه بضرورة الاعتماد عليه[3] ، وأخذ يدبر للأمر فقلل من رواتب جنود المرابطين بحجة أنه في حاجة إلى الأموال ، كما عمل على مضايقتهم في كل مرة غير أن ابن الجحاف لم يكن يثق كثيرا في السيد القّمبيطور ، ولم يرد أن يقطع صلته بالمسلمين نهائيا ، فعرض على الجماعة أن يرسل مبلغا من أموال القادر إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين لكي يهيئ بها جيشا يستنجد به عند الضرورة ، فوافقت الأغلبية على القرار ، و كلفت جماعة تتكون من خمسة أشخاص من بينهم ابن الفرج بحمل هذه الأموال في سرية تامة ، لكن ابن الفرج أخبر السيد القّمبيطور بمهمته التي كلف بها ، فاقتفى هذا الأخير أثرهم بفرسانه و أدركهم في الطريق وسلب منهم كل ما كانوا يحملونه من أموال[4] .استخدم السيد القّمبيطور هذه الأموال في تحصين جبالة التي اتخذها قاعدة له ، و حصنها بسور منيع مزدوج بأبراج ضخمة ، و بفضل هذه التحصينات اتخذت جبالة مظهر المدينة القشتالية ، و أصبحت تضم كنائس و مخازن بالإضافة إلى قلعتها الحصينة [5] .

---

[1]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص33 ؛ ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 204 .

[2] - Chronicle of the cid, p. 141 ; Bidal , op.cit. , p.167.

[3] - الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 109 .

Chronicle of the cid, p. 142 ; Dozy , op.cit. , vol 2 , p. 150 .

[4] - الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 109.

Chronicle of the cid, p. 142 ; Dozy , op.cit , vol 2 , p.150 .

[5] -. Dozy , op.cit , vol 2 , p151 ; Bidal , op.cit , p167

و في هذه الأثناء بدأ السيد القّمبيطور يهاجم ربض فيلانوفا ، وتمكن من دخولها بالقوة في 486هـ / 1093م ، وأمعن في سكانها قتلا ، كما خرب المباني و سلب و نهب ، ثم اتجه إلى ربض الكدية فبادر أهل ذلك الربض بالاتفاق معه يترك لهم مزارعهم و ممتلكاتهم مقابل التنازل له عن عشر المحصول ، و ولى عليهم رجلا مسلما يدعى ابن عديس – ابن عبدوس في الروايات المسيحية – يتولى الإشراف عليها و ينوب عنه في جباية الضرائب[1] .

و بسقوط ربض الشمال في يد السيد القّمبيطور تبدأ مرحلة جديدة من الحصار، فقد شدد الحصار على المدينة ، و كان ينتظر الاستسلام من طرف السكان بعدما رأى ضيق أهالي المدينة بابن الجحاف الذي كان سببا في ما يحدث لهم ، كما رأى أن سيطرته على شمال بلنسية ، و الاضطرابات داخل المدينة و تقاعس المرابطين في مرسية عن نجدتهم بداية لتحقيق أهدافه ، فلم يلبث أهالي المدينة أن أجرو معه اتصال و انتهت المفاوضات على مايلي :

1- أن يغادر جيش المرابطين المدينة آمنين .
2- أن يعطي ابن الجحاف إلى السيد القمبيطور ثمن ما كان موجودا في الحصون وقت مقتل القادر .
3- أن يؤدي ابن الجحاف الجزية إلى السيد القمبيطور كما كان القادر يؤديها له ، و المقدرة بـــ ألف دينار في الأسبوع مع دفع متآخرتها من وقت مقتل القادر.
4- أن تبقى ضاحية الكدية بيد السيد القّمبيطور .
5- أن يرتد جنود السيد إلى جبالة ويبقى هو معهم[2] .

---

[1] – ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 190 .
Chronicle of the cid, p. 143 ; Bidal , op.cit , p168 ; Dozy , op.cit , vol 2 , p.153 ; Guichard , op.cit , p. 72 .

[2] – عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 242 ؛ الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 110 ؛ شكيب أرسلان ، الحلل السندسية ، ج 3 ، ص 58 ؛ حومد أسعد ، محنة العرب في الأندلس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1988م ، ط2 ، ص 108 .
Chronicle of the cid, pp. 145-146 ; Bidal , op.cit , p168 ; Dozy , op.cit , vol. 2 , p.154 ; Guichard , op.cit , p. 72 .

و هكذا عادت بلنسية بمقتضى هذه الشروط بلدا خاضعا يؤدي الجزية إلى السيد القّمبيطور مثلما كان يفعله القادر بن ذي النون[1] .

وبعد التوقيع على شروط المعاهدة أرغم جيش المرابطين على الخروج من المدينة بعد أن أبلوا فيها بلاءاً حسنا في تدعيم مركز القاضي ابن الجحاف ، و التصدي لهجمات السيد القّمبيطور المتكررة[2] ، وهذا ما يشير إليه ابن بسام بقوله " وانفضت عنه (ابن الجحاف) تلك الجملة اليسيرة من الخيل المرابطية التي كان يتعلق بسببها ومموه على الناس بها لضيق المذاهب ،وغلظة ذلك العدو المصاقب "[3] .

[1] – عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 242 ؛ أسعد حومد ، المرجع السابق ، ص 108 .

[2] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 33 ؛ ابن بسام ، المصدر السابق ، ق 3 ، ص 97 ؛ ابن الخطيب ، المصدر السابق ، 204 ؛ المقري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 45 .

[3] – المصدر السابق ، ق3 ، ص 97 .

3- فشل محاولة المرابطين في استنقاذ بلنسية :

بعد أن تم الاتفاق بين السيد القّمبيطور ، و أهالي بلنسية على الشروط السابقة ، عاد بجنوده و استقر في جبالة[1] ، و لكنه لم يمض كثيرا حتى نقض عهوده شيمته التي تلازمه في كل مكان و في كل عمل[2] ، فقد أخذ يتردد مع جنوده على أطراف المدينة و يعيثون فيها خرابا ودمارا ، كما أرهق ابن الجحاف بمطالبه المالية التي لا تنتهي ، و كان هذا الأخير يعاني من الاضطرابات الداخلية التي قادتها بعض الأسر و خاصة أسرة بني واجب ، و أسرة بني الطاهر أصحاب مرسية السابقين و كانوا يتصلون بالسيد القّمبيطور ، و يتآمرون معه ضد ابن الجحاف .

حاول السيد القّمبيطور في البداية أن يعرف مدى خضوع ابن الجحاف له فطلب منه أن يأذن له بالنزول هو و أتباعه في قصر فيلانوفا الذي كان يضم واحدة من أحسن الحدائق في ذلك الوقت ، فوافق ابن الجحاف ، وهيأ القصر و مداخله فغطى الأرض بالسجاجيد الفاخرة و أعد ولائم هائلة ، وفي اليوم المحدد لوصوله انتظر ابن الجحاف طويلا ولم يأت السيد القّمبيطور ، وفي الليل أتاه رسول يعلمه أن السيد القمبيطور مشغول ، و لا يمكنه المجيء ، فأحس البلنسيون بقسوة الإهانة ، و غضب لها الجميع حتى خصوم القاضي ، و لما رأى السيد القّمبيطور أن ابن الجحاف تقبل الإهانة صاغرا ظهر فجأة في القصر ، وزاد فاستولى على الضاحية المحيـــطة به[3]. وكان يرمي بذلك إلى إحكام تطويق المدينة فبلغ الخوف من سكان المدينة حده ، فسارع ابن الجحاف ، و أعلمهم مهدئا بأن إقامة السيد القّمبيطور في القصر مؤقتة فقط ، لكن السكان أجمعوا على خلعه ، و إسناد رئاسة الجماعة إلى الحسن بن واجب صاحب الأحكام و كان ذلك في 486هـ / نوفمبر 1093م[4] .

---

[1] – عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 242 .

Chronicle of the cid, p. 148; Alfonso el sabio , op.cit , p. 571; Bidal , op.cit , p.172; Dozy , op.cit , vol 2 , p.156.

[2] – عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 242 .

[3] – Chronicle of the cid, pp. 148-149; Alfonso el sabio , op.cit , p. 573 ; Dozy , op.cit , vol 2 , p.157.

[4] – Chronicle of the cid, p 149 ; Alfonso el sabio , op.cit , p 573; Bidal , op.cit , p.173.

و في هذه الأثناء أخذت الأوضاع داخل المدينة في التدهور فعظم الغلاء ، و تضاعف البلاء ، و لم يجد سكان المدينة بدا سوى الاستنجاد بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، و أخبروه بما ألت إليه الأوضاع داخل مدينتهم ، فاهتم بأمرهم و أمر رجاله و قواده في الأندلس بالعمل لنصرتهم ، فتجمعت قوات المرابطين في شاطبة لتنطلق منها إلى بلنسية[1] .

و لما سمع السيد القّمبيطور بأنباء تقدم جيش المرابطين انسحب من حديقة القصر الذي كان يقيم فيه ، و استقر رأيه على انتظار المرابطين خارجا ، كما قام بتحطيم كل الجسور القائمة على نهر الوادي الكبير ، و إغراق كل السهول المحيطة به ، وذلك من أجل عرقلة سير المرابطين إلى المدينة ، و إرغامهم على سلك طريق متشعب للوصول إليه[2] ، ثم أخذ يستعد للقائهم فنظم جنوده فرقتين وأمر كل فرقة فلزمت مصافها[3] .

وما إن علم سكان بلنسية بخبر تقدم جيش المرابطين حتى عمتهم الفرحة " واستبشروا بنصرهم والانتقام من عدوهم ، واستنشقوا ريح الحياة "[4] ، إلا أن هذه الفرحة لم يقدر لها أن تدوم طويلا ، فقد جاءت أخبار تقول أن جيش المرابطين لن يتقدم ، و أنهم رجعوا من حيث جاءوا لسبب غير معروف[5] ، فانهارت أمال السكان ، و أصبحوا لا يفهمون ما يقال لهم ، و اسودت وجوههم

---

[1]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 33 ؛ ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 204 ؛ المقري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 455 .

[2]- الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 111.

Dozy , op.cit , vol 2 , p.159.

[3] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 33 .

[4] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص33 ؛ حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 60 ؛ شكيب أرسلان ، الحلل السندسية ، ج3 ، ص 59 .

Chronicle of the cid, p. 150.

[5] – لم تذكر المصادر العربية سبب تراجع جيش المرابطين عن استنقاذ بلنسية ، في حين أن المصادر المسيحية تذكر أن ابن عائشة القائد المرابطي بمرسية بعث رسالة إلى أنصاره في بلنسية (بنو واجب) يبلغهم فيها أن سبب تراجعه هو قلة المؤن و الأزواد بالإضافة إلى العوائق الطبيعية التي كان سببها تدافع السيول ، ووعد في رسالته أنه بصدد تحضير حملة أخرى في أقرب الوقت لنجدة المدينة . (أنظر ، حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 61 .

Chronicle of the cid, p 152 ; Alfonso el sabio , op.cit , p. 575 ; Dozy , op.cit , vol. 2 , p.160 ; Bidal , op.cit , p.176) .

كما لو كانت قد طليت بالقطران ، وافتقد الناس ذوا كرهم كما لو كانوا قد سقطوا أعماق في المحيط[1] ، ويشير ابن عذاري إلى تلك الحالة بقوله " وأوقع الله لما قضاه في قلوب المسلمين النكول عنهم ، فرجعوا عودهم فبهت أهل المدينة وسقط في أيدهم ويئسوا من الحياة "[2] .

ومهما كانت الظروف فقد رجع ابن عائشة بجيشه إلى شاطبة ، ثم بعث إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين يخبره بكل تفاصيل فشل حملته[3] ، ولو أن يوسف بن تاشفين لم يكتب إليه بعد ذلك ويؤنبه على ذلك التخاذل ، ويوجه إليه أقسى الكلام ويتفجر غضبه إلى حد أن قام بعزله عن الولاية لقيل أن انصرافه و رجوعه عن نجدة المدينة كان بأمر من أمير المسلمين يوسف بن تاشفين[4].

ومهما كانت الأسباب فإن فشل حملة المرابطين في استنقاذ بلنسية ، من بطش ذلك الفارس القشتالي ، أدى إلى تأزم الأوضاع داخلها ، وبعث روح جديدة في نفسية السيد القّمبيطور لمواصلة الحصار و الاستيلاء عليها .

[1]- الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 111 ؛ شكيب أرسلان ، الحلل السندسية ، ج 3 ، ص 59 .
Chronicle of the cid, p. 150 ; Dozy , op.cit , vo.l 2 , pp. 159-160.

[2] - المصدر السابق ، ج 4 ، ص 33 .

[3] - ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 33 .

[4] - حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 60-61 ؛ حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، 1996م ، ط2 ، ص 274 .

4- حصار السيد القّمبيطور الثاني لبلنسية :

في مطلع سنة 487هـ ، و أواخر 1093م ، أخذ السيد القّمبيطور يشدد الحصار على مدينة بلنسية ، و ذلك بعد ما بلغته أنباء رجوع المرابطين عن نجدتها فاستأسد ، و اشتد بأسه و زاد حقده على أهالي المدينة ، الذّين أدركوا خطورة الوضع و غلب عليهم الحزن ، و ضاقت نفوسهم ، و أخذت المجاعة تسري في البلاد لدرجة أن أكل الناس الجلود والدواب و غير ذلك من المحرمات[1] ، وفي هذه الظروف الصعبة فقد ابن واجب شعبيته ، و بدأ ابن الجحاف يسترجع مكانته ، و أخذ يحرض العامة على بنو واجب ، وأنهم بلا خبرة أو كفاية و حملهم مسؤولية الأوضاع المزرية التي تعرفها البلاد ، و جاءه الناس يطلبون رياسته مرة ثانية ، إلا أنه أبدى تحفظه بحجة انصرافه إلى حياته الخاصة و لا يستطيع أن يعطي رأيه لأناس تغلب عليهم روح التعصب ، و أخبرهم بأن الحل في التخلص من هذه الكارثة التي لحقت بهم يتمثل في تركهم لخلافاتهم و أحقادهم ، و تجريد ابن واجب من السلطان فأبدى له الأهالي الاستجابة لمطالبه ، و بويع رئيسا للجماعة مرة ثانية و كان ذلك في 487هـ/ مارس 1094م[2] .

بعد أن تمت الرياسة لابن الجحاف اجتمع بأعيان المدينة ، و اتفق معهم على أن يعطوا السيد القّمبيطور الجزية المعتاد دفعها حتى يتركهم و شأنهم ، كما أسّر إلى السيد القّمبيطور أن يأتي إلى أسوار المدينة و يقول للبلنسين أنه سيقبل مطالبهم ، ولكن شرط خروج بني واجب من المدينة ، وأن يبذلوا الطاعة لابن الجحاف[3] ، و بعدها كلف ابن الجحاف واحد من قواده يدعى التاكرني ، بأن يذهب ليلا ويعتقل بني واجب و وضع تحت إمرته عددا كبيرا من الفرسان و المشاة ، فقام الجنود

---

[1] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 33 ؛ ابن بسام ، المصدر السابق ، ق3 ، ص 97 ؛ ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 204 .

Chronicle of the cid, p. 151.

[2] – شكيب أرسلان ، الحلل السندسية ، ج 3 ، ص 59 .

Chronicle of the cid, p 153 ; Bidal , op.cit , pp.176-177 ; Dozy , op.cit , vol. 2 , pp.162-163 ; Guichard , op.cit , p. 74 .

[3] – حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 64 .

Chronicle of the cid, p. 156 ; Bidal , op.cit , p177 ; Dozy , op.cit , vol 2 , p.164 .

باقتحام بيت ابن واجب و قبضوا عليه ، و على أنصاره ، فأرسلهم ابن الجحاف إلى السيد القّمبيطور حيث قام باعتقالهم[1]، وبعد ذلك خرج القاضي ابن الجحاف إلى فيلانوفا لمقابلة السيد القّمبيطور من أجل عقد اتفاق الصلح فكان في استقباله مطران شنتمرية الشرق ، و عدد من جنود السيد القّمبيطور و كانوا ينتظرون من ابن الجحاف أن يهاديهم بشيء من ذخائر القادر لكنه لم يفعل ، ثم صحبوه إلى السيد القّمبيطور فأحسن هذا الأخير استقباله ، و عانقه ، و رغبه في أن يرتدي لباس الملوك بدل لباس القضاة لأنه ملك فعلا ، و توقع السيد القّمبيطور أن يقدم له شيئا من أملاك القادر لكن ابن الجحاف لم يحمل معه شيئا ، عندئذ غير السيد القّمبيطور لهجته و وعد ابن الجحاف بحمايته مثل ما كان يفعله مع القادر بن ذي النون مقابل شروط ساقها إليه من الصعب إلى الأشد صعوبة وهي كما يلي :

1-أن يتنازل ابن الجحاف عن نصف دخل المدينة والمزارع المتصلة بها .

2-أن يقوم بجباية الضرائب جاب يعينه السيد القّمبيطور لذلك الغرض يقيم داخل المدينة كما كان الحال زمن القادر .

3- أن يرهن القاضي ابن الجحاف ابنه لدى السيد القّمبيطور ضمانا لتنفيذ الاتفاق[2] .

لم يكن في إمكان ابن الجحاف سيئ الحظ سوى موافقته على تلك الشروط المجحفة المهينة ، و قبل أن يغادر المكان طلب منه السيد القّمبيطور ، أن يأتي في اليوم الموالي لتوقيع على الشروط المتفق عليها ، ولكن ابن الجحاف ما كاد يصل إلى بلنسية حتى ندم على قبوله لتلك الشروط ، و عرف أنه كان سفيها جدا عندما أرغم المرابطين على الرحيل و وثق في السيد القّمبيطور[3] .

---

[1] - حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 64 .

Chronicle of the cid, p. 158 ; Bidal , op.cit , p177 ; Dozy , op.cit , vol 2 , p.164 .

[2] - عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 242 ؛ الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 113 ؛ نصر الله سعدون ، دولة المرابطين في المغرب و الأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1985م .

Chronicle of the cid, p 159 ; Bidal , op.cit , p.179 ; Dozy , op.cit , vol. 2 , pp.165-166 .

[3] - الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 113 .

Chronicle of the cid, p. 159 ; Dozy , op.cit , vol 2 , p.166 .

و في اليوم الموالي انتظر السيد القّمبيطور مجيء ابن الجحاف لتوقيع على شروط الاتفاق إلا أن ابن الجحاف لم يأت ، فأرسل السيد القّمبيطور في طلبه ، فبعث إليه ابن الجحاف يخبره بأنه يفضل أن يفقد رأسه على أن يضحي بولده ثم سارع بإغلاق منافذ المدينة مصمما على المقاومة والصمود[1] .

كان رد فعل السيد القّمبيطور قاسيا، فقد سار نحو المدينة مصمما على أخذها ، و أحكم الحصار حولها ، هذا الحصار الذي لم تعرف البشرية مثله ، و لم يدون لقائد من القواد من القسوة وتحجر القلب والبعد عن الرحمة ، كما سجل للسيد القّمبيطور أثناء حصاره لمدينة بلنسية[2] . فقد اشتد الجوع بأهلها ، و ارتفعت الأسعار إلى حد عشرة أضعاف ، وفي ذلك يقول ابن علقمة[3] ، وهو شاهد على تلك الأحداث " بلغ رطل القمح في ربيع الأول بمثقال ونصف ، و رطل الشعير بمثقال ، و رطل زريعة الكتان ستة أثمان مثقال ، و أوقية الجبن ثلاثة دراهم ، و أوقية البصل بدرهم ، و رطل البقل بخمسة دراهم ، و بيضة الدجاجة ثلاثة دراهم و رطل اللحم البغلي بستة دنانير ، و رطل الجلد البقري بخمسة دراهم " [4] ، ثم عظم الغلاء و تضاعف البلاء ، و استوى الناس جميعا الفقراء والأغنياء في الأطعمة المخزنة وترمق سائر الناس بالجلود و الأصماغ و عروق السوس ، كما أكل الناس الفئران والقطط إلى حد أكلهم الموتى ، فقد هُجم على نصراني وقع في الحفير و وزع لحمه[5] .

وعلى الرغم من الحصار الشديد الذي فرضه السيد القّمبيطور على المدينة فقد كان العشرات من الرجال و النساء و الأطفال يتحينون الفرصة للهروب و النجاة بأنفسهم من شبح المجاعة ، إلا أن

---

[1] – عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 242 .

Chronicle of the cid, p. 159 ; Dozy , op.cit , vol. 2 , p.166 .

[2] – حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 62 .

[3] – هو أبو عبد الله محمد بن خلف بن علقمة ، ولد سنة 428 هـ / 1036 م ، وتوفي سنة 509هـ / 1116م ، كان أديبا ناظما ناثرا وقد كان في بلنسية أثناء حصار السيد القمبيطور إياها و إستيلائه عليها وكتب في ذلك كتابا فريدا يسمى " البيان الواضح عن الملم الفادح " ضاع أصله ، ولكن الذين ألفوا المدونة العامة الأولى (primera Cronica General) ، التي يسميها المؤرخون " تاريخ إسبانيا العام " ترجموه إلى الإسبانية وضمنوه هذا التاريخ ، وقد اكتشف ذلك رينهارت دوزي وبرهن عليه بدلالات من أسلوب الترجمة . (أنظر ، حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 57).

Dozy , op.cit , vol. 2 , pp.45-46) .

[4] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 38 .

[5] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 38 ؛ ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 204

Chronicle of the cid, p 159 ; Alfonso el sabio , op.cit , p 581 ; Dozy , op.cit , vol 2 , pp.167-168 .

مصيرهم كان دائما بين يدي السيد القّمبيطور ، و جنوده فكانوا يقتلونهم أو يحرقونهم وتعلق جثثهم في صوامع الأرباض وأغصان الأشجار[1] ، ومع كل ذلك فقد استبسل أهل بلنسية استبسالا كبيرا في الحفاظ على مدينتهم وصمدوا لذلك الحصار ، فزاد ذلك في تعنت السيد القّمبيطور ، و قسوته و ارتكابه هو وجنوده لأعمال فظيعة تعافها البشرية . وقد عبر على ذلك ابن الكردبوس بقوله " وفي هذه المدة انقطع إلى القنبيطور وغيره من أشرار المسلمين وأراذلهم وفجارهم و فساقهم و ممن يعمل بأعمالهم خلق كثير وتسموا بـ (الدوائر) ، وكانوا يشنون على المسلمين الغارات ويكشفون الحرمات يقتلون الرجال و يسلبون النساء و الأطفال وكثير منهم ارتد عن الإسلام ونبذ شريعة النبي (صلعم) إلى أن انتهى بيعهم للمسلم الأسير بخبزة و قدح خمر ورطل حوت ، ومن يفد نفسه قطع لسانه وفقئت أجفانه ، وسلطت عليه الكلاب الضارية فأخذته أخذة رابية "[2] .

و في هذه الظروف الصعبة التي عاشها سكان المدينة ، استصرخ ابن الجحاف المستعين بن هود صاحب سرقسطة[3] ، وصور له ما تعانيه المدينة من مأساة ، غير أن المستعين لم يكن يريد الاصطدام بصديقه و حليفه القديم ، فكتب إلى ابن الجحاف ينصحه بالصبر و الصمود وأنه سيطلب من الفونسو السادس ملك قشتالة وليون عونه ، وعلى هذا فقد ابن الجحاف ثقته في المستعين كما فقد الأمل في وصول أي مساعدة لإنقاذ المدينة[4] . فأمر باقتحام الدور بحثا عن الأغذية ، و كان يستولي على ما يجده بداخلها ولا يترك لأصحابها إلا مئونة نصف شهر يدفع ما يأخذ أحيانا ، وعادة لا يدفع ، و كان يقول لهم إنها محنة على الجميع أن يتقاسموا ضراءها و أن يواجهوها صابرين[5] ، ثم زادت الأمور سوءا و انعدمت الأقوات بالجملة ، و هلك عدد كبير من السكان ، ولم

---

[1] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 39 .

[2] – المصدر السابق ، ص 103 .

[3] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 38 ؛ حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 63 .

Chronicle of the cid, p. 161 ; Alfonso el sabio , op.cit , pp. 583-585 ; Dozy , op.cit , vol 2 , p.169 .

[4] – الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 114 .

Chronicle of the cid, pp. 161-163 ; Dozy , op.cit , vol 2 , pp.169-170 .

[5] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 38 .

Chronicle of the cid, p. 166 ; Dozy , op.cit , vol 2 , p.170 .

يبق منهم إلا نزر قليل ، و استحكم الوباء ، فبينما الرجل يمشي سقط ميتا [1] ، وفي أثناء هذه المحنة القاسية التي ألمت بالسكان نظم أبو الوليد الوقشي[2]، قصيدة مؤثرة أرثى فيها المدينـة ، وصور مأساة سكانها[3] .

استغل السيد القمبيطور هذه الأوضاع المتدهورة في المدينة لتحقيق أهدافه ، فقد قام بإحداث الفتنة داخلها ، و أخذ يتقرب من بني واجب خصوم ابن الجحاف و أثارهم عليه ، و وعد ابن واجب بتنصيبه على بلنسية إذا ساعده على إسقاط ابن الجحاف ، وشرعوا يؤلبون الأهالي ضده إلا أن ابن الجحاف اكتشف المؤامرة و قضى على رؤوس الفتنة[4].

و مع امتداد مدة الحصار ازدادت الأوضاع سوءا وبدأ الجوع يخنق السكان ، ولم يعد القمح يباع بالرطل و إنما بالحفنة والحفنة تساوي ما يزيد على عشرة دنانير ، و الناس يسقطون موتى من الجوع في الأسواق ، و الشوارع و تحولت الأراضي إلى مقابر جماعية ، و فضل السكان الهروب إلى معسكر السيد يموتون هناك مباشرة أو تكتب لهم الحياة فيباعون رقيقا ، على أن يبقوا في المدينة يقتلهم الجوع على امتداد الأيام[5] .

---

[1] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 39 .

[2] – هو الفقيه هشام بن أحمد بن هشام الكناني ، ويعرف بالوقشي نسبة إلى بلدة وقشة من أعمال طليطلة ، ويكنى بأب الوليد ولد سنة 408 هـ / 1017م ، استقر ببلنسية فترة وتوفي في دانية عام 489 هـ / 1096م ، كان من كبار علماء عصره . (أنظر ، ابن بشكوال ، الصلة ، ج3 ، ص 938 – 939) .

[3] – لا يوجد نص المرثية في المصادر العربية ولا حتى مجرد الإشارة إليها ، ولكنها موجودة في المصادر المسيحية التي نقلتها من كتاب ابن علقمة " البيان الواضح عن الملم الفادح " . (أنظر ، حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 65 ؛ الطاهر أحمد مكي ، دراسات أندلسية في الأدب و التاريخ و الفلسفة ، دار المعارف ، القاهرة ، 1987م ، ط3 ، ص 251 ؛ أنخل جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، نقله عن الإسبانية الدكتور حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1955م ، ص116-117 .

Chronicle of the cid, pp.154-155 ; Alfonso el sabio , op.cit , p.577 ; Dozy , op.cit , vol 2 , p.161) .

ول الإطلاع على نص المرثية مترجم باللغة العربية . أنظر الملحق رقم 3.

[4] – الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 115 ؛ حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 64-65 ؛ شكيب أرسلان ، الحلل السندسية ، ج3 ، ص 60 .

Chronicle of the cid, p.165 ; Dozy , op.cit , vol 2 , p.173 .

[5] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 39 .

Chronicle of the cid, p.166 ; Dozy , op.cit , vol 2 , p.174 .

و لما رأى السيد القّمبيطور ازدياد الأوضاع سوءاً أراد أن يسرع في الاستيلاء على المدينة خشية وصول المرابطين لاستنقاذها ، وشجعه عملاؤه بداخلها ، فجمع كل جنوده وأمرهم بالهجوم على باب الحنش[1] ، ولكنهم سرعان ما تقدموا حتى انهال عليهم السكان بالحجارة و السهام ، فاضطر إلى التراجع و الاختباء داخل حمام المدينة لكن جنود ابن الجحاف اقتحموا الحمام ، فهرب السيد القّمبيطور بأعجوبة ، و بذلك فشل مشروعه في الاستيلاء على المدينة عنوة[2] ، ثم قرر أن يعود إلى خطته الأولى ، بإحكام الحصار عليها حتى يموت كل السكان جوعا ، فمنع الخروج من المدينة ، ثم ناد مناد من أتباع السيد القّمبيطور بالقرب من سور المدينة ينذرهم بإحراق كل من يخرج متسللا من المدينة حيا ، ثم أتبع إنذاره بالتنفيذ فقد أحرق ثمانية عشر رجلا في يوم واحد أرادوا الخروج [3] ، ويشير ابن بسام إلى قسوة هذا الحصار بقوله " وقوي طمع رذريق في ملك بلنسية فلزمها ملازمة الغريم ، وتلذذ بها تلذذ العشاق بالرسوم ينتسف أقواتها ويقتل حماتها ، و يسيق إليها كل أمنية ويطلع عليها كل ثنية " [4] .

وهكذا أتت خطة السيد القّمبيطور أكلها ، و بدأ يجني ثمارها ، بحيث فقد أعيان المدينة الأمل في أي مساعدة تأتي من المستعين صاحب سرقسطة أو من المرابطين، فاجتمعوا عند الفقيه أبي الوليد الوقشي لكي يكلم القاضي ابن الجحاف ، وأرغموه على مفاوضة السيد القّمبيطور ، وعقد الصلح معه ، فأذعن لهم القاضي لرغبتهم و ترك لهم مهمة التفاوض معه على تسليم المدينة [5] ، ثم اختير وفد من الأعيان خرج لمقابلة السيد القّمبيطور في معسكره ، و التفاوض معه حول تسليم المدينة ،

---

1 – باب الحنش أحد أبواب بلنسية الخمسة ، ويقع وسط المدينة ، وينفتح في سورها الغربي . (أنظر ، العذري ، المصدر السابق ، ص 18) .

2 – Chronicle of the cid, p.166 ; Dozy , op.cit , vol 2 , p.174 .

3 – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 39 ؛ حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 66 ؛ عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 243 .

Chronicle of the cid, p.167 ; Dozy , op.cit , vol 2 , p.175.

4 – المصدر السابق ، ق3 ، ص 97 .

5 – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 39 ؛ شكيب أرسلان ، الحلل السندسية ، ج3 ، ص 60 ؛ عبد الله عنان ، ، دول الطوائف ، ص 243 .

Chronicle of the cid, pp.167-168 ; Dozy , op.cit , vol 2 , p.176 ; Guichard , op.cit , p. 74 .

و تم الاتفاق معه على أن يبعث البلنسيون رسلهم إلى المستعين بن هود صاحب سرقسطة ، وإلى ابن عائشة قائد جيش المرابطين في مرسية يطلبون الغوث والإنجاد في مدة خمسة عشر يوما ، وأن يشرف ابن عديس خلال هذه الفترة على المدينة[1] ، فإذا لم يحضر أحد من هؤلاء لنجدة المدينة سلمت للسيد القّمبيطور بالشروط التالية :

1-أن يبقى ابن الجحاف قاضيا على المدينة ، و يؤمن في نفسه وأهله وماله .

2-أن يتولى ابن عديس جباية الضرائب .

3- أن يتولى موسى وهو أحد أتباع السيد القّمبيطور أمور بلنسية .

4- أن تحتل المدينة حامية من المستعربون .

5- أن يعسكر السيد القّمبيطور ، وجنوده في جبالة ، وأن يحترم شريعة المسلمين ، و عاداتهم و تقاليدهم ، و عملتهم السائدة في هذا الوقت [2].

و في اليوم الموالي من توقيع الاتفاق ،جمادى الأولى 487 هـ / ماي 1094م ، توجه خمسة من البلنسين إلى سرقسطة ، ومثلهم اتجهوا إلى مرسية لطلب النجدة ، و اشترط السيد القّمبيطور عليهم ألا يحمل أي منهم أكثر من خمسين دينارا ، و أن يبحر المتجهون إلى مرسية في سفن مسيحية تحملهم إلى دانية أولا ، ومن هناك يتابعون رحلتهم برا ، وطلب السيد القّمبيطور من قائد السفينة ألا يبحر حتى يصل إليه ، و لما جاء قام بتفتيش أعضاء الوفد فوجد عندهم أموالا كثيرة غير المبلغ المتفق عليه ، يحملونها لأنفسهم أو منحها لهم بعض التجار لكي يهربونها من قبضة الحصار ، فأخذها منهم ولم يترك عندهم غير المبلغ المتفق عليه[3] .

---

[1] - ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 39 ؛ حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 76 ؛ عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 244 ؛ شكيب أرسلان ، الحلل السندسية ، ج3 ، ص 60 .

Chronicle of the cid, p.172 ; Alfonso el sabio , op.cit , p.586 ; Dozy , op.cit , vol 2 , pp.176-177 .

[2] - ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 39 ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج 2 ، ص 126 ؛ عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 244.

Chronicle of the cid, p172 ; Alfonso el sabio , op.cit , pp. 586-587 ;

[3] - شكيب أرسلان ، الحلل السندسية ، ج 3 ، ص 60 .

Chronicle of the cid, pp.172-173 ; Alfonso el sabio , op.cit , p .587 ; Dozy , op.cit , vol 2 , pp.177-178 .

6- استيلاء السيد القّمبيطور على بلنسية :

بعد الاتفاق الذي جرى بين السيد القّمبيطور ، و أعيان بلنسية شعر السكان بالراحة والهدوء ، وذلك بعد أن توقفت اعتداءاته المتكررة ، و خروج الوفد المكلف لطلب النجدة ، فانخفضت الأسعار و توفرت الأطعمة التي حرم منها السكان من قبل[1]، و مرت الخمسة عشر يوم المتفق عليها و لم يأتِ أحد من المبعوثين ، وحاول ابن الجحاف إقناع الأهالي بالانتظار لمدة ثلاثة أيام أخرى إلا أنهم رفضوا ذلك ، في حين أقسم السيد القّمبيطور بأن مرور يوم واحد على المدة المتفق عليها سيقضي به إلى نقض الاتفاق ، ومع ذلك فقد مر يوم واحد و لم تفتح المدينة أبوابها ، وعندما خرج الوفد الذي اتفق مع السيد القّمبيطور سابقا لمقابلته قال لهم إنه لا يستطيع أن يلتزم بشيء لأن المدة المتفق عليها انتهت ، وطلب منهم أن يعودوا غداً لتوقيع تسليم المدينة[2] .

وفي صبيحة يوم الخميس 28 جمادى الأولى 487 هـ / 15 جوان 1094 م[3] ، خرج القاضي ابن الجحاف صحبة زعماء المدينة من المسلمين ، و المسيحيين لمقابلة السيد القّمبيطور ، وتوقيع اتفاقية تسليم المدينة معه ، و في المساء فتحت أبواب المدينة للسيد القّمبيطور بعد حصار دام أكثر

---

[1]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 39 .

[2] - الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 118 ؛ عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 244 ؛ شكيب أرسلان ، الحلل السندسية ، ج 3 ، ص 61 .

Chronicle of the cid, pp.173- 174 ; Dozy , op.cit , vol 2 , p.178 .

[3] - تختلف الروايات العربية في تحديد سنة دخول السيد القمبيطور بلنسية ، فابن بسام يذكر أن ذلك كان في 488هـ / 1095 م . (المصدر السابق ، ق3 ، ص 98) ، ويوافقه في ذلك ابن عذاري (المصدر السابق ، ج3، ص 306) . أما ابن الأبار فيذكر أن ذلك كان في 487 هـ / 1094. (الحلة السيراء ، ج2 ، ص 126) ، ويوافقه في الرأي ابن الكردبوس (المصدر السابق ، ص 103) ، وكذلك ابن الخطيب (المصدر السابق ، ص 204) . وهذا هو الرأي الصواب لأنه ورد في الروايات المسيحية بهذه السنة ، و به أخذ دوزي الذي يذكر أن دخول السيد القمبيطور بلنسية كان في 15 جوان 1094 م الموافق لـ أواخر جمادى الأولى 487 هـ . (Dozy , op.cit. , vol. 2 , p.179) .

من عشرين شهرا ذاق فيها سكان المدينة وبال أمرهم [1] ، و تجمع البلنسيون يشاهدون دخول السيد القّمبيطور ، و جنوده إلى بلدتهم و وجوههم مصفرة ، و أنفسهم كسيرة كما لو كانوا يوم الحشر يبعثون من القبور ليمثلوا أمام الخالق[2] .

وما إن دخل السيد القمبيطور وجنوده المدينة حتى احتل جماعة منهم الأبواب والأبراج ضاربين شروط الاتفاق عرض الحائط ، فقام ابن الجحاف بالاحتجاج على هذا العمل لما فيه من نقض للاتفاق ، إلا أنه لم يجد أذانا صاغية فلقد اشتغل الناس بالحصول على ما يلزمهم من أطعمة بعد أن دخل الباعة إلى المدينة[3] .

[1] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 34 ؛ ابن بسام ، المصدر السابق ، ق3 ، ص 98 ؛ ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 204 ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج2 ، ص 126 ؛ ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص 103 ؛ المقري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 455 .
Chronicle of the cid, p.179 ; Dozy , op.cit , vol. 2 , p.179 ; Guichard , op.cit , p. 74 .

[2] – عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 244 .
Chronicle of the cid, p 174 ; Dozy , op.cit , vol 2 , p.179 .

[3] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج4 ، 39 ؛ عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 244 .
Chronicle of the cid, p. 175 ; Dozy , op.cit. , vol 2 , p.179 .

7- بلنسية تحت حكم السيد القمبيطور :

أ - سياسة السيد القمبيطور اتجاه سكان بلنسية :

بعد أن تمكن السيد القّمبيطور من دخول بلنسية هو وجنوده ، أراد في البداية أن يكسب ود البلنسيون اتجاهه ، فأمر جنوده بأن لا يتعرضوا لأملاكهم ، و أن يحترموا شريعتهم و أن لا يسوءوا في أي حال من الأحوال إلى أحد ، فاستحسن أهالي المدينة هذا العمل ، و انبسطت أمالهم وأُمنوا في ممتلكاتهم [1] ، ثم أمر جنوده بتغطية نوافذ الأبراج ، حتى لا ينظروا داخل بيوت السكان[2]، ثم أرسل مناديا يدعو سكان المدينة بمختلف شرائحهم إلى اجتماع يعقده السيد القّمبيطور في إحدى حدائق فيلانوفا[3] ، خاطبهم قائلا " إنني رجل لم يكن لي ملك قط و لم يكن كذلك لأحد من قومي ، و لكن منذ اليوم الذي رأيت فيه هذه المدينة وجدتها تطيب لي ورغبت فيها ، وسألت الله أن يجعلني سيدها ، فانظروا إلى قدرة الله تعالى الذي أنعم علي بأن وهبني بلنسية و إن حكمت بالعدل و أحسنت تصريف الأمور فسيتركها الله لي ، أما إذا تجبرت و أسأت فسيأخذها مني فليرجع كل إلى ماله و يمتلكه كما كان يمتلكه من قبل ، فمن وجد كرمه أو جنته خالصة فليعد إليه ، ومن وجد حقله مزروعا فليدفع أجر زراعته ويمتلكه كما تأمر الشريعة الإسلامية ، ولا يأخذ جباة الضرائب في المدينة أكثر من العشر كما جرى عليه العمل ، وقد هيأت نفسي لأسمع الشكاوي يومين من كل أسبوع ، هما الاثنين والخميس ، ولكن من كانت له قضية عادلة فليأت متى شاء و سأستمع إليه فإني لا أحتجب عنكم ولا أخلو مع النساء للشراب ، والغناء كما يفعل أولو أمركم ممن لم يمكنكم قط رؤيتهم ، وأود أن أعالج جميع أموركم بنفسي ، وأن أكون لكم رفيقا ، و أدافع عنكم كما يدافع الصديق عن صديقه والقريب عن قريبه ، وسأكون قاضيكم و وزيركم و إن شكا أحدكم من الأخر أنصفته منه . ثم عرج على ابن الجحاف فقال و قد بلغني أن ابن الجحاف تعدى على بعظكم وظلمه ، وأنه سلب بعظكم أمواله وأهداها إلي ولم أرغب في أخذها لأنه ابتزها من أصحابها .

---

[1] - ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 34 ؛ ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 190 .

[2] - Chronicle of the cid, p. 175 ; Dozy , op.cit , vol 2 , p.179 .

[3] - لم تشر المصادر العربية إلى الخطاب الذي ألقاه السيد القّمبيطور ، و لكن المدونة العامة أوردت نصه كاملا والغالب أن السيد القّمبيطور ألقاه باللغة العربية لأنه كان يعرف لغة أهل الأندلس بحكم الفترة التي قضاها في خدمتهم . (أنظر ، حسين مؤنس ، السيد القّمبيطور ، ص 67) .

واختتم خطابه بقوله : أنا لست راغبا في دخول مدينتكم و لا المقام فيها ، وإنما سأتخذ عند القنطرة منزلا أقيم فيه إذا مست الضرورة بي إلى المقام " [1] .

دل الخطاب الذي ألقاه السيد القّمبيطور على أنه يمتلك مهارة سياسية كبيرة ودراية بأنظمة المسلمين ، و قد ذهب مؤرخ السيد القّمبيطور ،رامون بيدال ، على أن هذا الخطاب يدل على تأصل نوازع العدلة في شخصية السيد القّمبيطور، و لم يكن مجرد مناورة سياسية أراد أن يكسب بها قلوب البلنسيون ، و ينفرهم في القاضي ابن الجحاف و هذا ماسيسلكه معه فيما بعد[2] .

ب – **موقف المرابطين من سقوط بلنسية :**

أحدث سقوط بلنسية في يد السيد القّمبيطور دويا كبيرا في الأندلس يشبه ما أحدثه سقوط طليطلة من قبل في يد الفونسو السادس ملك قشتالة وليون[3] . و استصرخ أهل الأندلس أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مبلغيه بالفساد الذي تعرض له شرق الأندلس عامة ، و الهلاك الذي أصاب سكان بلنسية خاصة[4] ، و في هذه الأثناء كان مركز المرابطين في الجزء الجنوبي من شرق الأندلس حتى مرسية قوي ، و كانوا على دراية بما أصاب شرق الأندلس من فساد إلا أنهم شغلوا برد الفونسو السادس عن وسط الأندلس و غربه[5] . و ما إن علم يوسف بن تاشفين بهذه الأوضاع حتى فاضت نفسه حسرة وعزم على أن يخلص شرق الأندلس من بطش السيد القّمبيطور ، و يشير ابن بسام إلى ذلك بقوله " وتجرد أمير المسلمين – رحمه الله – لما بلغه هذا النبأ الفظيع ، واتصل به هذا الرزء الشنيع فكانت قذى أجفانه ، وجماع شأنه وشغل يده ولسانه " [6] . فإتجه نحو مدينة سبتة وشرع في تجهيز قواته ، و أسند قيادة الجيش إلى ابن اخيه القائد محمد بن إبراهيم بن تاشفين ، كما كتب

---

[1] – ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 190–191 ؛ الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 120 ؛ حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 67 ؛ عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 245 .

Chronicle of the cid, p. 176 ; Alfonso el sabio , op.cit , pp. 588 - 589 ; Dozy , op.cit , vol. 2 , pp.180 – 181 ; Bidal , op.cit , p.182 .

[2] – حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 68 .

[3] – عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 246 .

[4] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 34 .

[5] – حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 71 .

[6] – المصدر السابق ، ق 3 ، ص 100 .

إلى ولاته على غرناطة و ما و لاها ، و إلى ابن رزين بشنتمرية الشرق و إلى الشنياطي ، و كان واحد من خيرة الفرسان ، و دهاة الحرب ، يطلب منهم جمع قواتهم و اللحاق بالجيش المرابطي لاستنقاذ بلنسية من قبضة السيد القّمبيطور[1] ، و ما كادت أنباء تقدم جيش المرابطين تصل مسامع السيد القّمبيطور حتى أسرع في طلب العون من بدرو الأول (pedro) ملك أراغون ، و الفونسو السادس ملك قشتالة وليون . وتحالف معهما من أجل رد خطر تقدم المرابطين نحو بلنسية[2] .

و بعدما تجمعت قوات المرابطين في سبتة أخذت في العبور إلى الأندلس ، و تقدمت حتى وصلت مرسية فانضمت إليها قوات المرابطين بالأندلس و كان ذلك في شعبان 487 هـ/سبتمبر 1094م [3] ، ولما علم السيد القّمبيطور بوصول قوات المرابطين إلى مرسية أخذ يستعد للقائهم ، و لأنه لم يكن يثق في ولاء أهل بلنسية ، فقد قام بتجريدهم من كل أنواع السلاح و سائر الوسائل الحديدية كما قام بإخراج من يشك في ولائهم له . وفي ذلك يقول ابن عذاري " ومشى (القمبيطور) بريحه ، من وجد عنده شيء من آلات الحديد ، فماله ودمه حلال !، فبرئ الناس منه حتى من الإبر والمسامير و و ضعوا ذلك بباب القصر ، و قد تضاعف الجزء و الخوف ، ثم مشى بريحه من الغد بالخروج إلى البحر لجر القطع التي فيه إلى البر ، فلما تكامل الناس لحق بهم المترجم مع زعماء الروم فميزهم فمن كان من أهل اليسار صرف إلى المدينة ، ومن كان من أهل النجدة جرد ونفي وغلب على الظن أنهم قتـــــلوا " [4] .

1- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 34- 35 .

2 - الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 125 .
Bidal , op.cit. , p .185 .

3 - ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 35 .

4 - نفس المصدر ، ص 40 .

ج – **معركة كوارت cuart و أثرها على سياسة السيد القّمبيطور :**

في رمضان 487 هـ / أكتوبر 1094 م ، تحركت جيوش المرابطين باتجاه بلنسية و انضمت إلى قوات القائد محمد بن تاشفين جنود من لاردة ، ومن طرطوشة ومن ألبونت ، و أصبح الجيش المرابطي قوامه أربعة ألاف جندي [1] ، و عسكرت عند بلدة كوارت (Cuart) ، التي تبعد حوالي ستة كيلو مترات غرب بلنسية [2] ، واستهل عليهم هناك هلال شوال فصلوا صلاة العيد ، ثم أخذوا في الهجوم ، و قد أرهبت هذه القوات الكبيرة من المرابطين جنود السيد القّمبيطور ، و لاذوا بالفرار ، و أخلوا بلنسية إلا السيد القّمبيطور الذي لم يبالي بالأمر ، و كان كمعظم أهل عصره يتفاءل و يتشاءم ، وقد كان له في الطير عيافة وزجر [3] ، و لكي يبعث الحماس في جنوده ، و يقوي من عزيمتهم أخبرهم بأن النصر في هذه المعركة لا مفر منه لأن الطير أخبره بذلك ، وفي ذلك يقول أحد البلنسيون ساخرا من السيد القّمبيطور وطيوره :

قولوا للذريق إن الحق قد ظهر   أو نقدوه إذا ما طيره زجـرا
سيوف صنهاجة في كل معترك   تأبى لأطياره أن تصدق الخبر [4] .

عمد السيد القّمبيطور عند قدوم جيش المرابطين إلى إبعاد الضعفاء من النساء و الأطفال فلجأنا إلى معسكر المسلمين و قال لهم الحقوا بأهل ملتكم " ، فوقعوا في أيدي السودان وخدمة الدواب والسفلة من الباعة فغلبوا عليهم ، و فسقوا بهن و لم يرفع ذلك إلى صاحب الجيش فيقع التغير و النهي عن المنكر " [5] .

---

[1] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 40 .
Bidal , op.cit , p.187 ; Guichard , op.cit , p. 77 .

[2] – عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 247 .
Guichard , op.cit , p. 77 .

[3] – أميركو كاسترو ، اسبانيا في تاريخها ، ترجمة ومراجعة علي ابراهيم منوفي و حامد أبو حامد ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2003 .ص 292 .

[4] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 35 .

[5] – نفسـه.

و بعد مرور ثمانية أيام من شوال ، و الجيش المرابطي لا يزال يحاصر المدينة أشاع السيد القّمبيطور بين المسلمين بأن بدرو الأول ملك أراغون قد التحق بجيشه من أجل مؤازرته ، و بلغ هذا الخبر جيش المسلمين فبث فيه الذعر و الخوف وهو ما أثّر في جيش المسلمين فيما بعد [1] ، ثم أمر بعد ذلك فرقة من جنوده بالخروج من أحد أبواب المدينة ، من أجل أن يشغلوا جيش المرابطين و يظنون أنه السيد القّمبيطور، في حين خرج هو وجنوده ليلا من باب أخر ، و جيش المرابطين في غفلة ، ففاجأهم وهاجمهم بشدة فوقع الاضطراب ، وا لخوف وسط جيش المسلمين ، فاستشهد منهم الكثير ، وغنم السيد القّمبيطور العديد من الخيل و السلاح و المؤن ثم عاد إلى المدينة[2] .

و قد نجحت خطة السيد القّمبيطور في مباغتة المرابطين ، و استطاع أن يهزمهم شر هزيمة في أول معركة ، وهي معركة كوارت 8 شوال 487 هـ / 23 أكتوبر 1094 م [3] . و لما بلغ خبر الهزيمة يوسف بن تاشفين ، غضب لذلك غضبا شديدا على ابن أخيه بسبب هزيمته بهذه الطريقة ، ثم رجع جيش المرابطين إلى شاطبة ، و كتب قائدهم إلى يوسف بن تاشفين يعتذر له عن فشله في استنقاذ بلنسية ، إلا أن هذا الأخير أعرض عنه و امتنع عن جوابه و لكنه لم يلبث أن تراجع على قراره و عفا عنه وسلم الأمر لله فيما قضى ، و بعدها بعث إلى القائد محمد يأمره بالقدوم إليه وبعث عوضه القائد أبا الحسن علي بن الحاج[4]، قائدا على جيش المرابطين بالأندلس[5] .

بعد الانتصار الذي حققه السيد القّمبيطور أمام جيش المرابطين عاد إلى المدينة ، و أمر أهلها بالاجتماع في ساحة القصر ، حيث ألقى فيهم خطابا ذكر فيه أن قوة المرابطين و كثرتهم لم تغن

---

[1] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ص 35 ؛ عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 247 .

[2] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 40 ؛ ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 204 .

Chronicle of the cid, p. 277 ; Dozy , op.cit , vol. 2 , p.188 .

[3] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 40 ؛ ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 204 ؛ حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 72 ، عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 247 .

Chronicle of the cid, p. 277 ; Alfonso el sabio , op.cit , pp. 605 - 606 ; Dozy , op.cit , vol 2 , p.188 ; Bidal , op.cit , p187; Guichard , op.cit , p. 77 .

[4] – هو أبو عبد الله محمد بن سموين بن محمد بن ترجوت ، ابن عم يوسف بن تاشفين ، و أحد كبار قواده و أسرة بني الحاج التي ينتمي إليها هذا القائد أسرة بربرية صنهاجية مشهورة أنجبت عددا من أعظم القواد المرابطين . (أنظر ، ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، هـ 1 ، ص 96) .

[5] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 36 – 37 .

عنهم شيئا فلم يلبثوا أن انهزموا أمام قوته الصغيرة ، ثم خرج و بقي الأهالي داخل ساحة القصر فأغلق عليهم الباب فأصبحوا مسجونين ، و بعدها رجع إليهم وزيره اليهودي[1] ، الذي كان على الرغم من قسوته وعنفه في التعامل مع سكان بلنسية ، قد توسط للمسجونين عند السيد القّمبيطور بدفع مئة ألف مثقال مقابل خروجهم ، ويشير ابن علقمة إلى ذلك بقوله " ثم رجع اليهودي وزيره إليهم وقال لهم : لم أزل ألاطفه (السيد القّمبيطور) حتى قاطعته عليكم بمائتي ألف مثقال فبادروا بتوزيعها و أفدوا أنفسكم منه ، فتوزع العدد على الأحوال و اشتد ثقفا الأغنياء " [2] .

د – نقض السيد القّمبيطور للاتفاق :

تذكر الروايات المسيحية أن السيد القّمبيطور عقد اجتماعا أخر بعد معركة كوارت حضره أعيان بلنسية و قال لهم " إذا كنتم معي و أردتم أن يشملكم عفوي فمكنوني من ابن الجحاف ، لأنكم جميعا تعرفون الخيانة الكبيرة التي ارتكبها ضد سيده ملك بلنسية ، وكان سبب الشقاء الذي تعرضتم له أثناء الحصار" [3] .

تفاجأ الحاضرون بعد ما سمعوا كلام السيد القّمبيطور ، و تأكدوا من غدره ونقضه لوعوده (بنود اتفاقية تسليم المدينة) ، و عرفوا أنه يريد بهم سوءاً ، ثم اتفقوا على أنهم لا يقررون شيئاً حتى يتشاوروا فيما بينهم ، فاستشاروا في هذا الأمر ابن عديس المشرف على أمور المدينة ، والذي أقنعهم بضرورة تسليم ابن الجحاف[4] .

---

[1] – يذكر الدكتور حسين مؤنس أن المقصود بالوزير اليهودي هو ابن الفرج ، الذي كان من يهود بلنسية بينما نلاحظ أن المصادر المسيحية قد ذكرت أن وزيره كان يدعى موسى ، وكان أيضا وزيرا للقادر وعلى هذا فربما موسى وابن الفرج اسمان لشخص واحد . (أنظر ، حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 37) .
Chronicle of the cid, p. 172 ; Alfonso el sabio , op.cit , p .587) .

[2] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 41 .

[3] – حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 72 ؛ شكيب أرسلان ، الحلل السندسية ، ج 3 ، ص 62 .
Dozy , op.cit , vol 2 , p.183 ; Chronicle of the cid, p. 179.

[4] – الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 121 .
Chronicle of the cid, p. 179 ; Dozy , op.cit , vol 2 , p.183.

و بعد المشاورات التي تمت بين أعيان المدينة ، و ابن عديس استقر رأيهم على أن يضحوا بابن الجحاف مقابل الحفاظ على سلامة المدينة ، و استنقاذ أرواح أهلها فرجعوا إلى السيد القّمبيطور ،و أخبروه موافقتهم على تسليم ابن الجحاف ، وطلبوا مساعدته للقيام بهذه المهمة ، فبعث معهم بعض جنده وقاموا بمحاصرة بيت ابن الجحاف ثم حطموا الأبواب ، و ألقوا القبض عليه و على أسرته جميعا ، وحملوهم إلى السيد القّمبيطور الذي أمر باعتقالهم وكل من شارك في مقتل القادر بن ذي النون[1] ، وتشير الرواية نفسها أن السيد القّمبيطور قال لهؤلاء الأعيان : قد نفذتم ما طلبته منكم و أنا بدوري سأنفذ لكم مطالبكم ، و لكنه اشترط مقابل ذلك أن يقيم داخل قصر المدينة ، و أن يتولى جنوده حراسة كل القلاع والحصون[2] . وكان بهذه الخطوة قد نقض الاتفاق مرة أخرى فما كان من البلنسيون سوى قبوله .

هـ - **حرق السيد القّمبيطور للقاضي ابن الجحاف :**

بعد أن استقر السيد القَمبيطور داخل قصر بلنسية ، و اطمأن على الأوضاع فيها تفرغ للانتقام من ابن الجحاف ، وقرر أن يشتد في تعذيبه ، ثم يقوم بقتله فأمر بأخذه إلى جبالة والتشديد في عذابه ، ثم أرجعه إلى بلنسية ، و أودعه السجن الموجود داخل القصر الذي يقيم فيه السيد القمبيطور[3] ، ولأنه كان يعرف أن ابن الجحاف قد استولى على كل ما يملكه القادر من ذخائر وأموال ، فقد طلب منه أن يكتب بخط يده كل ما يوجد عنده من هذه الأملاك[4] ، ثم استدعى شهوداً من المسلمين ومن المسيحين ، و أمر ابن الجحاف أن يقسم أمامهم بأنه لا يملك شيئا أخر إلا ما قد كتبه في هذه

---

[1] – ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 204 ؛ ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج2 ، ص 126 ؛ عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 245 ؛ بطرس البستاني ، المرجع السابق ، ص 47 .

Chronicle of the cid, p. 180 ; Dozy , op.cit , vol. 2 , p.184.

[2] – Chronicle of the cid, p. 181 ; Dozy , op.cit , vol 2 , p.185.

[3] – الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 122 ؛ عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 245 ؛ حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 73 .

Chronicle of the cid, p. 182 ; Dozy , op.cit. , vol. 2 , p.185; Bidal , op.cit , pp. 192-193 .

[4] – شكيب أرسلان ، الحلل السندسية ، ج3 ، ص 62 .

Chronicle of the cid, p. 182 ; Dozy , op.cit , vo.l 2 , p.185 .

القائمة ، و أن من حق السيد القّمبيطور أن يقتله إذا وجد عنده أملاكاً أخرى[1] ، و لا يزال يبحث عن هذه الأموال داخل القصر مستعينا في ذلك بخدم ابن الجحاف إلى أن وفق في الحصول على واحدة من أغلى الذخائر ، والتي كان السيد القمبيطور في البداية قد سأله عنها ، ولعلها كانت منه حيلة أدارها وداهية من دواهيه استخدمها للانتقام من ابن الجحاف[2] ، عندئذ أمر بقتله و اختار لذلك أبشع طريقة وهي الحرق بالنار ، فأخرج ابن الجحاف و أهله من السجن ثم أمر من جنوده إضرام النار ، وهم السيد القّمبيطور بإحراق ابن الجحاف و أهله لولا أن تضرع إليه الحاضرون من مسلمين و مسيحيين بترك الأطفال و الأهل إذ لا ذنب لهم فاكتفى بحرق ابن الجحاف وكان ذلك في جمادى الأولى 488 هـ / ماي 1095 م [3] ، ويصور لنا ابن علقمة وهو شاهد على مأساة ابن الجحاف و أهله على يد السيد القمبيطور بقوله " ولم يزل يستخرج ما عندهم حتى استصفى أموالهم ، و استنفذ أحوالهم فلما لم يترك لهم ظاهرا ولا باطنا أمر بإضرام النار و سيق القاضي أبو المطرف يرسف قيوده و أهله وبنوه حوله ، و قد حشر الناس من المسلمين و الروم ، ثم قال للملأ من المسلمين (ما جزاء من يقتل أميره عندكم في شرعيكم) فصمتوا فقال لهم (جزاؤه عندنا الإحراق بالنار ؟) ، وأمر به و بجملته إلى ذلك الضرم ، وقد لفح الوجوه على المسافة البعيدة ، فضج المسلمون ، و الروم و تضرعوا إليه في ترك الأطفال و العيال إذ لا ذنب لهم و لا علم بتلك الأمور عندهم ، فأسف الرعية في رغبتهم بعد جهد و مدة و ترك النساء و الصبية ، و حفر للقاضي حفرة و أدخل فيها إلى حجزته وسوى التراب حوله ، وضمت النار إليه فلما دنت منه و لفحت وجهه قال (بسم الله الرحمان الرحيم) ، ثم ضمها إلى جسده فاحترق – رحمه الله تعالى – ولم يكن غضب

---

[1]– ابن بسام ، المصدر السابق ، ق 3 ، ص 98 .

[2] – ابن بسام ، المصدر السابق ، ق 3 ، ص 98 ؛ المقري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 455 .

[3] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 38 ؛ ابن بسام ، المصدر السابق ، ق 3 ، ص 99 ؛ ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 204 ؛ المقري ، المصدر السابق ، ج4 ، 55 .

Chronicle of the cid, p. 183 ; Alfonso el sabio , op.cit , p591 ; Dozy , op.cit , vol. 2 , p.187 ; Bidal , op.cit , pp.193-194 .

رجاء في استمساك البلدة وإبقاء الكلمة "[1] .

و – استبداد السيد القمبيطور بأهل بلنسية :

بعد أن تمكن السيد القّمبيطور من حرق القاضي ابن الجحاف ، عهد إلى عامة أهل الأندلس فأخذ بالتضييق عليهم ، و إثقال كاهلهم بالضرائب ، واستأصل جميع ما عندهم ، كما أمر بإحراق جماعة من أعلام بلنسية من بينهم أبو جعفر البتي[2]، ويعبر ابن عذاري على هذا الاستبداد بقوله " وعمد الطاغية – لعنه الله – بعد إحراق القاضي – رحمه الله – إلى الجلة من أهل بلنسية فثقفهم و أرغمهم حتى استأصل جميع ما عندهم وجعل الناس في المحنة أسوة ، يأخذهم على طبقاتهم حتى عمتهم المحنة و هلك ذلك الثقاف كثير منهم رحمهم الله وجعلها كفارة لهم"[3] . وفي المأساة التي عاشها سكان بلنسية على يد السيد القّمبيطور يقول شاعر المدينة ابن خفاجة :

عاثت بساحتك الضبا يا دار ... ومحا محاسنك البلى والنـار
فإذا تردد في جنابك ناظـــر ... طال اعتبار فيك و استعبار
أرض تقاذفت الخطوب بأهلها ... وتمخضت بخرابها الأقــدار
كتبت يد الحدثان في عرصاتها ... لا أنت أنت و لا ديار ديار[4]

[1] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 38 .
يرى الدكتور حسين مؤنس أن العقاب الذي سلطه السيد القمّبيطور على القاضي ابن الجحاف كان قاسيا جدا ، لدرجة أن كتب التاريخ لا نظن أنها تحمل بين دفيها أبشع من هذه الجناية ، فقد بلغ بها درجة كبيرة من القسوة وتحجر الفؤاد والبعد على معنى الإنسانية . (السيد القّمبيطور ، ص 74) ، وهذا ما نجده كذلك عند المؤرخ دوزي الذي يصف السيد القّمبيطور بالوحوش الضارية ، فلقد تلذذ في حرق ابن الجحاف وهم بإحراق أهله و أولاده لولا شفاعة الحاضرين . (op.cit , vol 2 , p187) ، أما مؤرخ السيد القّمبيطور بيدال فهو يقول أن ابن الجحاف يستحق ذلك العقاب ، و أن تصرف السيد القّمبيطور على هذا النحو دليل على عدله و إنصافه ومعرفته بالقوانين وتطبيقها . (op.cit , p 195) ، في حين يرى ليفي بروفنسال أن الرغبة في تبرير الحكم الذي نطق به السيد وتبرير ما أمر به من عقاب يتنافى مع الإنسانية كما حاول أن يفعل بيدال مما لا سبيل له بطبيعة الحال . (المرجع السابق ، ص 192) .
[2]– هو أبو جعفر أحمد بن عبد الولي بن أحمد بن عبد الولي البتي نسبة إلى بتة قرية من قرى بلنسية وقد كان كاتبا وشاعرا . (أنظر ، البتي (أبي جعفر أحمد بن عبد الولي) : تذكرة الألباب بأ صول الأنساب ، تحقيق السيد محمد مهدي الموسوي ، تقديم هارون أحمد العطاس ، دار المواهب ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ ؛ ابن الأبار ، التكملة لكتاب الصلة ، المطبعة الشرقية ، الجزائر ، 1919م ، ص 20 ؛ ابن سعيد ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 357) .
[3] – المصدر السابق ، ج 4 ، ص 38 .
[4] – ابن بسام ، المصدر السابق ، ق 3 ، ص 100 ؛ المقري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 455 .

ثم ألقى السيد القّمبيطور بعد ذلك خطابا أمام أهل بلنسية قال لهم فيه : إنكم الآن قد أصبحتم في قبضتي ، و أستطيع أن أفعل بكم أي شيء أريد ، ثم أمر الرجال البلنسيون الذين كانوا في خدمته بأن يبقوا في بلنسية مع أهلهم ، ولكن شرط ألا يملك أي واحد منهم أكثر من بغلة ، و من خادم و لا يحملون سلاحا مهما كان نوعه ، أما البقية من السكان فقد أمرهم بالخروج من بلنسية ، و أن يقيموا في ضاحية الكدية حيث كان من قبل هو وجنوده ، و أن تبقى مساجدكم في بلنسية والكدية وتحترم شريعتكم ،وأن يكون لكم قاضيكم و وزيركم الذي أشرف أنا على تعينه[1].

أصيب السكان بعد ذلك بخيبة أمل ، و غمرهم الحزن ، لكن لم يكن لهم حل سوى تنفيذ ما أمرهم به ، فبدءوا يخرجون من المدينة بنسائهم و أطفالهم ، ما عدى الذين كانوا في خدمة السيد القّمبيطور ، و في نفس الوقت شرع أتباعه الذين كانوا يقيمون في الكدية الدخول إلى بلنسية و الإقامة داخل بيوت البلنسيون الذين خرجوا منها[2]، وبعد ما اطمأن السيد القّمبيطور على الأوضاع داخل بلنسية امتد بصره خارجها ، و أخذ يفكر في الاستيلاء على القرى و الحصون المجاورة وخاصة حصن المنارة و حصن مربيطر ، كما أخذ يفكر في الاستيلاء على الأندلس كله[3] . وبدأ يقول لهم " على رذريق فتحت هذه الجزيرة ورذريق يستنقذها " [4] .

---

[1] – الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 122.

Chronicle of the cid, p. 184 ; Dozy , op.cit , vol. 2 , p.186 .

[2] – الطاهر أحمد مكي ، ملحمة السيد ، ص 123 ؛ عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 246 .

Dozy , op.cit , vol. 2 , p.187 .

[3] – حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 75 ؛ عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 246 ؛ شكيب أرسلان ، الحلل السندسية ، ج3 ، ص 64 .

Dozy , op.cit. , vol 2 , p.194 .

[4] – ابن بسام ، المصدر السابق ، ق 3 ، ص 99 .

Dozy , op.ci.t , vol 2 , p.p .188-189 ; Bidal , op.cit , p .224 .

و لكي يتمم نقمته على البلنسيون قام السيد القّمبيطور بتحويل المسجد الجامع إلى كنيسة كبيرة ، و استدعى لذلك أسقفا من فرنسا يدعى دون خيرونيمو (Don geronimo) ، وأقامه أسقفا عليها ، وقد أنفق من أجل تأثيثها أموالا ضخمة وكان بهذه الخطوة قد قلد سيده الفونسو السادس عندما قام بعد استيلاءه على طليطلة بتحويل مسجدها إلى كنيسة [1] .

وهكذا أصبح السيد القّمبيطور يتمتع بالسيادة المطلقة في بلنسية لا سلطان لأحد عليه ، فجعل من المدينة مقره العسكري ، و تصرف كما يتصرف الملوك المتوجون ، ثم أراد أن يستريح فدعا زوجته دونيا خيمنا ، وابنتيه ماريا (Maria) ، وكريستينا(cristina) ، وابنه دييجو (Diego) المقيمين في قشتالة بالمجيء عنده ومشاركته سلطته وثراءه الذي ينعم به في بلنسية[2] .

[1] - حسين مؤنس ، السيد القّمبيطور ، ص 76 ؛ ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 193 .
Chronicle of the cid, p. 186 ; Dozy , op.cit , vol 2 , p.194 ; Bidal , op.cit , p.210 .

[2] - حسين مؤنس ، السيد القّمبيطور ، ص 76 ؛ ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 192 .
Chronicle of the cid, p. 187 ; Bidal , op.cit , pp. 217 - 218 .

8-صراع السيد القّمبيطور مع المرابطين :

بعد التنكيل الذي قام به السيد القّمبيطور اتجاه سكان بلنسية ، أصبحت الضرورة ملحة لاستنقاذهم من هذه الأزمة . إذ تشير المصادر المسيحية إلى أن يوسف بن تاشفين بعث محمد بن عائشة من جديد على رأس جيش كبير قوامه ثلاثين ألف مقاتل سار نحو بلنسية ، وما إن علم السيد القّمبيطور بهذه الحملة حتى أسرع إلى التحالف مع بدرو الأول ملك أراغون ، وسارا معا للقاء المرابطين ، ولما رأى محمد بن عائشة أنه لا يستطيع مواجهتهما ، قرر الانسحاب من شاطبة ، و عسكر على مقربة من بلدة البيرين (Beiren) جنوب بلنسية ، وفي هذه الأثناء قام السيد القّمبيطور بشحذ عزائم رجاله و إثارة حماسهم ، ثم التقى الجيشان في معركة عنيفة انهزم فيها جيش المرابطين وغنم فيها السيد القمبيطور كثيرا، وكان ذلك في 491هـ / جانفي 1097 م[1] ، ثم سار بعد ذلك باتجاه حصن مربيطر ،و ضرب عليه الحصار حتى عانى سكانه ما عانه سكان بلنسية من قبل ثم استولى عليه بعد أن أخـــــرج منــــــــه أهله [2] .

وفي هذه الأثناء تحركت قوات المرابطين بقيادة محمد بن الحاج نحو طليطلة بأمر من يوسف بن تاشفين ، بعد أن وصلته أخبار تقدم الفونسو السادس ، و إلتقى الجيشان بالقرب من كونسجرا (Consuegra) ، من أعمال طليطلة وذلك في 491هـ / 1097 م ، تلقى فيها الفونسو السادس هزيمة قاسية وقد قتل فيها ابن السيد القّمبيطور الوحيد ، دييجو[3] ، ويشير ابن الكردبوس إلى تلك المعركة بقوله " وقدم عليهم محمد بن الحاج ، فالتقوا بكنشرة فكانت بينهم جولات وحملات إلى

---

[1]- حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 76 ؛ ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 193 ؛ حسن أحمد محمود ، المرجع السابق ، ص 275 .

Dozy , op.cit , vol 2 , pp.189-190 ; Bidal , op.cit , pp. 202-203 ; Guichard , op.cit , p. 77 .

[2] - حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 76 ؛ شكيب أرسلان ، الحلل السندسية ، ج3 ، ص 64.

Dozy , op.cit , vol 2 , p.190 sqq ; Bidal , op.cit , pp. 205 - 208 .

[3] - ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص 102 ؛ حسين مؤنس ، السيد القمبيطور، ص 77 ؛ عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 247 ؛ حسن أحمد محمود ، المرجع السابق ، ص 275-276 ؛ ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 194 .

Bidal , op.cit , pp. 203-204 .

أن زلزل الله أقدام المشركين و ولوا مدبرين ، فالتحفتهم السيوف ، و اختطفتهم الحتوف و آب المسلمون إلى قرطبة سالمين ظافرين غانمين " [1] .

تأثر السيد القّمبيطور كثيرا بعد مقتل ابنه الوحيد دييجو ، و حزن عليه حزنا شديدا إلى درجة أن لازم الفراش مريضا [2] . أما أمير المسلمين فقد أصبح همه هو استنقاذ بلنسية ، و بعث من أجل ذلك جيشا أخر بقيادة محمد بن عائشة ، الذي التقى في طريقه بجيش النصارى الذي كان يقوده ألفارهنيث (البرهانس) عند حصن قونكة (Guenca) ، وذلك في 491هـ / 1097م ، وقد أحرز ابن عائشة خلال هذه المعركة نصرا كبيرا أدى إلى تشتت جيش النصارى ، ثم واصل مسيرته باتجاه بلنسية حتى وصل ناحية جزيرة شِقر[3](jucar) ، فالتقى بجنود السيد القّمبيطور فهزمهم محمد بن عائشة ولم يفلت منهم إلا القليل [4] .

و في هذه الأثناء اشتد المرض بالسيد القّمبيطور ، و هدمه الإعياء بسبب مقتل ولده ، وهزيمة جنوده عند جزيرة شقر ، فلم يلبث أن توفي ، في جوان 1099م / 492 هـ [5] ، بعد خمس سنوات قضاها في صراع مع المرابطين لم تنتكس له راية . وعلى الرغم مما اتصف به السيد القّمبيطور من الغدر و سفك الدماء فقد امتدحه ابن بسام بقوله " وكان هذا البائقة أوحد وقته في درب شهامته و اجتماع حزامته و تنامي صرامته آية من آيات ربه ، إلى أن رماه الله سريعا بحتفه و أماته ببلنسية

---

[1] – المصدر السابق ، ص 102 .

[2] – حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 77 .
Bidal , op.cit. , p. 204 .

[3] – جزيرة بالأندلس تقع جنوب بلنسية وشرق شاطبة ، و يصفها العذري بأنها جزيرة يحيط بها النهر من كل جوانبها لم يبق منها إلا مكان صغير يدخل منه إليها ، وسميت بذلك الاسم نسبة إلى نهر شيقر الذي يصب فيها . (أنظر ، الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 192 ؛ الحميري ، المصدر السابق ، ص 349 ؛ العذري ، المصدر السابق ، ص 19) .

[4] – ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص 108-109 ؛ عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 147-248 ؛ ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 194 ؛ حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 77.
Dozy , op.cit , vol 2 , p.195 ; Bidal , op.cit , pp. 204-205 .

[5] – ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص 109 ؛ عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 248 ؛ ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 195 ؛ بطرس البستاني ، المرجع السابق ، ص 49 .
Dozy , op.cit , vol. 2 , p .195 ; Bidal , op.cit , p. 225 .

حتف آنفه و كان – لعنه الله – منصور العلم مظفرا على طوائف العجم لقي زعماءهم مرارا كغرسيه المنبوز بالفم المعوج و رأس الإفرنج ، وابن رذمير ففل حد جنودهم و قتل بعدده اليسير كثير عديدهم وكان – زعموا – تدرس بين يديه الكتب وتقرأ عليه سير العرب فإذا انتهى إلى أخبار المهلب استخفه الطرب وطفق يعجب منها ويتعجب " [1] .

8 – فتح المرابطين لبلنسية :

بعد وفاة السيد القّمبيطور خلفته في حكم بلنسية زوجته دونيا خيمنا ، التي استطاعت الصمود أمام هجمات المرابطين لمدة سنتين تقريبا [2] ، وفي سنة 494 هـ / 1102م ، انتظمت قوات المرابطين بقيادة الأمير المزدلي[3] ، الذي سار نحو بلنسية مصمما على استرجاعها فضرب الحصار عليها مدة سبعة أشهر[4] ، عرفت خلالها خيمينا صعوبة الوضع وعدم استطاعتها رد هذا الخطر فبعثت إلى الفونسو السادس تطلب نجدته فتحرك إليها بجيش كبير ، مما جعل الأمير المزدلي يرفع الحصار ، ويعسكر جنوب بلنسية عند حصن قلييرة (Cullera) ، الواقع بين بلنسية ودانية . وقضى الفونسو السادس شهرا في بلنسية والنصارى من سكان المدينة يرغبونه في الاحتفاظ بها و يهونون عليه أمر الدفاع عنها ، فخرج إلى قليرة و عاث فيها ، ولما بلغ ذلك الأمير المزدلي سار نحوه ، ودخلا الجيشان في معركة عنيفة دفعت بالفونسو السادس بالانسحاب إلى بلنسية اجتنابا للمغامرة بجيشه أمام قوات المرابطين ، و اعترف بصعوبة الاحتفاظ بالمدينة ، فأمر خيمينا بإخلاء المدينة فاستجابت لنصيحته فقامت بإخلاء المدينة من النصارى الذين كانوا فيها ، ومن الأمتعة و الأموال

[1] – المصدر السابق ، ق 3 ، ص 99 – 100 .

[2] – عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 248 ؛ ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 195 ؛ شكيب أرسلان ، المرجع السابق ، ص 65 .

[3] – هو القائد المرابطي المشهور أبو محمد مزدلي بن سلنكان ، ابن عم يوسف بن تاشفين تقلد في مختلف مناصب القيادة و الولاية بالأندلس ، وحقق العديد من الإنجازات أهمها إسترجاء بلنسية . (أنظر ، ابن قطان ، المصدر السابق ، ص 74 ؛ ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص 109) .

[4] – ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص 110 .
Dozy , op.cit. , vol 2 , p.195 ; Bidal , op.cit , pp. 227-228 .

التي تركها زوجها [1]. ثم قامت بحرق المدينة ، بعد أن قام جنودها بحمل رفاة زوجها السيد القّمبيطور لتدفن في دير سان بدرو دي كاردينا (Saint pedro de cardena) بالقرب من برغش عاصمة قشتالة بإشراف الأسقف خرونيمو[2]، و في شعبان 495 هـ / ماي 1102[3] ، دخل المرابطون بلنسية بعدما تركها النصارى أطلالاً دارسة لتعود إلى دائرة الإسلام مرة أخرى .

وهكذا استطاع المرابطون بعد تضحيات جسام ، أن يخلصوا شرق الأندلس من البطش الذي تعرضوا له على يد السيد القّمبيطور ، و أتباعه ، كما استطاعوا أن يكونوا سدا منيعا في وجه الزحف المسيحي (حركة الاسترداد) الذي كان يقوده في تلك الفترة الفونسو السادس .

[1] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 41 –42 ؛ ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص 110 ؛ عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 248 ؛ ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 195 .
Dozy , op.cit , vol 2 , p.196 ; Bidal , op.cit , p. 228 .

[2] – حسين مؤنس ، السيد القمبيطور ، ص 77 ؛ ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 195–196 .
Alfonso el sabio , op.cit. , p. 634 ; Dozy , op.cit , vol 2 , p.196 .

[3] – اختلفت المصادر العربية في تحديد شهر دخول المرابطين إلى بلنسية ، فابن بسام يذكر أنه كان في شهر رمضان 495 هـ . (المصدر السابق ، ق 3 ، ص 101) ، أما ابن عذاري فيرجع ذلك إلى رجب 495 هـ .(المصدر السابق ، ج 4 ، ص 42) ، ويوافقه في الرأي ابن الخطيب . (المصدر السابق ، ص 274) ، لكن باحتساب التوافق بين التاريخين الميلادي والهجري نجد أن شهر ماي 1102 م يوافق شعبان 495 هـ ، وهذا ما يحدد شهر شعبان 495هـ شهر دخول المرابطين إلى بلنسية . (أنظر ، عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 248) .

الخاتـــــمـة

من خلال الدراسة السابقة حول شخصية السيد القّمبيطور و علاقاته بالمسلمين في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، توصلت إلى مجموعة من الاستنتاجات كان أهمها .

لقد كانت الفتنة البربرية ، التي أعقبت وفاة المنصور محمد بن أبي عامر ، سببا في تدهور الأوضاع السياسية داخل الأندلس ، بحيث هددت استقراره و قضت على وحدته ، كما ساهم الصراع العرقي في ذلك ، حينما تقاتل العرب مع البربر من أجل السلطة ، ثم ظهر الصقالبة العامريون ، الذين كانوا في خدمة بني أمية ، ثم أصبحوا ينافسون العرب و البربر في السلطة ، مستغلين الأوضاع السيئة التي أصبح عليها المسلمون داخل الأندلس .

و في ظل هذه الظروف ، و فشل كل المحاولات لإعادة توحيد الصفوف ، إلغيت الخلافة الأموية. فدخلت البلاد عصرا جديدا أطلق عليه المؤرخون اسم عصر ملوك الطوائف ، لاختلاف الطوائف التي أقامت دويلات لنفسها (عرب ، بربر ، صقالبة) ، وانقسمت الأندلس ، بعد أن كانت موحدة إلى أكثر من عشرين دويلة ، يسير كل واحدة منها حاكم أو متغلب لم يكن له في هذه الإمارة إرث و لا نسب . وكان هذا العصر هو أسوء العصور التي عاشها المسلمون في الأندلس منذ أن وطئته أقدامهم ، فقد بلغوا فيه دركا أسفلا من الضعف في جميع المجالات ، ما عدا الحياة العلمية ، التي كانت فيها على درجة جيدة من النضوج و التقدم .

وفي الشمال الإسباني ، فقد أنعشت هذه الظروف الممالك النصرانية ، و بعثت فيهم روحا جديدة لمواصلة حركة الاسترداد ، والتي كان يقودها في هذه الفترة فرناندو الأول ملك قشتالة وليون ، ثم ابنه الفونسو السادس ، فقد أثمرت هذه الحركة سقوط واحدة من أكبر و أحصن المدن في يد الفونسو السادس ، هي مدينة طليطلة ، والتي أحدث سقوطها دويا كبيرا في الأندلس أنذر بخطورة الوضع ، لكن هؤلاء الحكام الضعاف لم يستوعبوا الدرس ، و واصلوا سياستهم مما أدى إلى تأزم الأوضاع . وأمام تزايد خطر ملوك النصارى ، لم يجد هؤلاء الحكام حلا سوى مهادنتهم ودفع الجزية لهـــــم صاغـــــرين .

كما توصلت من خلال هذه الدراسة إلى أن الفارس القشتالي رودريغو دياث دو بيفار (السيد القمبيطور) ، بالرغم من أنه كان مجرد جنديا عاديا ، استطاع بفضل شجاعته وقوته القتالية أن يصبح فارسا عند سانشو الثاني ملك قشتالة وليون ، كما استطاع أن يصبح من أقرب الرجال عنده ، ومسئولا عن الدفاع على مصالح المملكة ، لكن لم يلبث أن فقد هذه المكانة بعد أن أصبح الفونسو السادس ملك لقشتالة وليون ، وذلك بسب أحقاد بينه وبين هذا الأخير ، أدت في نهاية المطاف إلى إصدار الملك قرار نفيه من المملكة .

وهنا تبدأ صفحة جديدة في حياة هذا الفارس القشتالي ، فبعد أن خرج من موطنه الأصلي منفيا ، أخذ يعرض خدماته هنا وهناك ، عله يجد مكانا يستقر فيه. فبعد أن أعرض عنه أمير برشلونة ، سيرته الأقدار إلى ديار الإسلام ، فدخل في خدمة بني هود ملوك سرقسطة ، حيث أظهر عندهم شجاعة و مهارة كبيرة ، جعلتهم يرفعون من مكانته ، و ينادونه بأفضل الألقاب ، كما أصبح المؤتمن بن هود لا يقرر أمرا إلا استشاره فيه ، فكانوا سببا في تقوية شوكته ، و هنا وجد الفرصة سانحة لتحقيق ما حرم منه سابقا ، و أخذ يعمل لحسابه الخاص . وذلك عندما أخذ يفكر في الاستيلاء على بلنسية ، التي كانت تعيش في تلك الفترة فراغا سياسيا رهيبا بسبب حكم القادر بن ذي النون الضعيف ، ثم استبداد القاضي ابن الجحاف بحكمها ، وبعد انفصاله عن خدمة بني هود انضمت إليه جماعة من الأشرار المسيحيين والمسلمين ، وأخذوا يغيرون على المدن والقلاع الإسلامية ، ويغنمون الكثير ، وما إن تهيأت له الأوضاع ، حتى حاصر بلنسية ، هذا الحصار الذي كان قاسيا جدا على السكان ، ومع طول مدته وهلاك أغلبية السكان ، اضطر أعيان المدينة إلى تسليمها له مقابل شروط مجحفة ، لكن بعد دخوله المدينة ضرب كل تلك الشروط عرض الحائط ، ونكل بأهلها شر تنكيل ، وحرق أهم رجال المدينة كالقاضي ابن الجحاف و الشاعر أبو جعفر البتي ، ولم يتوقف عند هذا الحد بل زاد نقمته عليهم بعد أن أخرجهم من المدينة وحول مسجدها إلى كنيسة ، فهو بهذا لا يحترم العهود ولا توجد في قلبه رحمة كما يزعم مؤرخوه ، بل يبيع العدو و الصديق معا من أجـــل الـمال .

و الذي يستنتج كذلك من هذه الدراسة هو أن فشل المرابطين في إنقاذ بلنسية من يد السيد القّمبيطور لم يكن بسبب قوة هذا الأخير وشجاعته ، وإنما يرجع إلى انشغالات المرابطين بمقاتلة من هو أشد منه قوتا و بأسا، و هو الفونسو السادس ملك قشتالة وليون ، والذي كان يحظى بدعم خارجي ، فبعد أن تمكن المرابطون من إيقاف زحف القشتالين في كونسجرا و قونكة ، تفرغوا لبلنسية وحرروها من السيطرة القشتالية 495هـ / 1102 م . لكن هذا لايقلل من قيمة السيد القّمبيطور الذي استطاع بالرغم من محدودية إمكانياته أن يقيم لنفسه إمارة في بلنسية استمرت مـــــــدة ثمان سنوات .

الملاحق

ملحق رقم (1)

دول الطوائف

جدول تاريخي مفصل

دولة بني جهور في قرطبة

أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور 422- 435 هـ / 1031- 1044م.

أبو الوليد محمد جـــهـــور 435 – 457هـ / 1044- 1064م.

عبد الملك بن محمد بن جـــهور 457 – 463هـ / 1064- 1070م.

المعتمد بن عباد يستولي على قرطبة سنة 463هـ/ 1070م

دولة بني عباد في اشبيلية

القاضي محمد بن اسماعيل بن عباد 414- 433هـ / 1023- 1042م.

عباد بن مـــحمد (المعتضد) 433- 461هـ / 1042- 1069م.

محمـــد بن عباد (المعتمد) 461- 484هـ / 1069- 1091م.

اشبيلية تسقط في أيدي المرابطين

دولة بني الأفطس في بطليوس

عبدالله بن محمد بن مسلمة (المنصور) 413- 437 هـ / 1022- 1045م.

محمد بن عبد الله (المظفر) 437- 461هـ / 1045- 1068م.

يحي بن محمـــــد (المنصور) 461- 464هـ / 1068- 1072م.

عمر بن محمد (المتوكل) 464 - 488هـ / 1072- 1094م.

بطليوس تسقط في أيدي المرابطين

دولة بني يحي في لبلة

أبو العباس أحمد بن يحي 414- 434 هـ / 1023- 1042م.
محمد بن يحي عز الدولة 434- 443هـ / 1042- 1051م.
فتح بن خلف ناصر الدولة 443- 445هـ / 1051- 1053م.

دولة بني مزين في باجة وشلب

الحاجب عيسى محمد // - 432 هـ / // - 1041م.
محمد بن عيسى عميد الدولة 432 - 440هـ / 1041 - 1048م.
عيسى بن مزين (المظفر 440- 445هـ / 1048- 1053 م.
محمد بن عيسى (الناصر) 445- 450هـ / 1053- 1058م.
عيسى بن محمد (المظفر) 450- 455هـ / 1058- 1063م .
شلب تسقط في أيدي المعنمد بن عباد

دولة بني البكري في ولبه و جزيرة شلطيش

عبد العزيز البكري عز الدولة 403- 443هـ / 1012- 1051م .
ولبة و شلطيش تسقطان في يد المعتضد

دولة بني هارون في شنتمرية الغرب

سعيد بـن هـــارون 417 - 433هـ / 1026- 1041م.
محمد بن سعيد (المعتصم) 433- 443هـ / 1041- 1051م.
شنتمرية الغرب تسقط في يد المعتضد

دولة بني ذي النون في طليطلة

اسماعيل بن ذي النون (الظافر) 427- 435هـ / 1036- 1043م.
يحي بن اسماعيل (المأمون) 435- 467هـ / 1043- 1075م.
يحي بن اسماعيل بن يحي (القادر) 467-478هـ / 1075- 1085م.
طليطلة تسقط في يد الفونسو السادس ملك(قشتالة وليون)

دولة بني مناد في غرناطة

زاوي بن زيري 403- 410 / 1013- 1019م.
حبوس بن ماكسن 411- 428هـ / 1020- 1037م.
باديس بن حابوس (المظفر) 428- 465هـ / 1037- 1073م.
عبد الله بن بلكين 465- 483هـ / 1073- 1090م.
المرابطون يستولون على غرناطة

دولة بني برزال في قرمونة

محمد بن عبد الله بن برزال 404- 434هـ / 1013- 1042م.
عزيز بن محمد (المستظهر) 434- 459هـ / 1042- 1067م.
قرمونة تسقط في يد ابن عباد

دولة بني دمر في مورور

نوح بن أبي تزيري الدمري 403- 433هـ / 1013م- 1041م.
محمد بن نوح (عز الدولة) 433- 445هـ / 1041- 1053م.
مناد بن محمد (عماد الدولة) 445 - 458هـ / 1053- 1066م.
مورور تسقط في يد ابن عباد

دولة بني خزرون في أركش

محمد بن خزرون (عماد الدولة) 402- 420هـ / 1011- 1029م.
عبدون بن محمد بن خزرون 420- 445هـ / 1029- 1053م.
محمد بن محمد بن خزرون (القائم) 445- 461هـ / 1053- 1068م.
أركش تسقط في يد ابن عباد

دولة بني يفرن في رندة

هلال بني أبي قرة اليفرني 406- 445هـ / 1015- 1053 م.
باديس بن هلال 445- 449هـ / 1053- 1057م.
ابو نصر فتوح بن هلال 449- 457 هـ / 1057- 1065م.
رندة تسقط في يد ابن عباد

مملكة ألمرية

1- خيران العامري 405- 419هـ / 1014- 1028م.
زهير العامري 419 – 429هـ/ 1028- 1038م.
عبد العزيز المنصور 429- 433هـ / 1038- 1041م.
2- معن بن صمادح 433- 443هـ / 1041- 1051م.
محمد بن معن المعتصم 443- 484هـ / 1051- 1091م.
أحمد بن محمد معز الدولة 484هـ / 1091م
المرابطون يستولون على ألمرية

مملكة مرسية

1- خيران العامري 403- 419 هـ / 1012- 1028م .
زهير العامري 419- 429 هـ / 1028- 1038م .

أبو بكر بن الطاهر	429- 455هـ / 1038- 1063م.
أبو عبد الرحمن بن الطاهر	455 – 471هـ / 1063- 1078م.

المعتمد ابن عباد يستولي على مرسية

2- ابن عمار	471- 473هـ / 1078- 1081م.
ابن رشيق	483- 484هـ / 1081- 1091م.

المرابطون يستولون على مرسية

مملكة دانية والجزائر الشرقية

1- مجاهد العامري (الموفق)	400 - 436هـ / 1009- 1044م.
علي بن مجاهد (إقبال الدولة)	436- 468هـ / 1044- 1076م.
3- المقتدر بن هود صاحب سرقسطة	468- 474هـ / 1076-1081م.
المنذر بن هود	474- 483هـ / 1081- 1091م.

المرابطون يستولون على دانية

مملكة بلنسية

الفتيان مظفر ومبارك	400- 408هـ / 1009-1017م.
لبيب العامري	408- 411هـ / 1017- 1021م.
عبد العزيز (المنصور)	411- 452هـ / 1021- 1061م.
عبد الملك بن عبد العزيز	452- 457هـ / 1061- 1065م.

المأمون بن ذي النون يستولي على بلنسية

نائبه أبو بكر بن عبد العزيز	457 - 478هـ / 1065- 1085م.
عثمان بن أبي بكر	478- 478هـ / 1085- 1085م.
القادر بن ذي النون	478- 485هـ / 1085- 1092م.
القاضي ابن الجحاف	485- 487هـ / 1092- 1094م.
السيد القمبيطوروالقشتاليون	487هـ- 495هـ / 1094- 1102م.

المرابطون يستولون على بلنسية

إمارة شنتمرية الشرق

هذيل بن عبد الملك بن رزين	403- 436هـ / 1012- 1045م.
عبد الملك بن هذيل	436- 496 هـ / 1046- 1103م.
يحي حسام الدولة	496- 497 هـ / 1103- 1104م.

المرابطون يستولون على شنتمرية الشرق

إمارة ألبونت

عبد الله بن قاسم	400- 431هـ / 1009- 1039م.
محمد بن عبد الله (يمن الدولة)	431- 434 هـ / 1039- 1042م.
أحمد بن محمد عز الدولـة	434 - 440 هـ / 1042- 1048م.
عبد الله بن محمد (جناح الدولة)	440- 495هـ / 1048- 1102م.

المرابطون يستولون على ألبونت

مملكة سرقسطة

1- المنذر بن يحي التجيبي	408- 414 هـ / 1017- 1023 م.
يحي بن المنذر (المظفر)	414- 420 هـ / 1023- 1029م.
المنذر بن يحي (معز الدولة)	420- 430 هـ / 1029- 1039م.
2- سليمان بن هود (المستعين)	431- 438 هـ / 1039 – 1046م.
أحمد بن سليمان (المقتدر)	438- 474هـ / 1046- 1081م.
يوسف بن أحمد (المؤتمن)	474- 478هـ / 1081- 1085م.
أحمد بن يوسف (المستعين)	478- 503 هـ / 1085 – 1110م.
عبد الملك بن أحمد (عماد الدولة)	503- // هـ / 1110 - // م .

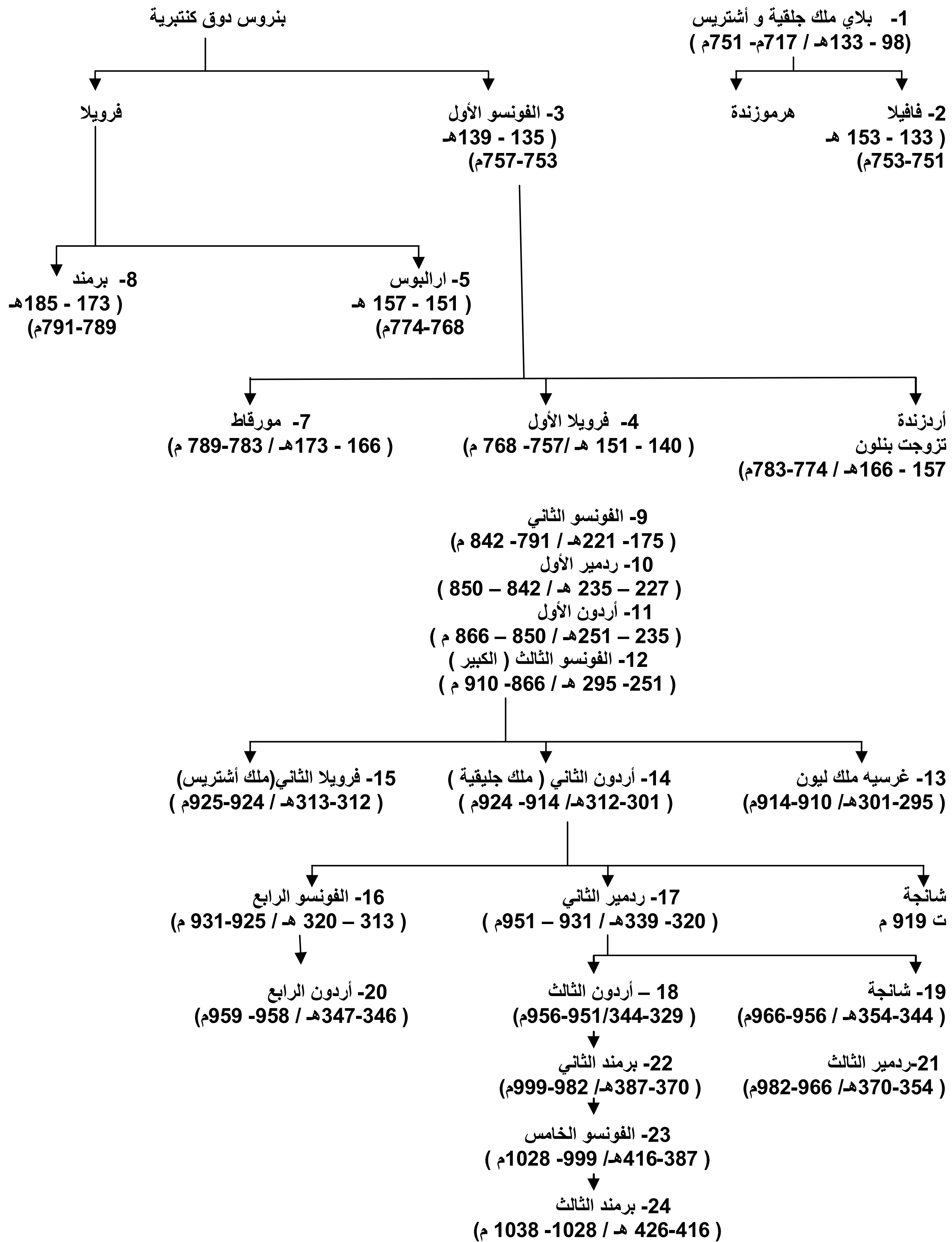
المرابطون يستولون على سرقسطة

عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 460 – 464

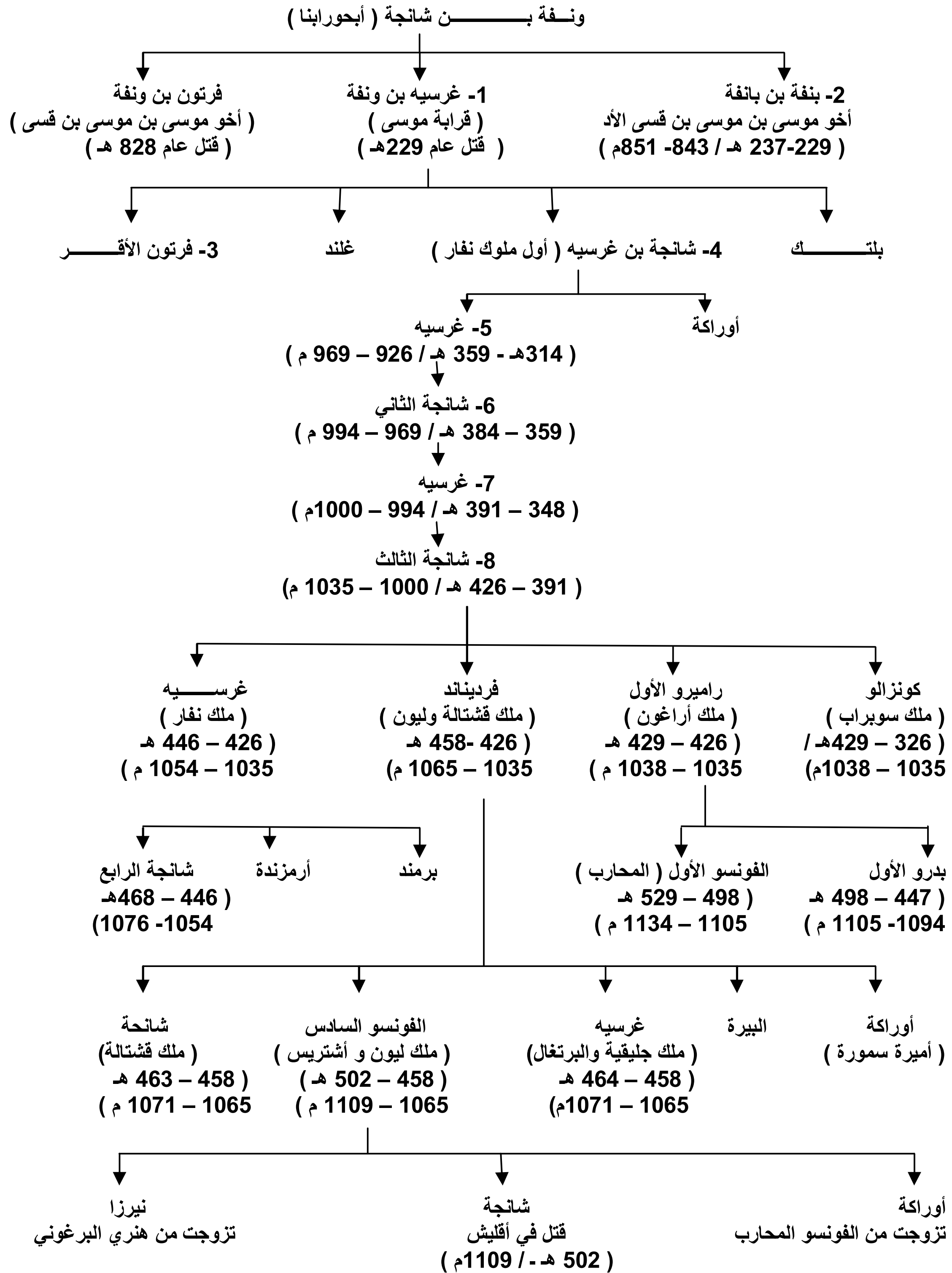
ملـــــــــــــــــحق رقم (2)

جدول رقم 1

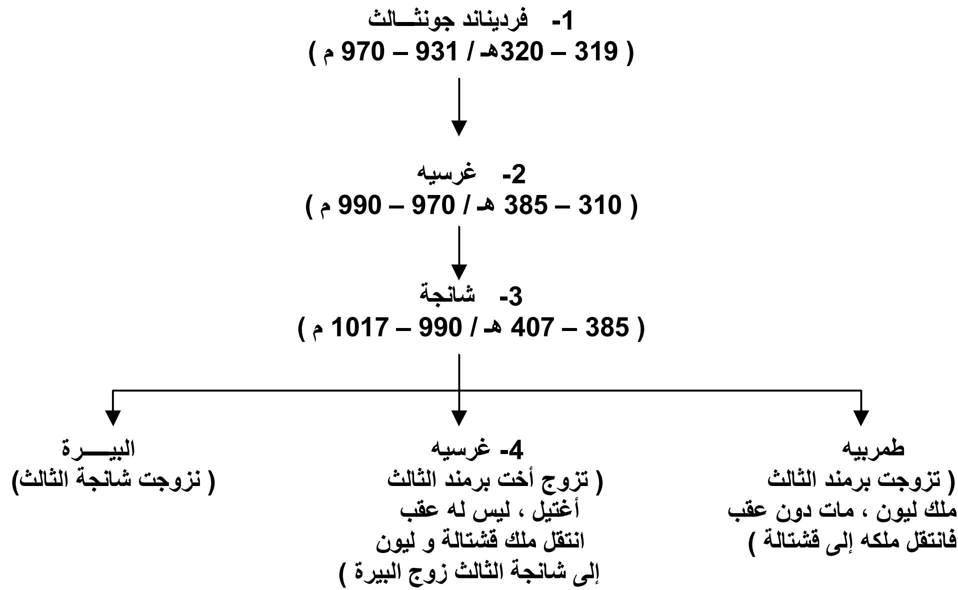
ملوك ليون (جليقية و أشتريس)



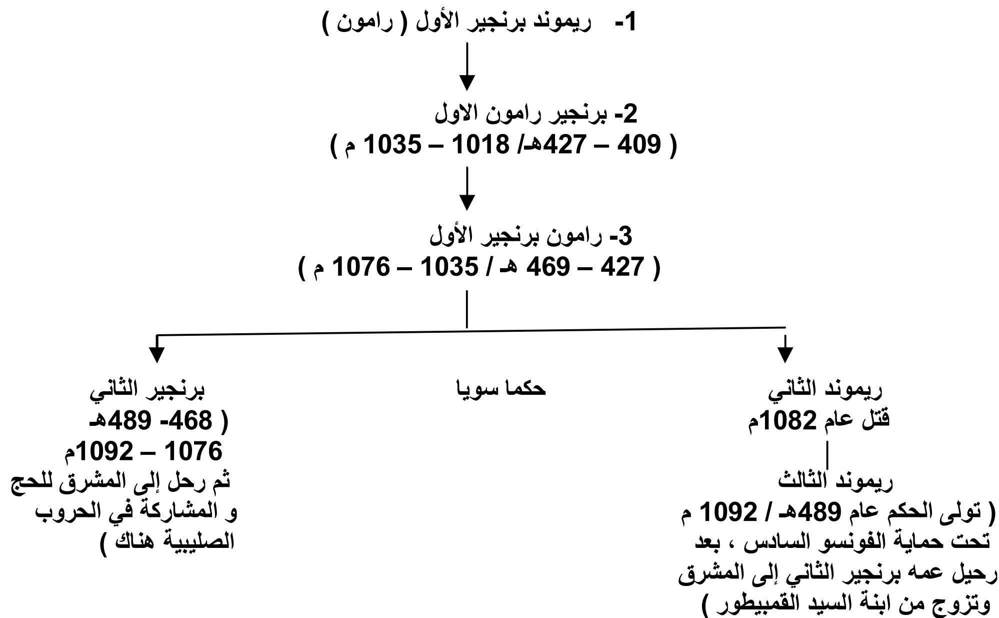
جدول رقم 3


ملوك نبـــــــــرة (نفار)
ونــفة بــــــــــن شانجة (أبحورابنا)
2- بنفة بن بانفة
أخو موسى بن موسى بن قسى الأد
(229-237 هـ / 843- 851م)
1- غرسيه بن ونفة
(قرابة موسى)
(قتل عام 229هـ)
فرتون بن ونفة
(أخو موسى بن موسى بن قسى)
(قتل عام 828 هـ)
بلتــــــــك
4- شانجة بن غرسيه (أول ملوك نفار)
غلند
3- فرتون الأقـــــــر
أوراكة
5- غرسيه
(314هـ - 359 هـ / 926 – 969 م)
6- شانجة الثاني
(359 – 384 هـ / 969 – 994 م)
7- غرسيه
(348 – 391 هـ / 994 – 1000م)
8- شانجة الثالث
(391 – 426 هـ / 1000 – 1035 م)
كونزالو
(ملك سوبراب)
(326 – 429هـ /
1035 – 1038م)
راميرو الأول
(ملك أراغون)
(426 – 429 هـ
1035 – 1038 م)
فرديناند
(ملك قشتالة وليون)
(426 -458 هـ
1035 – 1065 م)
غرســــــيه
(ملك نفار)
(426 – 446 هـ
1035 – 1054 م)
بدرو الأول
(447 – 498 هـ
1094- 1105 م)
الفونسو الأول (المحارب)
(498 – 529 هـ
1105 – 1134 م)
برمند
أرمزندة
شانجة الرابع
(446 – 468هـ
1054- 1076)
أوراكة
(أميرة سمورة)
البيرة
غرسيه
(ملك جليقية والبرتغال)
(458 – 464 هـ
1065 – 1071م)
الفونسو السادس
(ملك ليون و أشتريس)
(458 – 502 هـ)
1065 – 1109 م)
شانحة
(ملك قشتالة)
(458 – 463 هـ
1065 – 1071 م)
أوراكة
تزوجت من الفونسو المحارب
شانجة
قتل في أقليش
(502 هـ - / 1109م)
نيرزا
تزوجت من هنري البرغوني

جدول رقم 4



جدول رقم 5



عبد الحليم رجب ، المرجع السابق ، ص 510-512 .

ملحق رقم (3)

نص رثاء الوقشي لمدينة بلنسية

1- بلنسية ! ...... بلنسية ! ..... مصائب كبيرة تحدق بك ، أنت تحتضرين ، و إذا قدر لك النجاة ، فسيراه عجيبا من يعيش و يراك .

2- و إذا أراد الله خيرا لهذا البلد ، فأملي كبير أن يتولاك برحمته ، فلقد كنت دوما موطن الجمال والسرمد ، حيث يعيش المسلمون جميعا في بهجة ومتعة .

3- و إذا أراد الله أنك تخسرين كل شيء هذه المرة ، فسوف يكون تكفيرا عن خطاياك الكبيرة و إجراءاتك الأثيمة ، وما كنت عليه من تجبر .

4- العُمد الأربعة التي تنهضين عليها ، يريدون أن يجتمعوا ليهدموها ، فيحزنوك ، وما هم بمستطعين .

5- سورك العظيم الذي بني مع العمد الأربعة ، ترتج حجارته ، ويريد أن يقع بعد أن تضعضع أساسه .

6- أبراجك السامقة الارتفاع ، الرائعة الجمال ، والتي تلوح من بعيد ، فتدخل البهجة على قلوب أهلك تقع شيئا فشيئا .

7- شرفاتك البيضاء تشرق من مسافات بعيدة ، فقدت أمانها عندما بدت لأشعة الشمس .

8- نهرك الجميل الفياض ، نهر الوادي الأبيض ، وكل المياه الأخرى التي تسقيك بوفر ، وتصدر عن ينبوع واحد تمضي ولا تعود .

9- سواقيك الصافية التي ينتفع بها أناس كثيرون ، عادت كدرة لا أحد يعنى بنظافتها ، فتحولت إلى مياه حمئة .

10- جناتك الجميلة ، من حواليك مهملة ، عيثت الذئاب المسعورة بأشجارها ، فلم تعد تثمر شيئاً .

11- مروجك الرائعة ذات الأشجار الجميلة ، الكثيرة المثمرة ، يجني أهلك ثمارها في سرور ، عادت يابسة .

12- مرساك الجميل ، الذي تشرفين به كثيرا أصبح عاريا عن الجمال ، خاليا من السفن الكثيرة التي تعودت أن تأتي إليه .

13- ضياعك الواسعة ، وكنت تسمينها " سلطانة "، التهمتها النيران، ويصلك دخانها عاليا .

14- لا يوجد دواء لمرضك، والأطباء يائسون، وليس في وسعهم أبدا أن يعيدوا لك صحتك كاملة.

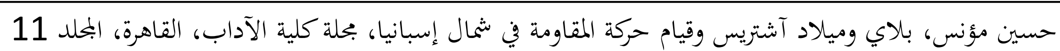
15- بلنسية ! .... بلنســية ! ..... كل هذه الأشياء التي عددتها لك أو من بها، قد قلتها و ألم أسيف يملأ قلبي .

الطاهر أحمد مكي ، دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ و الفلسفة ، ص 259-260.

الخرائــــــط

خريطة رقم (1)

حسين مؤنس، بلاي وميلاد آشتريس وقيام حركة المقاومة في شمال إسبانيا، مجلة كلية الآداب، القاهرة، المجلد 11 ج1، 1949، ص15



خريطة رقم (2)



حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة 1987م ، ص 172.

خريطة رقم (3)



حسين مؤنس،_أطلس تاريخ الإسلام ، ص 17

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصـــــادر

1 - المصادر العربية

❖ ابن الأبار (محمد أبي عبد الله) ت 658 هـ / 1260م
- الحلة السيراء ، حققه وعلق عليه حسين مؤنس ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1985م .
- التكملة لكتاب الصلة، المطبعة الشرقية، الجزائر، 1919م.
❖ ابن الأثير (أبو الحسن علي ابن أحمد) ت 630هـ / 1233م.
- الكامل في التاريخ ، صححه عبد الوهاب النجار ، دار الطباعة المنيرة ، القاهرة ، 1987م .
❖ الإدريسي (الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز) ت 548هـ / 1154م.
- صفة المغرب وأرض السودان و مصر و الأندلس (مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق) ، نشره دي غويه و دوزي ، ليدن ، 1894م.
❖ البتي (أبو جعفر أحمد بن عبد الولي) ت 488هـ / 1095م .
- تذكرة الألباب بأصول الأنساب ، تحقيق السيد محمد مهدي الموسوي ، تقديم هارون احمد العطاس ، دارالمواهب ، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
❖ ابن بسام (أبو الحسن علي) ت 543هـ / 1147م.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة لبنان، 1997م.
❖ ابن بشكوال (خلف بن عبد الملك) ت 578هـ / 1183م.
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس و علماءهم و محدثيهم و فقهائهم و أدبائهم ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، مصر ، لبنان ، 1989م.
❖ البكري (أبو عبد الله بن عبد العزيز) ت 487هـ / 1094م .
- جغرافية الأندلس و أوربا من كتاب المسالك و الممالك ، تحقيق عبد الرحمن حجي ، بيروت ، 1968م.
❖ ابن حزم (علي بن أحمد بن سعيد) ت 456هـ / 1064م.
- جمهرة أنساب العرب ، تحقيق و تعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر ، الطبعة الخامسة ، 1977م .
- الرد على ابن النغريلة اليهودي و رسائل أخرى ، تحقيق إحسان عباس ، القاهرة ، 1984م.

❖ الحميدي (محمد بن أبي نصر) ت 488هـ / 1095م.
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، 1966م.
❖ الحميري (محمد بن أبي المنعم) توفي أواخر القرن التاسع هجري / الخامس عشر الميلادي .
- الروض المعطار في خبر الأقطار ، حققه إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، الطبعة الثانية ، 1984م .
❖ ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد) ت 776هـ / 1374م.
- أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المكشوف ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1956م .
- رقم الحلل في نظم الدول ، المطبعة العمومية ، تونس ، 1316هـ .
❖ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ت 808هـ / 1405م.
- تاريخ ابن خلدون المسمى العبر و ديوان المبتدأ و الخبر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان، 2000 م.
❖ ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد) ت 681هـ / 1282م.
- وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .
❖ ابن أبي الدينار (أبي عبد الله محمد القيرواني) ت 1110هـ .
- المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، تونس ، بدون تاريخ .
❖ ابن أبي الزرع (أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي) ت 726هـ/ 1325م.
- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، الرباط ، 1972م.
❖ الزيري (الأمير عبد الله بن بلكين) ت 469هـ / 1076م.
- مذكرات الأمير عبد الله ، المسماة كتاب التبيان ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، مصر ، 1955م .
❖ ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى) ت 685هـ / 1286م.
- المُغرب في حلى المغرب ، حققه وعلق عليه شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، 1964م.

❖ ابن الشباط (محمد بن علي) ت 681هـ / 1282 م.
- قطعة من وصف الأندلس و صقلية من كتاب صلة السمط وسمة المرط ، تحقيق أحمد المختار العبادي ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد ، المجلد 14 ، 1967- 1968م .
❖ الضبي (أحمد بن يحي بن أحمد) ت 599هـ / 1203م .
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دارالكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، 1989م.
❖ ابن عذاري (أحمد بن محمد المراكشي) كان حيا عام 712هـ / 1312م.
- البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، تحقيق ومراجعة ج س كولان و ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، لبنان ، 1983م .
❖ العذري (أحمد بن عمر بن أنسي) ت 478هـ / 1085م .
- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار و تنويع الآثار و البستان في غرائب البلدان و المسالك إلى جميع الممالك ، تحقيق عبد العزيز الأهواني ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد ،1965م .
❖ ابن الفرضي (عبد الله بن محمد) ت 403 هـ / 1013 م .
- تاريخ علماء الأندلس ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، 1966م .
❖ أبو الفدا (عماد الدين اسماعيل بن محمد) ت 732هـ / 1331م .
- تقويم البلدان ، اعتنى بتصحيحه و طبعه رينود البارون ماك كوكين ديسلان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، 1840م .
❖ ابن القطان (أبو الحسن علي بن محمد الكتامي) ت 628هـ / 1231م.
- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، قدمه و حققه محمود علي مكي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1990 م .
❖ القلقشندي (أحمد بن عبد الله) ت 821 هـ / 1418م .
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دارالكتب الخديوية ،القاهرة، 1915م.
❖ ابن القوطية (محمد بن عمر) ت 367هـ / 977م .
- تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، الطبعة الثانية ، 1989م.
❖ ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك التورزي) عاش خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي .
- تاريخ الأندلس ، تحقيق أحمد المختار العبادي ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد ، المجلد 13 ، 1965م.

❖ المراكشي (عبد الواحد بن علي) ت 669هـ / 1270م.
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ، 1963م .

❖ المقري (أحمد بن محمد) ت 1041هـ / 1631 م .
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، حققه احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1988م.

❖ مؤلف مجهول ، عاش في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي .
- أخبار مجموعة في فتح الأندلس و ذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، الطبعة الثانية ، 1989 م .

❖ ياقوت الحموي (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله) ت 626هـ /1331م
- معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1977م .

2 – المصادرالأجنبيـــــــــة :

❖ Alfonso el sabio
- primera cronica gèneral estoria de espana , t 2 , publicdo por Ramon menèndez bidaal , Madrid , 1906 .

❖ Chronicle of the cid from spanish,traduire by Robert Southey , London , 1883 .

❖ Michael (Ian)
- Poèma De Mio Cid, madrid , quinta edicion ,1984 .

3 – المعربـــــــــة :

❖ مكي (الطاهر أحمد)
- ملحمة السيد ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1983 م .

ثانيا: المراجـــع :

1- المراجـــع العربية و المعربة :

❖ أحمد (اسماعيل أحمد)
- دراسات في تاريخ الصقالبة العامريين في شرق الأندلس ، مركز الإسكندرية للكتاب ، القاهرة ، 2008م .

❖ أسعد (حومد)
- محنة العرب في الأندلس ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1988م .

❖ أرسلان (الأمير شكيب)
- الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1997م.
- خلاصة تاريخ الأندلس ، مطبعة المنار ، مصر ، 1925م .

❖ أشباخ (يوسف)
- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين ، ترجمة محمد عبد الله عنان ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1940م .

❖ بالنثيا (آنخل جنثالث)
- تاريخ الفكر الأندلسي ، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1955م .

❖ البستاني (بطرس)
- معارك العرب في الأندلس ، بيروت ، لبنان ، 1950م.

❖ بروفنسال (ليفي)
- الإسلام في المغرب و الأندلس ، ترجمة محمد عبد العزيز و محمد صلاح حلمي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، القاهرة ، 1996م.

❖ حتي (فليب)
- تاريخ العرب ، دار الكشاف للنشر و الطباعة ، بيروت ، لبنان ،2000 م .

❖ دوزي (رينهرت)
- المسلمون في الأندلس ، ترجمة و تعليق حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1994م .
- ملوك الطوائف ، ترجمة كامل الكيلاني ، دار المعارف، القاهرة ، 1933م .

❖ رمضان (طه عبد المحسن)
- الحروب الصليبية في الأندلس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 2001 م .
❖ سالم (السيد عبد العزيز)
- تاريخ المسلمين و آثارهم بالأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1999م .
❖ سعدون (عباس نصرالله)
- دولة المرابطين في المغرب و الأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1985 م.
❖ السمائري (خليل إبراهيم)
- تاريخ العرب و حضارتهم في الأندلس ، دار الكتب الجديدة ، بيروت ، لبنان ، 2002م .
❖ السيد (كمال أبو المصطفى)
- تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي ، مركز الإسكندرية ، للكتاب ، بدون تاريخ .
❖ الشطشاط (علي حسن)
- نهاية الوجود العربي في الأندلس ، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2001م .
❖ الشيخ (محمد مرسى)
- دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، القاهرة ، 1981م .
❖ عاشور (سعيد عبد الفتاح)
- تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1976 م .
❖ العبادي (أحمد المختار)
- دراسات في تاريخ المغرب و الأندلس ،الإسكندرية ، 1997م .
❖ عباس (إحسان)
- تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف و المرابطين) ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، 1997 م .
❖ عبد الحليم (رجب)
- العلاقات بين الأندلس الإسلامية و اسبانيا النصرانية في عصر بني أمية و ملوك الطوائف ، القاهرة ، بيروت ، بدون تاريخ .

❖ عمران (محمود سعيد)
- حضارة أوربا في العصور الوسطى ، دار المعرفة الجامعية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1990م .
❖ عنان (محمد عبد الله)
- الخلافة الأموية و الدولة العامرية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1997م .
- دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، الطبعة الرابعة ، 1997م.
- الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا و البرتغال ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1990م .
- عصر المرابطين و الموحدين في المغرب و الأندلس ، مكتبة الخانجي ، الطبعة الثانية ، 1997م .
❖ كاسترو (أميركو)
- اسبانيا في تاريخها ، ترجمة علي ابراهيم منوفى ، مراجعة حامد أبو أحمد ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2003م.
❖ محمود (حسن أحمد)
- قيام دولة المرابطين ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، 1996م .
❖ مصطفى (شاكر)
- الأندلس في التاريخ ، دار الاشبيلية ، سوريا ، 2002م .
❖ المطوي (محمد العروسي)
- الحروب الصليبية في المشرق و المغرب ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، الطبعة الثانية ، 1982 م .
❖ مكي (الطاهر أحمد)
- دراسات أندلسية في الأدب و التاريخ و الفلسفة ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، 1987 م .
❖ مؤنس (حسين)
- الثغر الأعلى في عصر المرابطين ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- فجر الأندلس ، الدار السعودية للنشر و التوزيع ، الطبعة الثانية ، 1985م .
- معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، دار الرشاد ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- أطلس تاريخ الإسلام ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، مصر،1987م.
❖ وات (مونتغمري)
- في تاريخ اسبانيا النصرانية ، ترجمة محمد رضا المصري ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1998 م .

❖ يسالم (عصام سالم)
- جزر الأندلس المنسية (التاريخ الإسلامي لجزر البليار) ، دار العلم ، بيروت ، لبنان ، 1984م .

2- المراجع الأجنبيـــــــــــة :

❖ Bidal (Ramon Menèndez)
- el cid campeador , quinta edicion , madrid , 1964 .
❖ Dozy (reinhart)
- le cid d'après des nouveaux document .dans recherches sur l'histoire et la litterature de l' Espagne pendant le moyen àge , 3 èdition , layade , vol 2 , 1881.
❖ Guichard (pierre)
- Les musulmans de valence et la recenquète_, tom 1 , Institut Francais , Damas , 1990 .

ثالثـــا : الموسوعات :

1- بالعربـــــية :

❖ مؤنس (حسين)
- موسوعة تاريخ الأندلس ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1996 م .

2- بالأجنبيـــــة :

❖ Ackermann (Marcha)
- Encyclopedia of word history ,_new york , vol 2 , 2008 .
❖ Aurray (Alan)
- The crusades ancy clopedia , Oxford, vol 1 ,2006 .
❖ David (luscombe)
- the new cambriddge medieval history , Cambridge ,vol 4 , 2008.
❖ La grande encyclopedie , paris , tome 9, 1890.
❖ Loyn (henry)
- The middle ages aconcise encyclopedia , new york , 1991 .

رابعا : الدوريات و الرسائل الجامعيـــــــة :

❖ بشاري (لطيفة بن عميرة)
- الرّق في بلاد المغرب ، رسالة دكتوراه دولة ، جامعة الجزائر ، 2007 / 2008 م . غير منشورة .

❖ حصباية (محمد)
- الممالك المسيحية شمال الأندلس وعلاقتها بملوك الطوائف (خلال القرن الحادي عشر الميلادي / الخامس الهجري) ، مذكرة ماجستير ، جامعة الجزائر ، 2009 / 2010 م . غير منشورة .

❖ مؤنس (حسين)
- بلاي وميلاد أشتريس و قيام حركة المقاومة شمال الأندلس ، مجلة كلية الآداب المصرية ، الجزء الأول ، المجلد الحادي عشر ، ماي 1949 م .
- السيد القمبيطور و علاقاته بالمسلمين ، المجلة التاريخية المصرية ، العدد الأول ، المجلد الثالث ، 1950م .
- عود إلى المراجع العربية لتاريخ السيد ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، المجلد الثاني ، العدد الأول ، 1954 م.

فهـــــــرس

الموضوعات

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث